رحمة للعالمين

رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

فوزي آل سيف

دار المحجة البيضاء
بيروت

رحمة للعالمين

رَسُولُ ٱللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ
صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

فوزي آل سيف

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٤٥-٢٠٢٤

خط الغلاف (خط النسخ):
الخطاط السيد حيدر العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سلسلة النبي والعترة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١/ كتَب الكثيرُ ـ جزاهم الله خيرا ـ كثيرا في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أهل بيته عليهم السلام، ولما يصل الأمر حتى الآن لدرجة اكتفاء الأمة، فضلا عن مرتبة حقه وحقهم.

وهذا القليل ـ الذي هو بين يديك ـ أسأل الله أن يكون جزءًا مقبولا من ذلك الكثير، وأن ينفع به من يصل إليه، بفضل الله وكرمه.

سيكون من نافلة القول؛ الحديث عن أهمية وجود القدوات في حياة المسلمين، وقد أشرت إليها في بعض مقدمات كتب هذه السلسلة، حيث أنها طبعت أولا بشكل مفرق ومجزء، وقلت هناك: إن من أهم المعارك التي لا تزال محتدمة هي معركة النموذج الحياتي، وهذه لا تحتاج إلى أسلحة ولا جيوش، وإنما تحتاج إلى شاشة فقط،

بل حتى الشاشة لا تحتاجها بالضرورة، فالنموذج الذي يريده الغرب لنا موجود في كل مكان لمن أراده؛ طريقة اللباس والأكل والمشي والكلام واللغة والزواج وتربية الأولاد، بل والأهداف والتطلعات وما هو حسن وما ليس بحسن، وتفاصيل الحياة المختلفة.

وفي الوقت الذي يعرف أبناؤنا أحوال وأوضاع الممثلين وأبطال الكرة العالميين، ومقاتلي الفنون القتالية على الحلبة، وتفاصيل حياتهم وثرواتهم ونزواتهم ـ أحيانا ـ وتعرف بناتنا أحوال الفنانات والمغنيات و" نجمات " المهرجانات، ويشكل كل ذلك حافزا لهم ولهن للسير في هذا الخط إن استطاعوا إليه سبيلا، أو ما دونه.

نرى هؤلاء أنفسهم ـ وغيرهم ـ قد لا يعرفون أبجديات تاريخ رسولهم الكريم، وأئمتهم المعصومين، فضلا عن تفاصيل حياتهم ولأنهم كذلك فلا يستطيعون أن يستجيبوا لقول الله عز وجل ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ إذ الأسوة تتوقف على المعرفة التفصيلية والاعجاب بما تعلقت به تلك المعرفة، لكي يتحول ذلك ـ أو بعضه ـ إلى عمل وسلوك.

وقد أجرى أحدهم مقابلة مثيرة للدهشة، بل الحزن عندما سأل عشرات من الشباب والشابات عن اسم والد رسول الله ﷺ، فلم يعرفه أكثر من بثت مقابلاتهم. هذا مع أن المفروض

أن الشباب ـ من الجنسين ـ يدرسون شيئا من سيرة النبي وتاريخه في المدارس! يحصل هذا في الوقت الذي تسأله عن أبطال الدوري الأوربي في الكرة تراه عارفا حافظا!

لا نريد أن نجعل الصورة قاتمة إلى هذا الحد، فإن هناك وجها آخر لها، يتمثل في المحاضرات الدينية والمجالس التي تجمع المئات وربما الألوف في بعض المواسم، وبها يبقى مقدار ممتاز من الارتباط بالنبي المصطفى والعترة الهادية ومواقف القدوات الصالحة في تاريخ المسلمين، وهي التي تجعل الالتزام الديني والأخلاقي في درجات حسنة.

لهؤلاء الذين يتطلبون السيرة الناصعة والأسوة الصالحة، وحتى لأولئك الذين نعتقد أن خامتهم وطينة أنفسهم طيبة وإن تأثرت بعض الشيء ببريق الإعلام والدعاية الباطلة، نقدم هذه السلسلة في حياة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أهل بيته الهادين عليهم السلام.

٢/ من بين أسماء متعددة عُرضت على الإخوة والأخوات، لاختيار اسم هذه السلسلة، فقد كان أكثر الآراء مع عنوان «**سلسلة النبي والعترة**» ولا يخفى على القراء الكرام وجه المناسبة، فإن العنوان هذا بالإضافة إلى أنه يعبر عن موضوعه بدقة، فإنه يستقي من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعروف بين الفريقين «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدًا؛ كتاب الله وعترتي» وقد

سبق أن أشرنا إلى نداء القرآن للمسلمين بل للناس في حق رسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فالقرآن يدعو إلى التأسي برسول الله واتباعه، والرسول يدعو إلى اتباع عترته ـ مع القرآن ـ للنجاة من الضلال.

ولقد أوضحت أحاديث أخر عن رسول الله ﷺ المقصود من تعبيره «العترة»، كما بيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو سيدهم بعد النبي المقصود من عترة النبي. فهم «أهل البيت» وهم «أصحاب الكساء» وهم «اثنا عشر خليفة» وهم «آل محمد» و«كلهم من قريش» وهم ما بين إمام وابن إمام وأخو إمام وأبو أئمة تسعة.. وهكذا.

٣/ سيلاحظ القارئ الكريم أن الأسلوب الغالب على كتب هذه السلسلة؛ الاختصار من حيث عدد المواضيع وطول كل موضوع والسهولة في صياغة بحوثها. وهو أمر متعمد وذلك أن المؤلف قد وضع أمامه فئة؛ ليست هي فئة المتخصصين في قضايا الفكر والتاريخ، وليست أيضا طلاب الدراسات العليا في الحوزات، وإنما الفئة المتوسطة الثقافة والراغبة في زيادتها من الجنسين، وقد يكون هذا الكتاب الذي يقرأه القارئ مفتاحا لقراءة كتب أخرى تخصصية. وإن اكتفى به يرجى أن يكون كافيا في الحد المعقول لمعرفة سيرة هؤلاء الأعاظم والاقتداء بها.

ولا يعني هذا بالضرورة ألّا يكون فيه بحث واستدلال،

لا سيما في اثبات أو استبعاد ونفي بعض الحوادث التاريخية أو قبول وعدم قبول بعض الآراء والنظريات، لكن حتى في ذلك الاستدلال والنفي والاثبات كانت المحاولة في اتجاه تبسيط وتيسير المعلومة والنتيجة قدر الإمكان.

٤/ باعتبار أن كتب السلسلة اعتمدت على مصادر وكتب مدرسة الخلفاء، كما اعتمدت على مصادر الإمامية، فربما تكون بعض الاستشهادات قد نقلت بنصها، فإذا كانت من مصادر المدرسة الأولى وكانت تستعمل الصلاة الناقصة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحذف الآل، ربما نقلت بهذا النص، وكنا بين أن نتصرف في النص بإضافة الآل بناء على النهي النبوي عن الصلاة البتراء، وبين أن نلتزم بنص ما نقلناه كما هو واخترنا الأول، لكن ربما زاغ البصر في موارد لم نلتفت إليها، نسأل الله تعالى أن يجعل كل صلاة عليه صلاة على أهل بيته أيضًا.

٥/ من المقاييس الجيدة التي يمكن بها تقييم الأعمال، تقييمها في الدائرة الأوسع لا في دائرة الذات. وهذا النحو من التقييم يجعل الإنسان إيجابيا في الغالب، ومعنى ذلك أننا قد نرى كتابا صعب اللغة ومعقد النظرية وموضوعه لا يهم إلا فئة من الناس، ويسارع البعض إلى نقد هذا النوع من الكتابات وهذا الصنف من الكتاب بأنه لو صرف وقته في كتابة كتاب أنفع للعامة، وفي موضوع أقرب لكان أحسن.. وبطبيعة الحال سينتهي هذا إلى تقييم سلبي للكتاب ولجهد الكاتب. لكن هذا البعض لو غير اتجاه التقييم بنحو آخر بأن

قال: إن فئات المجتمع مختلفة المستوى والاهتمامات؛ فمنهم من لا ينتفع بهذا الكتاب لا موضوعا ولا أسلوبا، وهم مثلا الفئة بسيطة الثقافة، أو المتوسطة. ومنهم أصحاب التخصصات العالية والعقول المركزة وهؤلاء قد ينتفعون كثيرا بهذا الكتاب والموضوع، بل قد لا ينفعهم غيره، فهذا الكتاب صالح لهم وجهد الكاتب في محله.

وقد ينطبق على هذه السلسلة ما سبق؛ فقد تكون بالنسبة لبعض القرّاء إما لمستواهم العالي، أو لعدم كون الموضوع في دائرة اهتماماتهم، أو لأن أسلوبها سهل وغير معقد، أو لأن معلوماتها ليست عميقة بالنسبة لهم أو لغير ذلك من الأسباب، وبهذا المعنى لن يكون تقييمها إيجابيا لمثل هذا الصنف! لكن بالنسبة لصنف أو لأصناف أخر، قد تكون نافعة أو حتى ضرورية.. ولمثل هذه الأصناف الأخيرة تمت كتابة هذه السلسلة. أسأل الله تعالى أن يقرنها بقبوله ونفع عباده.

٦/ كان بداية الشروع في كتابة كتب هذه السلسلة في الشهر الثامن من سنة ١٤٤١ هـ، وكان أول فيها عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، بعنوان: الإمام المهدي؛ عدالة منتظرة ومسؤولية حاضرة، وحيث وجدت تشجيعا من المؤمنين الذين وصلهم الكتاب أتبعته بكتاب عن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، بعنوان: إني فاطمة وأبي محمد، انتهى في ربيع الثاني من سنة ١٤٤٢ هـ، ووفق الله وأعان فجاءت الكتب الأخرى تباعًا يتلو أحدها الآخر إلى أن انتهيت إلى الرسول الأعظم خاتم النبيين ورحمة

للعالمين رسول الله ﷺ، فانتهيت من الكتابة عن حياته المباركة، في العاشر من ربيع الثاني ١٤٤٥ هـ. وكان به هو ختام المرسلين ختم هذه السلسلة.

والحقيقة أنني في ليلة الحادي عشر بقدر ما كنت مسرورا في نهار يومها بإكمال السلسلة، شعرت في ليلتها بالوحشة وشيء من الحزن، ذكرني آدم عليه السلام حين خرج من الجنة إلى الدنيا!

هذا مع أنه كان في برنامجي كتاب آخر. لكنه شعور غريب بينما أنت تعيش عالم النبوة والرسالة والسمو فتتركه إلى عالم أدنى!

أسأل الله أن يُقر عيني ووالدي ومن يقرأ هذه السطور برؤية رسول الله في الجنة وأن لا يحرمني وإياهم رؤيته وصحبته ومرافقته.

كانت هذه السلسلة كما تقدم تطبع بصورة مفرقة ومجزأة، وكل كتاب يكون جاهزا تتم طباعته، ولم يكن التسلسل فيها حاضرا أيضا، فقد رأيت أن أول كتاب كان عن الإمام المهدي وآخر كتاب كان عن رسول الله، وقبل الأخير كان عن أمير المؤمنين علي، وفيما بينهم كان عن سائر المعصومين، ولهذا قد تجد في الإرجاع شيئًا لا يفهم إلا بهذه الصورة، فترى وأنت تقرأ في كتاب رسول الله ﷺ، فكرة أو حديثا أو حدثا تاريخيا يعقبه القول وقد أشرنا إلى ذكر هذا الموضوع في موضع آخر من هذه السلسلة مع أنك في أول كتاب منها.. أو في كتاب متأخر منها يأتي الكلام بأننا وسنشير إلى ذكر هذا الموضوع في موضع آخر مع أن الكتاب هو في الأواخر!

معرفة أن هذه الكتب طبعت بغير تسلسل متتابع، ينفع في هذا المعنى. فليكن على ذُكر منك.

٧/ ساهم كثير من المؤمنين والمؤمنات في هذه السلسلة بأنحاء مختلفة، فهناك من تبنى تكلفة كتاب حين كانت تطبع مفرقة، ومن ساهم بما دون ذلك، وهناك من تبنى تكلفة قسم كبير منها حين صارت مجموعة واحدة، وهناك من ساهم في الكتابة والتفريغ من الأشرطة الصوتية، وهناك من لاحظ التصحيح بعد الطباعة وهناك من تطوع بإخراج الكتب ـ متفرقة ـ وهناك من وزع ونشر وهكذا.. وربما حصلت إشارة لبعضهم في بعض الكتب، ولم يقبل بعضهم بالإشارة إليه، أسأل الله سبحانه وتعالى لهم جميعا عظيم الأجر، وشفاعة النبي ﷺ وعترته الطاهرة.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف
كُتبت مقدمة هذه السلسلة
في ٢٧/ ٤/ ١٤٤٥ هـ
تاروت ـ القطيف

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بفضل الله وعونه ها أنا أكتب السطور الأخيرة في كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبه أختم الكتابة في سيرة المعصومين عليهم السلام، لتتم السلسلة في أربعة عشر كتابًا.

من جميل التوفيقات ـ كما أرى ـ أنني ختمت بخاتم الرسل والأنبياء في أيام شهادة ابنته الصديقة الزهراء عليها السلام بناء على رواية الأربعين يومًا، وكنت قد بدأت هذه السلسلة بكتابة أول كتاب فيها عن الإمام المهدي عجل الله فرجه وتلاه كتاب عن الصديقة الزهراء عليها السلام بعنوان: إني فاطمة وأبي محمد. وهو يحتوي على شيء من سيرتها وشؤونها وخطبتها الفدكية.

وكان الكتاب ما قبل الأخير فيها حول أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأرجو أن يكون مصيري ـ ووالدي وأهلي ـ والقارئ الكريم ما بين أضلاع هذا المربع وما يحتضنه ويحويه من الأئمة المعصومين،

وأن يرزقني وإياكم شفاعتهم ومرافقتهم في الجنان.

ثم إنني لا أزال أعتبر هذه الكتب ـ المختصرة ـ بمثابة قاعدة البنيان التي يبنى عليها، ولا تزال تحتاج إلى عمل أفقي وعمودي فيها، ولكن وفّق الله تعالى وأعان فتمت الخطوة الأولى، ويقيني أن عونه لا ينقطع فيما يتلو من الخطوات الآتية.

وقد ذكرت أكثر من مرة أن هذه السلسلة ناظرة إلى الفئة الشابة الراغبة في معرفة سيرة قادتها المعصومين وقد لا يتيسر لها ـ لأكثر من سبب ـ مراجعة الموسوعات الكبيرة مع ما فيها من الفوائد والمنافع. والكتابة بهذا النظر ومع ملاحظة هذه الجهة تتحكم في الكاتب في اختيار المواضيع وتفاصيل كل موضوع وتوجيه الموضوع كذلك. ولذا لا أعلم هل ستكون نافعة للمحققين من طلاب العلم أو المثقفين المتعمقين في التاريخ ونظرائهم أو لا تكون. لكن هذه ـ فيما أظن ـ هي قدرة الإنسان مثلي فإذا توجه لطبقة معينة فلا بد أنه سيغفل عن طبقة فوقها، نعم هو القرآن العظيم الذي يخاطب المستويات المختلفة وفيه البطون المتكثرة.

ربما يلحظ القراء الكرام بأن كل كتاب من هذه السلسلة ينقسم إلى قسمين أساسيين؛ القسم الأول منه عبارة عن سيرة مختصرة للمعصوم من ميلاده ـ أو قبل ميلاده ـ إلى لحظة مغادرته هذه الدنيا، وتشتمل على عرض غير مفصل لحياته الشخصية والمهم من أدواره وأعماله، وهذا في الغالب يشكل ثلث أو ربع الكتاب،

ويصلح لمن لا تستهويهم القراءة الطويلة، وفي النية -إذا وفق الله- أن تطبع كمجموعة مستقلة ومختصرة، والقسم التالي من كل كتاب يحتوي على موضوعات متفرقات ترتبط بحياة المعصوم، كتفصيل حياته الأسرية أو تراثه العلمي أو علاقاته مع القوى الحاكمة في عصره أو غير ذلك.

أضفت في هذا الكتاب فصلا في الأخير هو عبارة عن تسعة أسئلة تم اختيارها من بين أسئلة كثيرة كنت قد طلبت ممن يتابعني إن كان لديهم أسئلة تبحث عن جواب، فكان أن أرسل الإخوة والأخوات عددًا غير قليل منها، اخترت هذا العدد منها وهو يشتمل على أسئلة متنوعة، ربما كان غير السهل إفراد موضوع خاص بها، وأرجو أن تكون الإجابات عليها وافية بمقدار ما يحتمله وضع الكتاب.

سيرى القارئ الكريم ـ والقارئة المحترمة ـ أنني في هذا الكتاب قد غيرت كل ما ورد من الصلاة الناقصة على النبي والتي كانت تنقل من مصادر مدرسة الخلفاء إلى الصلاة التامة التي فيها إضافة الآل، إلا ما زاغ عنه البصر أو في مواضع خاصة نقلتها بصورتها الأصلية للاستشهاد على الخطأ الذي لا يزال موجودا في ساحة المسلمين من ترك الصلاة التامة والاعتماد على الصلاة البتراء.

وقد وقع الاختيار في اسم الكتاب على عنوان «رحمة للعالمين» بعدما استشرت الاخوة والأخوات في أربعة أسماء ليختاروا أفضلها، فجاء هذا الاسم حائزا على أكثر آرائهم، وأشار بعضهم

إلى جهات فيه منها أنه: وصف قرآني للرسول المصطفى ﷺ من ربه، وكأنه تحديد دقيق لمهمته ووجوده في العالمين، بالإضافة إلى ما بين رحمة الله التي وسعت كل شيء ورحمة الرسول ولعل المقصود برحمة الله التي وسعت كل شيء، رسوله في أحد بطونها، إضافة إلى كونه رحمة للمؤمن والفاجر، والصالح والطالح، وقد تجد في فصل مقامات النبي في هذا الكتاب ما يشرح هذا المعنى، كما أن سائر مهماته وجهاده وتبليغه وتعليمه وتزكيته وإنذاره وتبشيره وشفاعته، كلُّ ذلك هو من تجليات رحمته ﷺ.

وفي الأخير أسأل الله سبحانه وتعالى الذي وفق وأعان أن يتقبل هذه الصفحات بقبول حسن وأن يكتبها في ميزان الولاء لمحمد وآله، وأن يكتب لي ثوابها ولوالدي وأهلي وجميع من ساعد أو ساهم بنحو من الأنحاء في إعدادها أو تمويلها أو نشرها، وجميع المؤمنين بهم والموالين لهم، ولكم أيها القراء الكرام.

وما أحراني بقول إخوة يوسف وهم يخاطبونه، وأنا أفقر منهم وأخاطب من هو أكرم وهو الرسول الأكرم صفوة الكائنات وأشرف الموجودات محمد المصطفى ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: ٨٨.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف
تاروت القطيف ـ في العاشر من ربيع الثاني ١٤٤٥ هـ

ما قبل الميلاد إلى لقاء الله تعالى

1/ أول الخلق

محمد ﷺ أول الخلق! هذه حقيقة يتفق عليها المسلمون؛ لكنهم يختلفون في تفسيرها وشرح أبعادها؛ فأصحاب الاتجاه الظاهري ـ وبزعم الخوف من الغلو ـ يرون أن هذه الأولية هي أولية تفضيلية لا زمنية، فتتساوى هذه الفكرة مع فكرة أن النبي هو افضل الخلائق، وأولهم مرتبة. لكن لا ربط لهذا بأولية خلقه بالنسبة لسائر المخلوقات.

بينما يذهب بعضهم الآخر ممن لا يتقيدون بالاتجاه السابق إلى أن محمدا النبي ﷺ له بعدان فمن جهة هو نور سبق الخلائق كلها وهو ـ بهذا المعنى ـ أول ما خلق الله تعالى، بالإضافة إلى أنه خير ما ومن خلق، وربما استفادوا من بعض ما ورد من أن الله أول ما خلق إنما خلق نور نبيه، ومنه تشعب الخير. وهذا النور هو الذي كان في آدم فسجد له الملائكة بأمر خالقهم سبحانه، وهو من جهة أخرى

ذلك البشر الأعلى الذي تحقق في زمانه الخاص وولادته ومكانه الخاص في مكة.

وربما عبروا عن هذه الفكرة، بالإضافة إلى ما سبق من أوليته بمعنى أفضليته، بالحقيقة المحمدية، أو بالوجود النوري، واستفادوا من روايات بهذا المضمون[1].

وبناء على هذا فلا يجد هؤلاء مشكلة في تقدم النبي على كل الخلائق من جهة، وتأخره في الوجود الخارجي عن آدم وسائر الأنبياء.

والحق أن الروايات المعتبرة ـ وهي الطريق الوحيد ـ لمعرفة

---

(١) الكليني؛ الكافي ١ / ٤٤٠ بسند لا باس به عن الإمام جعفر الصادق: «قال الله تبارك وتعالى: يا محمد إني خلقتك وعليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري فلم تزل تهللني وتمجدني، ثم جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجدني وتقدسني، وتهللني، ثم قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد وعلي واحد والحسن والحسين ثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا».

وقريب منه ما في خصال الشيخ الصدوق، ص ٤٨٢ عن الإمام جعفر الصادق عن جده أمير المؤمنين: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد ﷺ قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار».

وكذلك ما نقله في علل الشرائع ١/ ١٣٤ عن أبي ذر رحمه الله قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله يمنة العرش قبل ان يخلق آدم بألفي عام فلما ان خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه».

منزلة المصطفى صلوات الله عليه وآله، تشير إلى المقامات السابقة، بل وأكثر منها، غير أننا ـ نحن البشر العاديين ـ لا نستطيع أن نتصور ما هو أكبر من أحجامنا، ويصعب علينا تصديق الحقائق التي تتجاوزنا. ولا سيما إذا كانت من مدرسة أخرى.

هذا بالطبع لا يعني تصديق كل ما ورد مما ليس له مستند معتبر..

2/ الوالدان والولادة المباركة:

أما الوالد المكرم لرسول الله ﷺ، فهو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وينتهي هذا النسب إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

ووالدته المكرمة هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشية.

ويعتقد الإمامية أن والدي النبي ﷺ، كانا على ديانة إبراهيم النبي الحنيفية وهي الطريقة التي كان عليها بنو هاشم في مكة، والتي كانت تجمع عقيدة التوحيد والإيمان بيوم الحساب، وتجتنب الفواحش التي كان يمارسها القرشيون الوثنيون، وقد اشتهروا بهذا الأمر في مكة. ومن الطبيعي أن والدي النبي لم يستحقا هذا الشرف العظيم لهما بالنبي إلا وقد كان لهما ما يؤهلهما، فكانا من تلك الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، التي لم تتلوث بقذارات الجاهلية الدينية والأخلاقية، فإن قضايا النبوة وبهذا المستوى لا تترك للصدف أو عدم التخطيط. فكانا في درجة عالية من الإيمان.

وينقسم سائر المسلمين في ما يرتبط بوالديه ﷺ إلى قسمين: فالأكثر من المسلمين على أنهما ناجيان؛ إما لأجل أنهما كانا في زمن الفترة (بين نبي وآخر) أو لشفاعة النبي المصطفى لهما.

وهناك قسم من المسلمين وهم أتباع الاتجاه الأموي يصرون على أن يحيطوا النبي بدائرة الكفر من جدٍّ وعمٍّ وأبٍ وأمٍّ، بل أدخلوهم النار!! بالأحاديث المكذوبة[1]. بينما يرون من صرحوا بعدم القناعة بالإسلام كأبي سفيان مسلمين بل يعتبرونهم من الصحابة وهؤلاء عندهم عدول بل أفضل الناس!

وقد تعرضنا لهذا الموضوع عند الحديث عن سيرة والدي النبي ﷺ، ورددنا على ما قاله أتباع هذا الاتجاه في «تكفير» والديه حاشاهما وحاشاه! في كتابنا أعلام الأسرة النبوية،[2] فليراجع من أحب التفصيل.

وأما ولادته: صلوات الله عليه وآله، فقد كانت في شهر ربيع الأول في السابع عشر منه على المشهور، قبل ٥٣ سنة من هجرته[3] إلى المدينة. وكانت تلك السنة تسمى بعام الفيل وهي التي شهدت فيها مكة انتصار الله لبيته الحرام، وهزيمة جيش المسيحيين الذي

---

(١) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم ١/ ١٩١ «أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار»! وزعموا أنه قال في شأن أمه صحيح مسلم ٢/ ٦٧١: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي».

(٢) آل سيف؛ فوزي: أعلام الاسرة النبوية

(٣) سوف نعتمد تاريخ هجرة النبي كمحور للحساب التاريخي.

جاء من الحبشة لهدمها، وبدلا من أن يتمكنوا من تدمير الكعبة فإن الله سبحانه دمّرهم ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾[1].

وقد سبق تلك الولادة إرهاصات، وأحداث كأنها تريد إخبار العالم وسكانه، بأن ولادة «رجل استثنائي» سيصنع شيئًا استثنائيًّا تستحق أن يعلم بها العالم، وأن يحدث فيه ما يثير التساؤل لربط ذلك الحدث بتلك الولادة المباركة، فقد ورد في مصادر الإمامية وغيرهم علامات كثيرة، أشهرها: أن إيوان كسرى قد ارتج وسقطت منه أربع عشرة شرفة[2] وكأن ذلك إيذان بزوال الكيان السياسي للزرادشتية، مثلما أن خمود نيران معبدها الأكبر إعلام بنهاية الديانة تلك!

وعلى مستوى الأصنام قيل إنها قد كُبّت على وجوهها، وأن ابليس أعلن حالة الطوارئ في جنده وأنصاره، لمواجهة النور المحمدي الذي سيعم الأرض!

وفي العراق غاضت بحيرة ساوة[3]، ومن الواضح أن هذه

---

(١) الفيل: ٣ـ ٥.

(٢) محل سؤال: هل هناك ارتباط بين سقوط هذه الشرفات الأربع عشرة، وبين عدد المعصومين الأربعة عشر؟ يحتاج إلى تفكير وتأمل! أو هي كما قيل: بعدد الملوك الذين سيحكمون بلاد فارس لحين زوال دولتهم؟

(٣) في مقال ذكر فيه كاتبه حيدر الجد في مجلة ينابيع على الانترنت في موقع قرئ بتاريخ ٢/ ٣/ ١٤٤٥ هـ https://alhikmeh.org/yanabeemag/?p=4844

علامة فاقعة تلفت حتى نظر الغافل وتجعله يتساءل عما جرى؟ ولكي يكون أبلغ في الإعلام، فإنه بينما غاضت ونشفت البحيرة التي كانت مملوءة بالماء وكان الناس يستخدمون السفن لقطعها من جهة لأخرى، فإنه في نفس الوقت قد فاض وادي السماوة البعيد عنها بكيلومترات، ولم يكن من شأنه ذلك!

ولأن أتباع الاتجاه الظاهري والأموي لم يرق لهم أن يحتفي العالم بمولد سيده، فقد كذبوا الأحاديث الواردة وضعفوها مع إقرارهم بأنها علامات مشهورة ومتناقلة![1]

والأعجب من ذلك أنه بينما احتفل الكون كله بولادة النبي، فلا يزال هناك منهم من يسأل اليوم عن جواز الاحتفال وحرمته. ويفتي له المفتون بعدم جواز ذلك!

3/ محمد وأحمد:

من المعلوم أن الله سبحانه قد أخذ الميثاق من النبيين على الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،[2] كما جاء في القرآن الكريم، ومقتضى

عن جغرافية هذه البحيرة التي تبلغ مساحتها الفعلية نحو ١٢ كيلومتر مربع، وتقع بالقرب من السماوة في العراق (أقل من ٣٠ كم جنوب غرب) وأنها لا يوجد لها مصدر مائي واضح يغذيها (إلا ما قيل من أنه يتسرب إليها من الشقوق والصدوع من نهر الفرات، ومن عجبٍ أن نسبة الملوحة فيها عالية جدًا).

(١) ابن بابويه؛ محمد بن علي الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ١٩٧.

(٢) بل في الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، أن اسم النبي وعترته كان مكتوبا على ساق العرش، وأن آدم عليه السلام توسل بهذه الأسماء لله عزوجل.

ذلك أنهم يعرفونه على الأقل بوصفه واسمه، وهذا ما قاله الله تعالى في كتابه ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾، بل إن القرآن يصفه ﷺ بأنه ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾، بل في مرحلة متقدمة فإنه قد بشرت الكتب السماوية السابقة بالنبي محمد ﷺ، قبل ولادته المباركة بمئات السنين،[1] فقد جاء على لسان المسيح عيسى بن مريم ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾[2].

ولذلك نتعجب من اتفاق علماء مدرسة الخلفاء من جهة على أن تسمية النبي بمحمد كانت من جده عبد المطلب، ومن جهة أخرى قول الأكثر منهم بعدم إيمان عبد المطلب؟ فكيف يتفق هذان الأمران؟

أما على ما يذهب له الإمامية من أن عبد المطلب كان مؤمنًا مطلعا على الكتب السماوية وعالمًا بما سيكون لحفيده من شأن

(١) راجع البلاغي في كتابه الرحلة المدرسية، والبدري في كتابه مختصر السيرة النبوية فقد أوردا نصوصا كانت في العهدين القديم والجديد، بلغتها الأصلية مع ترجمتها التي تنص بالصراحة على اسم النبي محمد، والتي قد طمستها الترجمات الخاطئة (عمدا).

(٢) الصف: ٦.

بالنبوة، وقد صرح بذلك، بل أمر أبناءه ـ كما نقل عنه ذلك أبو طالب ـ بالإيمان به حين يبعث، بل هناك روايات تفيد بأن عبد المطلب كان محسوبًا من الأوصياء! بناء على هذا فلا مشكلة فإن تسمية عبد المطلب إيّاه بهذا الاسم دون سواه والذي تطابق مع ما جاء في الكتب السماوية وبشاراتها، ومع أخذ الميثاق على أنبياء الأمم السابقة بالإيمان به.. هو تماما على القاعدة، وينسجم بعضه مع بعض.

وأيضا بناء على ما تقدم من قول الإمامية فإنه سيكون مفهوما لماذا لم يُسمَّ بهذا الاسم أحد قبله، لأن اسمه الشريف كان قبل المخلوقين وقبل نبوة الأنبياء السابقين. وهذا يختلف عن قول أتباع مدرسة الخلفاء من أنه لم يُسَمّ قبله أحد باسم محمد، صِيانة من الله لهذا الاسم!

ولأنه كان معروفًا في الكتب السابقة وعلمائها، فقد شاع هذا الاسم قبيل ولادته صلوات الله عليه وآله، وهو الأمر الذي دعا بعض القرشيين لتسمية أبنائهم بهذا الاسم، برجاء أن يكون هو المسمى!! وقد قال بعضهم إنّ الذين سُموا باسم (محمد) في قريش كانوا عشرين، وبعضهم نزل بالعدد إلى خمسة عشر، وإلى ثلاثة في أقل ما قيل!

وفسّر بعضهم اسم أحمد، بمعنى ينتهي إلى أنه أحمد الحامدين لله، أي أكثرهم لله حمدًا، فلما كان كذلك صار محمّدًا، أي يُحمَد مرة بعد مرة، ويُثنَى عليه على الدوام! ويكون محمودًا.

4/ رضاعه في بني سعد:

تذكر كتب السيرة بأن الوالد المكرم للنبي عبد الله بن عبد المطلب في طريق عودته من الشام إلى مكة، مرض قرب المدينة فمال إلى بيوت أقاربه فيها، وتوفي فيها، والقدر المتيقن أنه ﷺ، لم يرَ والده[1].

وبموت والده ﷺ فقد كفله جده عبد المطلب، ولأسباب مختلفة[2] فقد أرسله ليرتضع في بني سعد على يد حليمة السعدية[3]. وستوقد ذكر المؤلفون في السيرة من آثار بركاته في محيط بني سعد وما حوله، ما لا يستغربه من يعرف منازله ومقاماته.

لكن بعضها لا يصح مثل حادثة شق الصدر التي ذكرتها مصادر مدرسة الخلفاء[4] ونعتقد بعدم صحتها، بل نشك في أن أيدي أهل

---

(١) تختلف كتب السيرة والروايات في ذلك، فعن الكليني الكافي، ج ١/ ٤٣٩ أنه قال «توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين»

(٢) البعض يرى أن من الأسباب هو حفظه ﷺ عن مؤامرات اليهود الذين حاولوا التخلص منه، والأكثر على أن ذلك لما كان عند القرشيين من عادة إرسالهم أولادهم إلى البادية لتشتد فيها أبدانهم بصحة لا توجد في مكة، ولتستقيم فيها لغتهم وتصفو عن الاختلاط والضعف، (وبالطبع فإن هذا الثاني لا ينطبق على الرسول ﷺ فإنه أديب ربه).

(٣) قد تحدثنا بشكل مفصل عن ذلك في كتابنا أعلام الأسرة النبوية عن حليمة السعدية وارتضاع النبي منها، والإشكالات التي قيلت وردها وتجد ذلك كله مبسوطا في ذلك الكتاب. وسيأتي في باب الأسئلة في هذا الكتاب مزيد تحقيق إن شاء الله.

(٤) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم ١/ ١٤٧ «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرجه،

الكتاب كانت وراء «تأليف» هذه الحادثة، وأنها على طريقة مدح الظاهر وذم الباطن.

وأوضح من ذلك في عدم الصحة إنكار أصل الارتضاع!

5/ النبي محمد إلى سن العشرين:

بعد ما بقي النبي في حي بني سعد إلى سن الرابعة من العمر، رجع إلى مكة المكرمة ليبقى بجوار أمه المكرمة آمنة، وجده زعيم مكة عبد المطلب بن هاشم، لكنه سيفتقد أمه عليها السلام بعد سنتين وأشهر، فكأن الزمان الذي استكثر عليه رعاية أبيه عبد الله، استكثر عليه حنان أمه، فما لبث أن فقدها وعمره ست سنين وأشهر،[1] فآواه الله وكان له، فزاد عبد المطلب من رعايته إياه، وأعظم شأنه وقدمه على سائر ولده وهو ابن أصغرهم سنًّا إلى درجة أنه «كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالًا له وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش

فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده إلى مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه – مرضعته – ينادون: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو ممتقع اللون».. وبالرغم من وصول بعضهم إلى الإشكال الموجود فيها إلا أنه تورط بما قيد به ـ وأمثاله ـ نفسه من اعتبار ما جاء في الصحاح كأنها آيات لا يأتيها الباطل، فهذا البوطي يقول في كتابه فقه السيرة النبوية «لو كان الشر منبعه غدة في الجسم أو علقة في بعض أنحائه، لأمكن أن يصبح الشرير خيرا بعملية جراحية»!

(١) في الكافي ج ١/ ٤٣٩ أنه فقد أمه وهو عليه السلام ابن أربع سنين.

فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأنًا عظيمًا إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إني أرى غرته غرة تسود الناس»[1].

حتى إذا مضت ثمان سنوات من عمره الشريف، حضرت الوفاة جده الكريم عبد المطلب،[2] ففارق الدنيا وكله ألم على حفيده الذي ستسود غرته العالم، وأوصى لذلك أهم أبنائه شخصيةً وحكمةً أبا طالب وهو شقيق والد النبي عبد الله بابن أخيه محمد.

وإذا أغلق الله بابًا من الرحمة فقد يفتح أبوابًا! فها هو أبو طالب يضم محمدًا إلى بيته ليكون له أبًا بعد أبيه وتكون زوجته فاطمة بنت أسد كما قال رسول الله عنها عند وفاتها «اليوم ماتت أمي.. كانت تجيع صبيانها وتشبعني» وأصبح أمر النبي محمدٍ الشغل الشاغل لأبي طالب، لا سيّما وقد وصلته الأخبار بتآمر اليهود على سلامته، فكان لا يغيب عن ناظريه ومراقبته حياطةً له.

حتى أنه لما ذهب إلى الشام في تجارة له استصحبه معه وعمره حوالي أربع عشرة سنة، ورأى من الدلائل والعلامات التي تؤكد له ما قاله جده عبد المطلب في حقه، وبرهنت له بأن ما جاء من الأخبار في نبوته تؤكده الوقائع.

وعندما بلغ عشرين سنة اشترك في حلف الفضول الذي كان

---

(١) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ١٧١.

(٢) لمعرفة حياة عبد المطلب وشخصيته وسيرته يمكن الرجوع إلى كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

يهدف إلى حماية الضعفاء سيما من يقصد الكعبة المشرفة، من ظلم الأقوياء خاصة كبار قريش، وروي عن النبي أنه قال: «شهدت حلف الفضول مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أنَّ لي حُمْرَ النَّعم وأَنّي نكثته»[١].

6/ النبي ما بعد العشرين إلى الأربعين (قبل البعثة)

مع كل سنة تمر كان ذكر رسول الله ينتشر في قريش كما عطر يتضوع، فهذا «الفتى» تكسوه مكارم الأخلاق حُلَلًا موشّاة تميزه عن كل فتيان قريش، كيف لا وهو أديب الله عز وجل ومن قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام «ولَقَدْ قَرَنَ اللَّه به ﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِه يَسْلُكُ بِه طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ومَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَه ونَهَارَه»[٢] ويستفاد من بعض الروايات أنه خرج في تجارة خديجة أكثر من مرة ولعل بعضها كان للتجارة في سوق حباشة[٣] في اليمامة. كما خرج في سفرة تجارية ـ هي الأهم ـ إلى الشام، وعمره خمس وعشرون سنة[٤] وهي على طريقة المضاربة،[٥] وأخبرها

(١) البلاذري؛ أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف ٢/ ١٥.

(٢) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ص ٣٠٠

(٣) الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام: مصنف عبد الرزاق ٦/ ٩: «استأجرته خديجة ابنة خويلد إلى سوق حباشة وهو سوق بتهامة». وقد ذكر المقريزي في إمتاع الأسماع ١/ ١٥: أن حكيمًا بن حزام قد رأى رسول الله ﷺ بسوق حباشة، واشترى منه بزّا (قماش) من بز تهامة».

(٤) المقريزي؛ أحمد بن علي: إمتاع الأسماع ١/ ١٧.

(٥) فتح الله؛ أحمد معجم ألفاظ الفقه الجعفري/ ٣٩٤. (المضاربة) أن يدفع

ميسرة غلامها من شأنه ﷺ ما بهره، وما رأى من كلام الرهبان والقساوسة فيه، وما جرى على يديه من الكرامات، وهو الأمر الذي زاد رغبة خديجة بنت خويلد في الاقتران به، وقد سمعت قبل ذلك ما سمعت.

وهكذا رتبت خديجة أمر الزواج[1] وتزوج النبي محمد إياها وكان في الخامسة والعشرين[2] وهي في السابعة أو الثامنة والعشرين، خلافا لما ذهب إليه بعض مصادر مدرسة الخلفاء من أنه تزوجها وعمرها أربعون سنة أو أنها كانت قد تزوجت قبله، وكل ذلك لا يصح.

وكان نتيجة هذا الزواج المبارك الميمون أربعًا من البنات؛[3] أم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة وهي أفضلهن، ومن الأبناء القاسم

الإنسان مالا إلى غيره ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما بالنصف أو الثلث أو نحو ذلك.

(١) ذكرنا تفصيل ذلك عند الحديث عن السيدة خديجة عليها السلام في كتاب اعلام الأسرة النبوية فليراجع.

(٢) بل قد يكون في السادسة والعشرين، فإن سفرته المذكورة للشام وهي قبل زواجه بخديجة، كانت في أواخر ذي الحجة من سنة ٢٥ لعام الفيل، كما صرح به المقريزي، فلو فرضنا أن الزواج حصل بعد رجوعه مباشرة، فيكون عمره حينها ستًّا وعشرين سنة.

(٣) هناك رأي آخر عند بعض الباحثين من الإمامية وأشهرهم المرحوم السيد جعفر مرتضى العاملي ينتهي إلى أن من عدا فاطمة هن ربائب للنبي، ونعتقد أن هذا الرأي غير تام والأدلة قائمة على خلافه. فراجع فصل بنات النبي من خديجة في الكتاب المذكور آنفًا.

وعبد الله (وقد يلقب بالطيب والطاهر). وسيأتي الحديث عن أبنائه وبناته في فصل الحياة الأسرية للنبي.

وفي هذه الفترة حصلت حادثة وضع الحجر الأسود في مكانه، بيده المباركة، فإنه قيل: إن الكعبة قد انهدمت في تلك الفترة فأعيد بناؤها ولكنهم اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه وكل قبيلة تريد هذا الشرف حتى خيف عليهم من القتال، فكان الحل بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان أول داخل إلى المسجد حينها فاحتكموا إليه وجاء حكمه الفصل بأن طلب رداءً ووضع الحجر فيه ثم أمر رؤساء القبائل أن يحملوه، وقام هو بوضعه في مكانه.

وفي هذه الفترة كانت ولادة أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنه ولد في سنة ٢٣ قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي تصادف السنة الثلاثين بعد عام الفيل.

وبنفس الطريقة التي اعتنى فيها عبد المطلب (جدهما) بحفيده رسول الله، وفيما بعد أبو طالب بابن أخيه (محمد) وجاء به إلى منزله وكان نعم الحامي والمدافع عنه إلى أن تزوج النبي واستقل في بيت خاص به مع زوجته خديجة.. نقول نفس الطريقة مارسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع ابن عمه علي بن أبي طالب، فمنذ ولادته احتضنه رسول الله واختصه بعنايته. وقد عبر الإمام علي عن تلك الفترة بكلمات متعددة[1].

(١) منها «ولقد علمتم منزلتي من رسول الله بالقرابة القريبة..» ولقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: أمير المؤمنين؛ الإمام علي بن أبي طالب.

7/ من البعثة إلى الهجرة:

مع بلوغ النبي الأربعين من العمر بعثه الله رسولا مبشِّرًا ومنذرًا، وينبغي التفريق بين كونه نبيًّا على مستوى التعيين والاصطفاء والانتخاب وبين كونه رسولًا بالفعل، فالأول كان منذ الأزل وكان النبي كذلك وإن آدم لمنجدل في طينته،[1] في مرحلة هي بين الروح والجسد وقد مر بعض الحديث عن هذا في أول هذا الفصل، والثاني لما كان يحتاج إلى منذِرين وإلى من يدعوهم إلى الدين فقد ارتبط بسن الأربعين كأمرٍ اجتماعي.

وبينما تشير بعض مصادر مدرسة الخلفاء إلى قصة الوحي بما يفهم القارئ بأنه كان متفاجئًا بقدوم جبرئيل ونزول الوحي عليه، وأنه قبل ذلك كان تحصل له حالات من القلق حتى يهم بأن يلقي بنفسه من الجبل، إلا أن روايات أهل البيت عليهم السلام، تعتبر ذلك غير صحيح[2]. ومثله في عدم الصحة ما تنقله تلك المصادر من دور

---

(١) النيشابوري؛ الحاكم أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٥٣: عن عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَبِي (آدم) مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ» وفي سنن الترمذي ٥/ ٥٨٥: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ».

(٢) البخاري؛ محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ١/ ٧: «..فجاءه الملك فقال: له اقرأ! فقال: ما أنا بقارئ!، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾العلق، فرجع بها

مزعوم لورقة بن نوفل (القس المسيحي الذي لم يؤمن برسول الله) وتصويره بأنه هو الذي أقنع (!!) محمدًا بأن ما رآه هو «الناموس» كما زعموا وأنه نبي كما سائر الأنبياء! بينما كان النبي ـ والعياذ بالله ـ مضطربا وجلا خائفا.. كل ذلك يعتبر في مدرسة أهل البيت يحط من منزلة رسول الله ﷺ، والذي كانت علامات نبوته قد عرفها الآخرون قبل وقت البعثة بوقت غير قصير، بل رأت ذلك أمه المكرمة حين ولادته فكيف به ﷺ؟ وكان يرى المبشرات واحدة بعد أخرى طيلة هذه المدة[1]. أفكان يحتاج إلى ورقة وغيره ليقنعه بنبوته؟ وعجيب من هذا (الورقة) الذي يُقنِع النبي بنبوته

رسول الله ﷺ يرجف فؤاده. فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل في العبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي. فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس (أي جبريل أو الوحي) الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذعا (شابا قويا) ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزّرًا. ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي».

(١) الطبري «فكان من ذلك انّه إذا مرَّ في طريق لا يمر بشجر ولا حجر إلّا سلَّم عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت يميناً ويساراً فلا يرى أحداً».

ثم لا يؤمن به وقد بعثه الله بالنبوة! وينتظر أن تمر السنوات حتى يرجع شابًا قويًّا ويخرج الكفار النبي حتى ينصره! فهو يبيع بالآجل ويقبض بالعاجل!

ومن الواضح أن ما بعد مرحلة البعثة قد شكّلت فاصلًا بين عالَمين وإنسانين وأن ما بعد البعثة النبوية مختلف جدًّا مع ما قبلها، فإن هذه البعثة تشير إلى اتصال الإنسان الضعيف بمصدر القوة الإلهي، والبشر الجاهل بالعالم القادر، وكانت البعثة مناسبة لانبعاث الخيرات على العالم.

◁ الاسراء والمعراج

في السنة الثالثة[1] للبعثة النبوية على الأكثر أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في فلسطين وعرج به من هناك إلى السماوات العلى. والإسراء يعني السير في الليل وهو هنا الحركة الأفقية في الفضاء من منطقة لأخرى (كحركة الطائرات)، بينما المعراج يعني الحركة العمودية الصاعدة من الأسفل (الأرض إلى السماء). وهنا نشير إلى نقاط في هذه القضية:

١/ إن الغاية من الإسراء والمعراج قد حددها القرآن الكريم بقول الله ﴿**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ**

(١) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣/ ١٠١.

ٱلْبَصِيرُ﴾[1] فالغاية إذن هي إطلاع النبي ﷺ، على آيات الله بما لا يمكن إلا بالعروج إلى السماوات. وسيكون مما اطلع عليه في طريق العودة (الإسراء) من أخبار تخص قريشا وقوافلها التجارية، دليلًا على صدق مقالته، ومن ثم صدق دعوته ونبوته.

٢/ إن إسراء النبي ﷺ أفقيًّا إلى بيت المقدس ثم عروجه من الأرض إلى السماوات كان بروحه وبدنه، خلافًا لما ذهب إليه بعض المسلمين من أنه كان معراجًا روحيًّا، والمعراج (البدني الروحي) هو مفاد الآية المباركة إذ قوله تعالى (أَسْرَى بِعَبْدِهِ) يعني برسول الله لا يصدق على الإسراء والمعراج الروحاني، فالذي يصدق على كلمة العبد هو ما يشمل الروح والجسم معا. وكذلك الإرائة في قوله تعالى ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فإنها ظاهرة في الرؤية البصرية. على أن المعراج الروحي ليس فيه ذلك الإعجاز الذي يستحق أن يشار إليه في آيات القرآن الكريم، ولا يستحق من قريش ذلك التكذيب والانكار فإنه يكون مثلما يرى النائم عندما تنتقل روحه وتطوف في عوالم مختلفة وهو في فراشه لم يتحرك. بالإضافة إلى أن ما ورد في الروايات ـ المتفق عليها إجمالا ـ والتي سيشار لها بعد قليل، من رؤية الجنة والنار، وملاقاة الملائكة، والحوار معهم وأمثال ذلك لا يستقيم إلّا بالالتزام بأن العروج كان بالجسم والروح.

وما يستبعد وقوعه بالنظر إلى القوانين الطبيعية، من قوانين الجاذبية، والضغط الجوي، وعدم القدرة على التنفس، وآثار الشهب

(١) الإسراء:١.

وأمثال ذلك هو صحيح لو كان المعراج طبيعيًّا، ولكن بالنظر إلى كون القضية إعجازيةً غيبيةً بشكل كامل، فلا يصح هذا الاستبعاد. فإنه ما حصل هو أن الله أسرى بعبده، ولم يسرِ النبي بقوته، وهكذا الحال في عروجه فإنه عُرج به في السماء بقوة الله تعالى التي تخضع لها كل قوانين الكون، فإنه مقنّنُ القوانين وبيده تعالى أن يبسطها أو يقبضها.

٣/ بحسب ما جاء في الروايات التي يتفق فيها ـ على نحو الإجمال ـ المسلمون، فإن النبي ﷺ قد استغرق في هذه الرحلة السماوية فترة أقل من ليلة، وصل فيها في البداية إلى بيت المقدس؛ المسجد الأقصى ـ وهو يختلف عن مسجد قبة الصخرة المشهور الآن ـ واستطاع بعد رجوعه واجتماعه مع القرشيين أن يصفه وصفًا دقيقًا تحير فيه من كان من القرشيين يكثر الذهاب إلى فلسطين، ويعرف تفاصيل المسجد وما فيه.

وكذلك فإنه وصف قافلة قريش الراجعة من الشام وأشار إلى بعير ضل فيها وإن غير ذلك من التفاصيل، التي تكفي من أراد الإنصاف دليلًا على صدق النبي والنبوة.

٤/ إنه قد وجدت أخبار كثيرة في قضية المعراج، وكثيرة جدًّا واختلط فيها الحابل بالنابل، ولا ريب أن بعضها موضوع يقينًا وبعضها حق يقينًا وبعضها محتمل الصحة، وقد قسمها الشيخ الطبرسي في كتابه تفسير مجمع البيان بشكل دقيق إلى ما يلي حيث قال رحمه الله: إنها تنقسم إلى أربعة أقسام:

أحدها: ما يقطع بصحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته.

ثانيها: ما ورد ولم يتواتر ولم نقطع بصحته ولكنه مما تجوّزه العقول ولا تأباه الأصول فنحن نجوّزه أيضًا.

ثالثها: ما يكون ظاهره مخالفًا لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويله على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نؤوله على ما يطابق الحق.

ورابعها: ما لا يصح ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله.

فأما الأول: المقطوع به انه أسري به على الجملة دون التفاصيل. **وأما الثاني**: فمنه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش وسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك. **وأما الثالث**: فنحو ما روي أنه رأى قومًا في الجنة يتنعمون فيها وقومًا في النار يعذبون، فيحمل على أنه رأى صفتهم وأسماءهم. **وأما الرابع**: فنحو ما روي أنه ﷺ كلّم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك، مما يوجب ظاهره التشبيه، والله سبحانه يتقدس عن ذلك، ومن هذا النمط كثير فهذا ما لا نقبله»[1].

◁ كيف بدأت واستمرت الدعوة للإسلام؟

يتحدث كُتّاب السيرة عن المرحلة السرية وأساليب التقية

(١) الطبرسي؛ أبوعلي الفضل بن الحسن: تفسير مجمع البيان ٦/ ٢١٥. باختصار.

التي بدأ بها الرسول المصطفى ﷺ دعوته وهو الأمر الطبيعي التي تقتضيه الحكمة، وإلا ربما وُئدت تلك الدعوة المباركة في أول أيامها، حتى إذا جاء الأمر الإلهي بأن ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] وجمع النبي ﷺ عشيرته وأنذرهم وبيّن لهم أنه ما جاء أحد قومه بمثل ما جاءهم به، وأظهر لهم من إكرام الله له ما تبين في الطعام القليل الذي صنعه لهم وصار ببركته يكفي كل ذلك الجمع! كما عيّن في ذلك اليوم خريطة خلافته وذكر لهم اسم الوصي من بعده وهو ابن عمه عليٌّ عليه السلام[2].

مع استجابة العشرات من شباب وضعفاء قريش والمتطلعين لحياة أفضل ما كان يمكن لرؤسائها أن يسكتوا عن الأمر فإنه يهدم أسس مصالحهم ورئاستهم، فشرعوا في مواجهة رسول الله وإيذاء المؤمنين به. وحينها جاءه الأمر الإلهي بأن ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾[3]، وبالطبع كان الأمر ضمن قواعده الطبيعية، فقيض الله للنبي ﷺ حماية أعز المؤمنين به،[4] وهو عمه أبو طالب، الذي مارس دورًا دقيقًا للغاية في حمايته من جهة والظهور أمام قريش بمظهر المحايد في قضية

(١) الشعراء:٢١٤

(٢) ذكرنا تفصيل هذه الحادثة ودلالاتها في كتابنا: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) الحِجر: ٩٤ـ ٩٥.

(٤) لمعرفة إيمان أبي طالب وأدواره الاستثنائية في حماية النبي ودعوته يمكنكم مراجعة كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

الإيمان بالدعوة النبوية. وبهذا كان بمثابة جيش كامل أمام تعسف القرشيين بحيث لم يستطيعوا أن يوقفوا النبي محمدًا فضلًا عن قتله.

نعم اشتدت وطأة القرشيين على من تحت يدهم من الأرقاء والعبيد ممن آمن برسول الله، «فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدَّ الحر، يفتنونهم عن دينهم»[1] فاستشهد على أثر ذلك ياسر والد عمار ووالدته تحت التعذيب، وأوذي بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وخباب بن الأرتّ.. وغيرهم.

وأما من آمن بالنبي من سراة الناس فإنه كانوا يقاطعونه اجتماعيًّا «وكان أبو جهل الفاسق إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومِنعة، أنَّبَه وأخزاه وقال له: تركت دين أبيك وهو خيرٌ منك! لنسفِّهنَّ حِلمَك، ولنُفَيِّلَنَّ رأيك، ولنَضَعَنَّ شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله لنكسِّدَنَّ تجارتك، ولنُهْلِكَنَّ مالَك»،[2] وضمن هذا الإطار فقد حوصر بنو هاشم في شعب أبي طالب في حوالي السنة السابعة للبعثة النبوية وكان عمر النبي ﷺ حينها ٤٧ سنة، وذاقوا العنت والفقر! بينما هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة بأمر رسول الله ﷺ، على دفعتين.

ولم يكن قد أذن لرسول الله ﷺ في المواجهة المباشرة حتى

(١) الحميري؛ عبد الملك بن هشام: سيرة ابن هشام ١/ ٣١٧: ناقلا عن ابن إسحاق.
(٢) المصدر نفسه ٣٢٠.

ذلك الوقت.

ومرت سنوات عشر من بعثة الرسول وهو في رعاية عمه أبي طالب بن عبد المطلب وحمايته، إلى أن توفي هذا الناصر الكبير في السنة العاشرة (ثلاث سنوات قبل هجرة النبي)، وتلى وفاتَه وفاةُ الصديقة خديجة بنت خويلد، وقد كانا ـ مع كثرة من حول النبي ـ جناحيه!

فأمره الله سبحانه بأن يهاجر من مكة إلى المدينة، بعدما طاف في القبائل والمناطق كالطائف داعيًا مستنصرًا فما وجد فيها غير الخذلان.

8/ الهجرة إلى المدينة

بمجيء الأمر الإلهي للنبي بالهجرة للمدينة استعد رسول الله ﷺ لذلك بأمور؛ منها أن يتخفى في خروجه وهجرته لكيلا تقدم قريش على عمل أحمق ـ وقد عجزت حتى الآن ـ عن تحقيق أي هدف لها من التخلص من رسول الله لوجود عمّه أبي طالب، أو الحد من توسع قاعدة الإيمان بالدعوة النبوية. فهيأ الأمر بحيث يبات عليٌّ ابن عمه في فراشه في ما سيعرف فيما بعد بأنه منقبة من أعظم المناقب للإمام علي عليه السلام، وبأن يتولى الإمام بعد خروج النبي للمدينة ووصوله لها، مهمات عينها له مثل إيصال أمانات كانت عند النبي لأهلها، وأخيرًا الخروج بثقل رسول الله وعائلته وبعض نساء بني هاشم. وخرج ليلًا وصحبه أو التحق به أبو بكر بن أبي

قحافة[1] على ما هو المشهور في السيرة، وبقي ثلاثة أيام في غار حراء

(١) بالرغم من أن مصاحبة أبي بكر لرسول الله ﷺ، في الهجرة وكونه معه في غار حراء، من الأمور التي لا يمكن مناقشتها في مدرسة الخلفاء إذ تنتقل من كونها تاريخية إلى عقائدية، وهي تعتبر أهم أسباب تفضيل أبي بكر على من سواه، فإذا تم رفضها فهذا يؤثر على كل بناء التفضيل ومن خلفه مسألة الخلافة، وهكذا. وقد كانت المناقشات في السابق تدور حول أن المصاحبة هذه هل توجب فضيلة أو لا؟ وهل ما جاء في آي القرآن يشير إليها كفضيلة أو لا! كما يظهر ذلك من السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٤/ ٢٠١، وذلك باعتبار أنها من المسلَّمات التاريخية.
إلا أن بعض الباحثين أثار شكوكًا في أصل القضية؛ فمن أولئك ما ذكره السيد حسن العلوي في شبكة الكافي:
/http://alkafi.net/index.php?threads/1510 من تساؤل مبعثه رواية في صحيح البخاري ١/ ١٤٠ ط السلطانية: عن ابن عمر قال: «لما قدم المهاجرون الأولون العُصبة (موضع بقباء) قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة وكان أكثرهم قرآنا.» وفي موضع آخر ج ٨ – ص ١١٥ «كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي ﷺ في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر بن ربيعة». وتساءل عن أنه إذا كان أبو بكر مأمومًا في المدينة لسالم مولى أبي حذيفة، قبل مقدم النبي..فكيف يكون مع النبي في الغار، ولما يصل للمدينة؟ وقد ذكر هذا الخبر وشبيهه مَن تحدث عن إمامة المولى والمملوك للحر.
وقد تنبه في سنن البيهقي ٥/ ٦٠٠ إلى هذه الجهة فحاول حل التخالف بين الأمرين، وقال: «قال الشيخُ: كَذا قال في هذا وفيما قَبلَه: فيهم أبو بكرٍ. ولَعَلَّه في وقتٍ آخَرَ؛ فإنَّه إنَّما قَدِمَ أبو بكرٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، ويَحتَمِلُ أن تكونَ إمامَتُه إيّاهُم قَبلَ قُدومِه وبَعدَه، وقَولُ الراوي: وفيهِم أبو بكرٍ. أرادَ: بَعدَ قُدومِه، واللهُ أعلَمُ».
وقد ذكر الشيخ نجاح الطائي في كتابه السيرة النبوية ١/ ٢٦٧ أن الذي صحب النبي في الغار والسفر هو دليله عبد الله بن أريقط بن بكر، وليس أبا بكر بن قحافة، وقال إن هناك قرائن كثيرة، لكنه لم يذكرها في هذا الكتاب، سوى إشارته إلى أن أيًّا من أبي بكر أو عمر لم يفتخر بهذا قبل السقيفة وبعدها.

في جبل ثور وقد لحق به القرشيون يبحثون عنه، وستر الله عليه ثم واصل المسير حتى دخل طرف المدينة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من أول سنة لهجرة النبي، وبقي منتظرا وصول ابن عمه علي بن أبي طالب ومعه نساء رسول الله وأرحامه.

◁ بناء المسجد:

في المدينة بدأ النبي بتأسيس المجتمع النموذج الذي يحكمه الإسلام، فأول عمل قام به أنه بنى المسجد (النبوي) بمشاركة المسلمين، وكأنه بذلك يريد الإشارة إلى أن نقطة المركز في حياة المسلم هي عبادته لله، وأن المسجد هو محل اجتماع المسلمين في حياتهم السياسية والعسكرية والاجتماعية.

◁ المؤاخاة:

كما كان المجتمع المسلم بحاجة إلى بناء المسجد لاجتماع الناس فقد كان بحاجة إلى تدبير لاجتماع القلوب، وتقارب النفوس بين الأنصار (المدنيين) أنفسهم حيث كانوا ينتمون لقبيلتين كان بينهما معارك وإحَنٌ، وبين الأنصار والمهاجرين (المكيين) حيث كانوا من مجتمعين مختلفين (أخلاقا وطبائع وثقافة) ومن شأن ذلك، عدم تحقق الانسجام، فعقد عقد المؤاخاة بين المسلمين، وقد ذُكر الكثير عن آثاره السريعة، ونقل المؤرخون صورًا عجيبة من الإيثار والعطاء لا سيما من جهة الأنصار.

◁ العلاقة مع اليهود:

وكان اليهود قد استوطنوا المدينة منذ سنوات طويلة، بل

وسيطروا على اقتصادها لحد كبير، وحيث أنهم جزء من سكان المدينة، فلا بد من نظام علاقة بينهم وبين المسلمين وحاكم المدينة الجديد الرسول الكريم فكان أن أجرى معهم ما عرف فيما بعد بوثيقة المدينة، وهو أول نص مكتوب ينظم العلاقة بين المسلمين واليهود، وإن كان اليهود فيما بعد سينقضون هذا العهد مراتٍ، ويتحالفون مع المشركين ضد المسلمين.

9/ رسول الله: معجزاته، سنته

زوّد الله سبحانه وتعالى رسله بمعجزات هي برهان صدقهم ودليل ارتباطهم الخاص بخالقهم، وكونهم مرسلين من قبله للإنسان. وبدون تلك المعجزات يمكن لأصحاب دعاوى النبوة الكاذبة أن يخدعوا الناس ﴿لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾، وفي هذا الإطار جعل الله النار المتقدة على إبراهيم الخليل عليه السلام بردا وسلاما، كما زود موسى بن عمران عليه السلام بالعصا التي تلقف ما يأفك السحرة، وتفلق البحر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1] وجعل لعيسى بن مريم آية فإذا به يقول ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾،[2] ولم تكن هذه فقط معجزاتهم وإنما هي الأكبر والأوضح.

---

(١) الشعراء:٦٣.

(٢) آل عمران: ٤٩.

والمعجزة: هي أمر خارق للعادة والطبيعة مع التحدي وعدم المعارضة ومطابقة الدعوى[1].

وقد مكّن الله تعالى رسوله الكريم محمدًا من نوعين: المعجزات الفعلية، والعلمية في اختصاص من الله له في النوع الثاني من المعجزات؛ أما معجزاته الفعلية التي عجز ولا يزال البشر عنها، مع تصديقها نبوته فكثيرة للغاية حتى قيل إنها تبلغ ألفًا مما ذكر عنه صلوات الله عليه وآله؛ وقد أفرد المقريزي في الإمتاع فصلًا خاصًّا عرض فيه إلى بعض ما نقل عن معجزاته صلوات الله عليه وآله مثل «انشقاق القمر، وردّ الشمس بعد غروبها، وانقياد الشجر، وانقلاب العود والقضيب سيفًا جيّدًا، وتسليم الأشجار والأحجار عليه، وتحرك الجبل لأجله وسكونه بأمره، وحثا يوم حنين وجوه المشركين كفّا من تراب فملأ أعينهم، وإشارته إلى الأصنام وسقوطها، وإلانة الصخر له، وتسبيح الحصا في كفه، وتأمين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه.

ونبع الماء من بين أصابعه، وظهور بركته في تكثير الماء القليل الّذي كان في الميضأة، فشرب منه أهل العسكر كلهم وهم عطاشٌ وتوضؤوا، كل ذلك من قدح صغير ضاق عن أن يبسط فيه يده المكرمة، وفي مزادتي المرأة، وفي الماء بالحديبية، وفي العين التي

(١) وبهذا التعريف الذي ذكر للمعجزة، تخرج الأفعال العادية والمهن التي يتعلمها الناس مهما دقّتْ وصعبت، كما يخرج السحر وما هو في معناه كخفة اليد وأمثالها، وتخرج الأفعال التي لا تترافق مع ادعاء النبوة، وأمثال ذلك.

بتبوك، وقد أهرق عليه وضوءه فيهما، ولا ماء فيهما، فجاشتا بالماء، فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوفٌ، حتى رووا كلّهم وفاضت بعد ذلك، وشرب من بئر الحديبيّة ألف وأربعمائة حتى رووا، ولم يكن فيها قبل ذلك ماء.

وأمطرت بطريق تبوك عند دعائه وقد اشتد عطش الناس، واستسقى وقد قحط المطر فسقوا بدعائه، وظهرت بركته في ركيٍّ قليل الماء حتى صارت نهرًا تجري، وفي بئر بقباء، وفي بئر قليلة الماء بعث إليها بحصباء فألقيت فيها فغزر ماؤها.

وأفاق جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقد أُغمي عليه لما صبّ من وضوئه عليه، ونشط بعير قد أعيا ببركة وضوئه لّما رشّه عليه وسقاه منه، وعذب الماء»[1].

وقد بلغ نقل هذه الأمور حدًّا يحقق التواتر اللفظي في بعضها والمعنوي في البعض الآخر.

غير أن المعجزة الكبرى والأساس وهي الباقية حتى يوم الناس هذا هي معجزته القرآنية، وتتميز هذه المعجزة عن غيرها من معجزات الرسل السابقين، بل عن معجزاته الفعلية بميزات؛

منها أن نفس الدستور هو المعجزة بينما كان في ما مضى عند

(١) المقريزي: إمتاع الأسماع ٤/ ٣٩٠، وقد ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار/ ج ١٧ و١٨ فصولًا مطولة من هذه المعجزات فليرجع إليها من أراد التفصيل.

الأنبياء والرسل كانت الرسالة والمنهاج الحياتي شيئًا والمعجزة الدالة على نبوة النبي شيئًا آخر.

ومنها أن هذه المعجزة (القرآن الكريم) وهو الوحي الذي تلقاه رسول الله من ربه بواسطة الأمين جبرئيل لا تزال قائمة وبإمكان أي بشرٍ أن يطلع عليها مباشرة من غير حاجة إلى نقل الناقلين كما هو الحال في المعجزات الفعلية التي حدثت وانقضى زمنها ووصلت إلينا بواسطة الأخبار.

ومنها: أن الإعجاز فيها والتحدي مفتوحٌ للخلق من جنٍّ وإنسٍ لا على مستوى كل فردٍ فردٍ فيهم وإنما على مستوى مجموعهم بمعنى أنهم لو اجتمعوا كافة (من إنسٍ وجنٍ) وجهدوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله[1].

ومنها: الإعجاز اللفظي في القرآن الكريم، بلاغةً ودقةَ تعبير بحيث كان في آياته كمال المعنى وجمال اللفظ، بحيث لو أردت تبديل كلمة بأخرى لتعطي نفس المعنى في نفس الموضع لم يتيسر ذلك لك، وقد أحجم ـ لهذا السبب ـ عن معارضته والاستجابة لتحديه جهابذة اللغويين وفطاحل الشعراء الذين كان تتدفق القصائد بين أيدهم كالآبار النابعة.. معلنين عن عجزهم وقلة حيلتهم في ذلك. ولا شك أنهم لو استطاعوا ذلك لما توقفوا.. كيف والعرب

(١) الإسراء: ٨٨ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

منهم قد سلكوا أبعد الطرق في معارضة النبي ودعوته وخاضوا الحروب معه للقضاء على دعوته، وكان يمكن لهم القضاء على تلك الدعوة بسورة واحدة مفتراة، ويكفيهم ذلك لكنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا أو غيرهم الإتيان بها!

ومنها: الإعجاز العلمي بكشفه عن دقائق القوانين الكونية على سبيل الإشارة إلى حكمة الله عز وجل في الكون وتسخيره لخلقه، وكان ذلك في بيئة لا تعرف أبجديات العلوم، لكن القرآن الكريم لما كان المعجزة الباقية فقد كشف من القوانين والقواعد العلمية ما اكتشف بعضَه البشرُ بعد مئات السنين من نزوله، وهو الأمر الذي جعل الكثير من العلماء الطبيعيين يتحيرون في دقة آيات القرآن الكريم، وإيمان القسم الأكبر منهم على أثر ذلك.

ومنها: الإعجاز القانوني حيت تضمن القرآن الكريم نظامًا شاملًا للحياة الشخصية السليمة، وللتنظيم الاجتماعي الكامل، بحيث لم يستطع البشر الوصول إلى شيء يوازيه فضلًا عن أن يتجاوزه. ولا تزال المجتمعات البشرية البعيدة عن حكم وقوانين القرآن تتقاذفها الموجات يمينًا وشمالًا، ولا تخرج من أزمة إلا لتدخل في أخرى، وما نراه اليوم من توجه هذه المجتمعات إلى الانهيار الأخلاقي والعذابات النفسية ليس إلّا نتيجة البعد عن حكم الله كما جاء في القرآن الكريم.

ومنها؛ غير ذلك فليرجع طالب التفصيل إلى كتابنا: معارف

قرآنية،[1] فقد تحدثنا فيه عن مختلف جهات الإعجاز القرآني[2].

◁ وأما سنته: وهي أقواله وأفعاله وتقريره

فإنها تنطلق من عصمته في القول والفعل، وبالتالي تكون جزءًا من التشريع، فمثلما كان الوحي الإلهي النازل بواسطة الأمين جبرئيل تشريعًا لازمًا للبشر من خالقهم بشكل مباشر، فإن ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مقام بيان الأحكام والعقائد ـ يكون أمرًا لازمًا وهو في قوة الوحي الإلهي المباشر، وذلك لما أمر الله سبحانه عباده به بقوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] ولما أمرهم بطاعته بقوله ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] بل جعل طاعة رسول الله هي عين طاعة الله ولا تختلف عنها في شيء ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[5]. وهو موقع الرسول الاعتيادي في قومه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[6].

وهكذا الحال في أفعاله، فمع أنه صلوات الله عليه وآله قال في موارد خاصة آمِرًا المسلمين بأن يفعلوا كما فعل كما هو الحال في الصلاة «صلوا كما رأيتموني أصلي»[7] وفي الحج «خذوا عني

---

(١) آل سيف؛ فوزي: معارف قرآنية، نشر دار أطياف.
(٢) وأوسع من ذلك ما جاء في بحار الأنوار ج ١٧/ ١٥٩.
(٣) الحشر: ٧.
(٤) الأنفال: ١. وفي ست آيات قرن الله طاعة رسوله بطاعته.
(٥) النساء: ٨٠.
(٦) النساء: ٦٤.
(٧) البخاري: صحيح البخاري ١/ ١٢٩. وهو من أشهر الأحاديث التي يستدل بها في مسائل الفقه بين الفريقين.

مناسككم» وكان يفعل الشيء فيفعله المسلمون، وهو مقتضى عموم كونه أسوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وكذلك الأمر في تقريره؛ ومعنى التقرير أن يُفعَل شيء بحضور رسول الله ﷺ من أمر الدين ويراه النبي فلا ينهى عنه ولا يأمر بتغييره مع قدرته على ذلك، فيدل ذلك على أن هذا هو من الشرع ولا يخالف حكم الله.

نعم؛ هناك زاوية صغيرة وهي التي ترتبط بالأفعال (العادية) فإن بعض العلماء رأوا أنها لا تدخل في ما سبق بينما رأى البعض الآخر أنها تدخل في السُّنة من باب دلالة فعلها على إباحة تلك الأفعال وعدم ممنوعيتها.

وعلى كل حال فالأصل في أقوال النبي وأفعاله وتقريراته هو بيان الحكم الإلهي الشرعي، وأن المسلم مأمورٌ بالأخذ عن رسول الله فيه، فما كان معلومًا أنه سُنة ـ بأحد المعاني السابقة ـ فهو واضح، وما كان معلومًا أنه من الأمور العادية (بناء على انفصالها عن السُّنة وهو رأي بعض العلماء) فكذلك، وما كان مشكوكًا في أنه من السنة أو لا، فالأصل الذي يرجع إليه هو أنها من السُّنة حتى يتبين الخلاف.

ثم إن السُّنة النبوية قد تعرضت للأسف الشديد إلى منع ومحاصرة من قبل الحكومات التي تولت بعد رسول الله ﷺ،

(١) الأحزاب: ٢١.

باستثناء فترة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، واستمر هذا المنع والمحاصرة مدة تصل إلى نحو ٨٥ سنة، بمبررات فاسدة وغير سليمة، وقد تعرضنا لهذه الجهة بشكل مفصل في محاضراتنا عن سُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم [١].

وقد أنتج هذا المنع والمحاصرة أضرارًا كبيرة بوعي الأمة ومعرفتها بدينها وقادتها، فمن تلك الأضرار أنها غيبت خارطة الطريق التي وضعها النبي للأمة من بعده لكيلا تضل الهدى! وأنت تعلم ـ عزيزي القارئ ـ ما الذي يحصل عندما لا يسير المرء على خارطة واضحة.

كما أدى ذلك المنع والمحاصرة إلى إدخال عشرات الآلاف من الأحاديث المصطنعة والمكذوبة على لسان رسول الله من قبل الوضاعين الذين كانوا يسترزقون بوضع الأحاديث، خاصة مع تشجيع بعض الحكام الأمويين على وضع الأحاديث في مناقب البعض، وذم البعض الآخر.

وعندما جاء بعض المؤلفين في نهاية القرن الثاني الهجري ومنتصف القرن الثالث ليكتبوا المصنفات، و«الصحاح» زاد الأمرُ سوءًا فصار كمن أراد أن يكحل العين المريضة فعماها! إذ كتبت بعض هذه الكتب ضمن معادلات مذهبية خاطئة، وتحت توجيهات خلفاء وحكام متعصبين، وضمن ظروف لا تسمح

(١) يمكن مراجعتها على قناتنا في اليوتيوب.

بكتابة الحق.. وللأسف فإن هذه الظروف وتلك المعادلات لا تزال هي الحاكمة بعدما اعتمد الحاكمون ـ إلى يومنا هذا ـ نتاج تلك الفترات الخاصة على أنه الحق الذي لا ريب فيه!

10/ رسول الله؛ صحابته وعترته

كما كان للنبي المصطفى محمد ﷺ، أعداء تفاوتت شدة عداوتهم له ولدعوته ما بين خفيفة إلى متوسطة وإلى شرسة للغاية، فكذلك كان أمر المؤمنين به والملتفين حوله والمستجيبين لدعوته. وهذا يتوافق مع النظر الموضوعي لأي مجتمع، فإن فيه درجات وتنوّعًا، ولا تجد مجتمعًا أفراده كالمكعبات الخارجة من مصنع واحد لا تفاوت بينها ولا اختلاف.

فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم من هو أكثر يقينًا وفي مقابله يوجد أشخاصٌ أقل يقينًا بحيث لا يصدقون بعض كلامه، ولا يؤمنون بما يقول من إخبارات حتى تتحقق، بل ويظنون بالله الظنونا، ولقد عرض القرآن الكريم للنماذج المتعددة من أصحاب النبي ـ وهم كأي فئة اجتماعية فيها ما ذكرنا من الاختلاف ـ فمدح النماذج العالية، بينما عاتب بل وفضح نماذج أخرى في فعلها السيء واعتقادها الخاطئ.

فبينما تحدث القرآن الكريم في سورة كاملة هي المنافقون عن تلك الخطوط المنحرفة عن الرسول وهم من المسلمين ومع الرسول في المدينة، فقد ذكر فئة أخرى بإجلال وتكريم وهي ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ

﴿ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1].

وأما سورة التوبة التي سميت بالفاضحة والمبعثرة والكاشفة، فقد بعثرت أسرار المنافقين، وكشفت خططهم، وأوردت كلماتهم حتى لتحس نفسك تعرفهم شخصًا شخصًا، وتقريبا من آية ٤٢ إلى آية ١٢٧ وهي في نهاية السورة، تتحدث عنهم وعن أفكارهم، وتفضح أقوالهم وكلماتهم، وتعري أعذارهم الكاذبة، بل حتى إذا تخلل آياتها كلام عن المخلصين المؤمنين للمقارنة لا تلبث أن تعود من جديد إلى أولئك «المتخلفين عن رسول الله» و«أصحاب مساجد الضرار» و«الماردين على النفاق» و«المتربصين بالمؤمنين الدوائر» و«الذين يحلفون لكم لترضوا عنهم» و«الأجدر بمواقع الجهل» و«الذين يستأذنون وهم أغنياء» و«المعذرون الكاذبون في أعذارهم» و«الذين هم في ريبهم يترددون» و«الذين كره الله انبعاثهم».. وهكذا.

وكان في أصحابه صلوات الله عليه وآله وعليهم من كان يصفه النبي بأنه وشيعته بالقول «إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» ومن وصفه بأنه «جلدة ما بين عينيه» ومن وصفه بأنه «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق منه» ومن وصف بأنه «منا أهل البيت».. وهكذا.

---

(١) التوبة: ١٠٠.

وبين هذين الحدين كانت تتفاوت درجات أصحاب رسول الله ﷺ صعودًا ونزولًا، وإيمانا ونفاقًا.

وعلى هذا الأساس فقد انقسم المسلمون في تقييم أصحاب النبي ﷺ، إلى فئتين: الفئة الأولى ودرجت العادة أن نسميها: أتباع مدرسة الخلفاء، والأخرى: أتباع مدرسة أهل البيت.

ويرى علماء مدرسة الخلفاء أن الموقف تجاه صحابة النبي يتلخص في التالي:

«أنهم ـ جميعا وبلا استثناء ـ» كلهم عدول لا يتطرق لهم نقد ولا انتقاص ولا ينبغي التحقيق في الحديث الذي رُوي عنهم، كما أنهم من أهل الجنة «وأنه لا ينبغي الخوض في خلافاتهم وحروبهم..» وقد شرحنا في كتابنا أصحاب النبي محمد بشكل مفصل ما سمي فيما بعد بنظرية عدالة الصحابة جميعا، وناقشنا أدلتها، ثم ذكرنا آثارها وكيفية التوظيف السياسي لها من قبل الحكومات لا سيما الأموية والعباسية. وكيف تحولت في العصر الأخير إلى جزء من العقيدة (!) فليراجع الكتاب من أحب التفصيل.

وفي مقابل ذلك ترى مدرسة أتباع أهل البيت عليهم السلام، أن الصحابة كما نص القرآن بذلك حالهم حال سائر المؤمنين بل حال سائر البشر، حيث منهم المؤمنون حقًّا والذين يُتَوسل إلى الله سبحانه وتعالى بهم، ومنهم من ذكرنا أوضاعهم قبل سطور.

وعلى هذا الأساس فهم لا يرون مانعًا من نقد تصرفات

بعض أصحاب الرسول، التي انتقدها القرآن كما يظهر ذلك في سورة الحجرات، والتي انتقدها النبي ﷺ نفسه، من عصيانهم لأوامره، ومخالفتهم سنته بعده حتى لقد وردت الرواية عنه في مصادر المسلمين من أنهم قد ارتدوا على آثارهم القهقرى![1]

كما أن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا يعتقدون بكون كل أصحاب النبي أفضل الخلائق أو أنهم جميعًا من أهل الجنة أو أنهم ـ طرًّا ـ عدول.

وإنما يعرض كلٌّ منهم على المقاييس الدقيقة ليرى حاله ومآله، ومدى قربه وبعده عن توجيهات رسول الله ﷺ، فيجعل في المكان الذي تنزله فيه أعماله، ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[2].

◁ عترة النبي:

عترة الشخص هم أقرباؤه المتفرقون، وعترة النبي هم كذلك، لكنه ﷺ، لما عيّنهم وحدد دائرتهم وجب الوقوف عند ذلك الحد. فقد أوصى النبي المصطفى أمته باتباع القرآن والعترة، فقال

---

(١) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٤/ ١٣٦: «وإنه سيجاء بأناس من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فلأقولن: أصحابي، فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فلأقولنّ كما قال العبد الصالح: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧ – ١١٨] فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

(٢) هود:١٠٥.

في الحديث المعروف بحديث الثقلين: «أوصيكم بما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[1].

وعندما حدد العترة بأنهم أهل بيته، فقد تكفل حديث الكساء[2] الذي جاء شارحا لآية التطهير ببيان أسمائهم وشخصياتهم.

---

(١) ذكر هذا الحديث في مصادر مدرسة الخلفاء مرويًّا عن اثني عشر صحابيًا منهم: علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبو سعيد الخُدري، وجابر بن عبد الله، وجُبَير بن مُطعِم، وحُذيفة بن أَسيد، وزَيد بن أرقمَ، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وغيرهم وعن عشرات من التابعين. وذكره أعلام مدرسة الخلفاء في مصنفاتهم الحديثية، فقد ذكره ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) في المصنف وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في المسند وفضائل الصحابة، والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) في السنن، وابن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ) في كتابه السنة، والنسائي (ت ٣٠٣ هـ) في السنن الكبرى وخصائص علي وفضائل الصحابة، والطبراني (ت ٣٦٠ هـ) في معاجمه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير.. وغيرهم في غيرها من المصنفات. وقد تعددت صياغاته، بل وأماكن إلقاء الرسول إياه للصحابة، مما يشير إلى اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتأكيد معناه. وهذا هو سر أن بعضهم نقله مفصلا، وبعضهم مختصرا.

(٢) النيشابوري؛ مسلم: صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٣.. عن عائشة قالت: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود. فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ الأحزاب/ ٣٣.

وأوضح منه حديث عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنن الترمذي ٥/ ٣٥١ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ، وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ

فسيد العترة بعد الرسول المصطفى هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم فاطمة وابناها الحسن والحسين عليهم السلام. وحيث أوصوا الأمة باتباع التسعة من ذرية الإمام الحسين عليه السلام كان هؤلاء ـ دون سواهم ـ من العترة المقصودة في الحديث.

والعجيب من الحكومات التي تسلطت على الأمة حين شادت بناء الصحابة الذين ذكرنا ما فيهم وعليهم، وألزمت الأمة بفقههم أو فقه من تأخر عنهم وهو على درجة كبيرة من التخالف والتهافت، وهدمت قواعد بيت أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام «لا يقاس بآل محمد أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه»[1] بإبعادهم وإقصاء منهجهم، والسماح لكل أصحاب التوجهات الفكرية والمذاهب الفقهية أن يصولوا ويجولوا في ساحة المسلمين! ولم يُكتَفَ بذلك في زمانهم وإنما لا تزال هذه السنة الباطلة من حصر المذاهب الرسمية في الإسلام في أربعة (٤) مذاهب، مستمرة وليس منها مذهب أهل البيت عليهم السلام.

11/ الرسول يواجه أعداءه: قريشا واليهود والمسيحيين:

ما أن التقط المسلمون أنفاسهم من البناء الداخلي في المدينة

قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ».

(١) الشريف الرضي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ص ٤٧ «لاَ يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ».

حتى فاجأتهم قريش باستعداداتها للقتال، لتبدأ معهم سلسلة من الحروب استمرت إلى فتح النبي مكة، ولمن يريد أن يطلع على تفاصيل المواجهة العسكرية وتخطيط الرسول الأكرم لتلك المواجهات، ينبغي أن يراجع الكتب المختصة في هذا،[1] ولكننا هنا نمر مرورا عابرا على عناوين تلك المعارك.

وسيساعدها اليهود في تلك المعارك وسيخوضون مع النبي معارك أخر.

◁ أ/ معركة بدر الكبرى:

في شهر رمضان سنة ٢ هـ جمعت من قريش قوتها وجهزت جيشا (أقل من ١٠٠٠ مقاتل) وقصدت قتال النبي في المدينة وقطع هذا الجيش مسافة ٣٠٠ كيلو مترا ليصل إلى منطقة بدر، وفي المقابل خرج النبي ﷺ في نحو (٣١٣) رجل، ولم يكن العدد ولا العتاد متكافئًا ولكن كانت النتيجة ما قاله الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[2]، وذلك حين افتتح أبطال الإسلام عليٌّ وحمزة وعبيدة (من أحفاد وأبناء عبد المطلب) المعركة بقتل الوليد وشيبة وعتبة (من أحفاد وأبناء عبد شمس) ثم هبت ريح النصر لتأخذ من أعداء الله ما تأخذ.

◁ ب/ معركة أُحُد:

في شوال سنة ٣ هـ: لم تبلع قريش هزيمتها المدوية بل بقيت

---

(١) نشير هنا إلى كتاب: الرسول القائد: تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب.
(٢) آل عمران: ١٢٣.

غصة في حلقها تذيقها الشعور بالذل والهوان، فاستعدت من جديد لتغزو المدينة المنورة وتنتقم لقتلاها في بدر، فتغسل عنها عار الهزيمة السابقة وقدمت إلى المدينة بثلاثة آلاف مقاتل حتى وصلوا إلى جبل أُحُد (على بعد خمسة كيلومترات تقريبا من مسجد الرسول)، وخرج إليهم رسول الله مع ألف من المسلمين، بعد مشورته إياهم في الخروج، وكانت المعركة بتخطيط رسول الله في اتجاه نصر المسلمين، وبالفعل بدأ الكفار بالهزيمة لولا أن الرماة الذين أمرهم الرسول بأن يثبتوا في موقعهم على الجبل المعروف بجبل الرماة، مهما حصل، هؤلاء انحدروا في طلب الغنيمة فاستغل خالد بن الوليد الفرصة وحمل مع قطعة من جيش الكفار من نفس الجبل، فقلب هزيمة الكفار إلى نصر لهم، وفر في هذه الأثناء كثير من المسلمين (ولا سيما من أصحاب الأسماء اللامعة) بينما بقي علي بن أبي طالب ونظراؤهم ومعهم رسول الله ثابتين في ميدان القتال. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

◁ ج/ غزوة بني النضير:

في ربيع الأول سنة ٤ هـ؛ وكانت ضد يهود بني النضير وكانوا من سكان ضواحي المدينة، وذلك أنهم قد نقضوا عهد المسالمة

(١) آل عمران: ١٥٢.

والموادعة الذي تعاقد النبي معهم عليه أول هجرته إليها، بل وتآمروا على اغتيال رسول الله عندما طلب مساعدتهم في دية قتيلين – وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة – فحاولوا قتل النبي بإلقاء صخرة عليه من أعلى جدار كان قد جلس تحته، وبينما نجا رسول الله بإخبار الله إيّاه عن مؤامرتهم فقد كان ذلك باعثا على إخراجهم من المدينة لخيانتهم تلك، وأمهلهم لذلك شهرًا، فرفضوا فهيأ الرسول جيشًا لقتالهم وحاصرهم عدة أيام، فاستسلموا وخرجوا من المدينة! وقد ذكر القرآن الكريم تلك الغزوة بقول الله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1].

◁ د/ معركة الخندق (الأحزاب):

في سنة ٥ هـ، تلاقت مصلحة يهود بني النضير الذين أخرجهم رسول الله من المدينة المنورة مع مصلحة نظرائهم يهود بني قريظة، وهكذا مع مصلحة كفار قريش الذين لا يزالون يطمعون في القضاء على دعوة رسول الله ودولته، فكان أن أجمع أولئك على مهاجمة المدينة بعد تجميع قواتهم المختلفة، وهكذا حصل حيث استطاعوا جمع ما يقارب من (١٠٠٠٠) عشرة آلاف مقاتل. وبينما جاء كفار قريش بعددهم وعتادهم، كان المفروض أن يقوم يهود

(١) سورة الحشر: ٢.

المدينة الباقون فيها من بني قريظة بالتخريب من الداخل.

ولأن أمر المسلمين كان شورى بينهم فقد تم الأخذ برأي سلمان الفارسي الذي اقترح حفر خندق حول المدينة، يمنع من اقتحامها، وهو الأمر الذي فاجأ المشركين العرب حيث لم يكونوا يعرفوا شيئًا مثله!

وعمد رسول الله إلى خطط متعددة بالإضافة إلى ما سبق من حفر الخندق، ومنها أنه أمر نعيم بن مسعود الغطفاني (وهو من زعماء قبيلته) ولم يعلموا بإسلامه، فأخبره أن يرجع لقومه وأن يبث الفرقة بين المشركين واليهود بإقناع كل طرف منهما أن الطرف الأخر سيخذله، ونجح في ذلك نجاحًا تامّا وكان أحد أسباب تشكيك كل من الطرفين في الآخر وعدم الثقة به، فكان حول المدينة خندق يحميها، وكان ابن مسعود وتفريقه بين اليهود والمشركين، وكان هناك سيف علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جدل فارس قريش الأول عمرو بن عبد ود، عندما اقتحم الخندق وصار في طرف المسلمين، وبضربته التي رجحت على عبادة الثقلين وفي بعض الروايات أفضل من أعمال الأمة إلى يوم القيامة،[1] كان المعركة على وشك النهاية، لتُختَم بريح شديدة لم تترك للمشركين خيمة إلا اقتلعتها، الأمر الذي جعلهم يهربون مكتفين من الغنيمة بالإياب.

---

(١) النيشابوري؛ أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣/ ٣٤ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمُبَارَزَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعَمْرِو بْنِ عَبْدِ وُدٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

◁ هـ/ غزوة بني قريظة:

في سنة ٥ هـ، مع استمرار التآمر اليهودي على رسول الله ودولته، ونقضهم العهد الذي أمضوه معه أول مجيء النبي للمدينة، والذي يقضي بأن يدافع كل من الطرفين عن الآخر، وأن لا يبغي له غائلة، ولا يعين عدوه عليه فإذا بهم كما يقول القرآن الكريم ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾،[1] ينقضون عهدهم مرة بعد أخرى، بل ويحرضون كفار قريش والأعراب على غزو المدينة ويدلونهم على عوراتها، ويشكلون مصدر خوف للمسلمين باعتبار أن هؤلاء اليهود جزءًا من ساكنيها، بل بدأوا بمهاجمة سكانها مع بداية معركة الخندق هذا مع أنهم كانوا مهددين بأنهم سيكونون ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾[2] إلا أنهم استمروا على تآمرهم، فكان أن استجاب النبي لأمر ربه بأنه ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾،[3] فمع انتهائه من معركة الخندق، استدار النبي إليهم وحاصرهم، وقاوم بنو قريظة ما استطاعوا ولكنهم خضعوا في آخر الأمر واستسلموا راغمين فكان في ذلك نهاية وجودهم في المدينة المنورة. ليجتمع من نجا منهم ومن بني النضير مرة ثالثة في خيبر ليهددوا الرسول من جديد وليخوض معهم المسلمون الحرب الثالثة في خيبر بعد سنتين.

---

(١) الأنفال: ٥٧.

(٢) الأحزاب: ٦١.

(٣) الأحزاب: ٦٠.

◁ و/ صلح الحديبية:

في سنة ٦ هـ مقدمة لفتح مكة: حتى هذا الوقت لم يذهب المسلمون من المدينة لزيارة بيت الله الحرام في حج أو عمرة، وكأنّ القرشيين قد اعتبروا الكعبة المشرفة ملكهم يمنعون منها من يشاؤون، فعزم النبي مع المسلمين أن يعتمروا، وأرسل لذلك أحد المسلمين ليخبرهم أنه سيأتي معتمِرًا لا لحرب أو مواجهة.

لكن قريشًا التي فقدت في ماضي أيامها موقعها واعتبارها ـ بهزائمها أمام رسول الله ـ أرادت أن تتمسك بالورقة هذه لمنع المسلمين من العمرة وإثبات أن البيت الحرام تحت سيطرتها! فهذا آخر شيء تملكه. لذلك أرسلت إلى النبي أحد كبارها وهو سُهيل بن عمرو وغايته الأساس هو أن يرد المسلمين عن العمرة لهذه السنة بأي ثمن كان!

ورأى النبي ﷺ، وهو الذي ما دعي إلى خِطة رفق إلا وأجاب، لا سيّما وقد اعترفت به قريش كطرف مفاوضة، وستلزم نفسها ببعض الالتزامات التي سيتبين في ما بعد أن ذلك الصلح كان هو الفتح المبين، ومقدمة لفتوحات أخر كبيرة.

ويتبين للناظر أن رجوع النبي والمسلمين في تلك السنة عن العمرة، وإن كان بحسب الظاهر خضوعًا لإرادة قريش التي أصرت على هذا في مقابل الفوائد التي حصل عليها المسلمون ومنها العمرة في السنة القادمة كان التدبير الأفضل. ومنه يتبين أن

اعتراض بعض المسلمين على ذلك الصلح وإظهارهم الاستعداد للقتال لم يكن موافقا للتفكير الصحيح فضلا عن التسليم للنبي والوثوق بحكمته!

◁ ز/ إنهاء الوجود اليهودي بمعركة خيبر:

في سنة ٧ هـ: تحولت خيبر (تبعد عن المدينة ٩٤ كيلومترا) إلى وكْرٍ يتجمع فيه أعداء رسول الله من اليهود، سواء من بني النضير وبني قريظة وغيرهم، وقد فاجأهم رسول الله ﷺ، بعد عودته من صلح الحديبية، وكانوا قد استسهلوا بقوة المسلمين واستعظموا كثرتهم وقوة حصونهم، فما كان يخطر في بالهم أن يتجرأ المسلمون على مهاجمتهم لكن رسول الله اعتمد معهم ـ كما سيعتمد فيما بعد مع كفار مكة ـ مبدأ المباغتة وإخفاء وجهة سيره وهدف معركته بل وتقطيع وسائل وصول الأخبار لأعدائه.

فكان أن رجع للمدينة حتى دخلت السنة السابعة وفي محرم خرج إلى خيبر في نحو ألف وخمسمائة مقاتل (١٥٠٠) قاصدين فيها حصون خيبر التي كان فيها أكثر من عشرة آلاف مقاتل (١٠٠٠٠).

وقد استطاع النبي ﷺ بعقده الصلح مع كفار قريش وجميع المتحالفين معها أن يحيدهم عن مساعدة اليهود وأن يأمن جانبهم من هذه الجهة، فسيقاتل اليهود وجهًا لوجه من دون خشية من القرشيين وحلفائهم.

وكانت خيبر منطقة مغلقة على اليهود، وفيها ثمانية حصون كبيرة وقد نحتت في الجبال ولا تزال مرتفعة شاهقة يتضح منها مدى قوتها بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنًا، وتقع أراضيهم الزراعية خارج هذه الحصون، وقيل إنهم كانوا يحتاطون لأنفسهم بإعداد المؤن والمواد الغذائية بحيث يستطيعون الصمود مدة سنة كاملة من دون نقص في تلك المؤن.

وعندما وصل المسلمون اعتصم اليهود بحصونهم وأغلقوها عليهم، لكن الفتح كان علويًّا كما في غيرها من المعارك السابقة، فلنترك الرواية التاريخية تتحدث عن حقائق المعركة ففي المصنف قال: لما نزل رسول الله بحضرة خيبر فزع أهل خيبر وقالوا: جاء محمد في أهل يثرب، قال: فبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بالناس فلقي أهل خيبر فردوه وكشفوه هو وأصحابَه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، قال: فلما كان الغد تصادر لها أبو بكر وعمر، قال: فدعا عليًّا وهو يومئذ أرمد فتفل في عينه وأعطاه اللواء قال: فانطلق بالناس، قال: فلقي أهل خيبر ولقي مرحبًا الخيبري، وإذا هو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطلٌ مجرب
إذا الليــوث أقبلت تلهّب ... أطعن أحيانًا وحينًا أضرب

قال: فالتقى هو وعليٌّ فضربه عليّ ضربة على هامته بالسيف، عض السيف منها بالأضراس، وسمع صوت ضربته أهل العسكر، قال: فما تتامّ آخر الناس حتى فتح لأولهم[1]. وفي تفصيل أكثر ذكر صاحب مختصر السيرة النبوية عن مصادره الأمر هكذا قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى خيبر فَهُزِم فرجع، ثم بعث عمر فَهُزِم فرجع يجبِّنُ أصحابَه ويجبِّنُه أصحابُه، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطينَّ الراية غداً رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه يفتح الله على يديه، ليس بفرّار». قال بريدة: بتنا طيِّبةً أنفُسُنا أنَّ الفتحَ غداً. فلما أصبح الناس غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطَى، فقال: أيْن عليٌّ؟ فقالوا: عليٌّ يا رسول الله يشتكي عينيه. فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال عليٌّ (وكان شديد الرمد قد عصب عينيه): ما أُبصِرُ سهلًا ولا جبلًا فذهب إليه النبي ﷺ فقال له: افتح عينيك ففتحها وتفل فيها، ففتح عينه وكأنه لم يرمَد قطّ.

قال علي عليه السلام: ما رَمَدتُ ولا صُدِعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني حين أعطاني الراية.

وأعطى النبي ﷺ الراية عليًّا وقال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. فجبرئيل معك والنصر أمامك والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا عليُّ أنَّهم يجدون في كتابهم أَنَّ الذي يدمِّر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتَهم فقل: أنا عليٌّ فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن أبي شيبة العبسي: مصنف ابن أبي شيبة ٢١/ ١٤.

قال سلمة: فَهَرْوَل علي عليه السلام بالراية وإنّا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فطلع إليه يهودي في رأس الحصن وقال: من أنت؟ قال: عليٌّ بن أبي طالب، فقال اليهودي: غُلِبتُم وما أنزل التوراة على موسى! فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته (شره) فانكشف المسلمون وثبت علي عليه السلام فاضطربا ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن فدخلوه واغلقوه عليهم وخرج مَرْحَبٌ صاحب الحِصن وعليه مِغْفَرٌ يماني قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمت خيـــبر أنّي مرحبُ شاكي الســـلاح بطل مجرَّبُ

فقال علي عليه السلام:

أنا الذي سمتني أمّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة[1]
أكيلكم بالسيف كيل السندرة[2]

فاختلفا ضربتين فَبَدَرَه علي، فضربه فَقَدَّ الحَجَفَة والمغفر ورأسه حتى عضَّ السيف بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته[3].

---

(١) القسورة هو الأسد.

(٢) كيلٌ واسع وكبير.

(٣) البدري؛ السيد سامي: السيرة النبوية: نسخة الكترونية
https://www.albadri.info/books/seerah/index.htm
عن مصادر متعددة كخصائص النسائي ومسند أحمد بن حنبل وتاريخ ابن الاثير ومغازي الواقدي..

ومع قتل بطلهم مرحب، وهجوم عليٍّ عليه السلام على الحصن، وقلعه الباب الضخم، فُتح الحصن وانثال المسلمون الذين كانوا معه إلى داخل الحصن الأول، وهكذا تتابعت الحصون بالسقوط واحدًا بعد الآخر.

وكما انتهت شوكة قريش بضربة علي لعمرو بن عبد ودّ، تلك التي كانت تعدل عبادة الثقلين فقد انتهت شوكة اليهود بضربة علي لمرحب التي قَدَّ فيها الحَجَفَة والمغفر ورأسه حتى عضَّ السيف بأضراسه.

أترى بعد ذلك لمَ اختار النبي عليًّا لمؤاخاته دون باقي المسلمين؟ واختاره وصيًّا له؟ وزوجه ابنته؟ وسدّ الأبواب إلا بابه؟

◁ ز/ انتهاء المواجهة العسكرية مع قريش:

بفتح مكة شهر رمضان سنة ٨ هـ: مع نقض قريش لمعاهدة الحديبية والتي كان فيها أن لا يعين أحد الطرفين حلفاءها على حلفاء الطرف الآخر، وقد أعانت قريش قبيلة بني بكر- حليفتها- في الإغارة على قبيلة خزاعة - حليفة رسول الله - فأصابوا منهم رجالاً.

فأمر رسول الله بتجهيز الجيش في سرّية تامة وانطلق إلى مكة حتى وصلها في ٨ رمضان وكان عدد الجيش نحو عشرة آلاف (١٠٠٠٠) مقاتل، ولم يشعر القرشيون إلا وجيش المسلمين على أبواب مكة فلم يستطيعوا المقاومة!

سقطت قريش بكل عنادها وجحودها، وتهاوى عنها كبرياؤها

الكاذب، وهذا هو رسول الله الذي آذوه وهو في بلده مكة وقتلوا أصحابه ونكلوا بالمؤمنين به، ثم طاردوه خارج مكة وجيشوا الجيوش مرة بعد أخرى لقتله في المدينة المنورة، وتحالفوا مع يهودها تارة ومع أشرار الأعراب ووضعوا لهم الأموال ليحاربوه.. فأظهره الله عليهم، و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[1] فماذا سيصنع بهم رسول الله؟

لقد أخذ الحماسُ سعدَ بن عبادة وقد رأى ذلة قريش وتذكر أيام نكايتها بالمسلمين في المدينة فدخل برايته مكة وهو يقول: اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة، فأمر النبي عليًّا أن يأخذ الراية[2] منه ويهتف: اليوم يوم المرحمة!

واعتلى عليٌّ كتف النبي ﷺ، وأخذ يرمي بالأصنام التي علقت في الكعبة، الواحد بعد الآخر! هذا والقرشيون قد اجتمعوا حول الكعبة ينتظرون قرارات النبي المصطفى!

لقد كانت أعينهم تدور من الخوف في محاجرها! لكثرة وشدة ما ارتكبوه منه.. لكنهم يعرفون من هو وما هو حقيقة، وإن كانوا يجحدون ذلك بألسنتهم!

ها هو يسألهم: يا معشر قريش ماذا تظنون أني فاعلٌ بكم! فقالوا: خيرًا.. أخٌ كريم وابن أخٍ كريم! فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء![3]

---

(١) الفتح: ١.
(٢) ابن هشام: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧.
(٣) المصدر السابق ٤١٢.

انتهى الشرك الظاهري! وانكسرت قوة قريش السياسية! لكنها كفريق سياسي وتيار اجتماعي ذي علاقات خاصة سوف تبقى لتعيد المعركة مع الرسالة والرسول ووصيه بشكل آخر وأساليب خفية، وستشهد ساحة المدينة المنورة بل ساحة الدولة المسلمة بعد الرسول جولات من المعارك على كل المستويات مع خليفة الرسول ووصيه وإمام أمته علي أمير المؤمنين عليه السلام.

◁ ح/ معركة حنين:

في شوال سنة ٨ هـ: مع سقوط قوة قريش بفتح مكة واستسلام القبائل العربية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، خشيت قبيلة هوازن وزعيمها مالك بن عوف من ذلك فبادر إلى جمع جيش كبير قُدر بنحو خمسة وعشرين ألفًا من قبيلته وحلفائها وكانوا في الطائف، واتجهوا نحو مكة التي فتحها رسول الله قريبًا لأجل مواجهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما علم رسول الله بحركة مالك بن عوف وهوازن، خرج من مكة في من جاء معه من المدينة (حوالي عشرة آلاف) وانضم لهم نحو ألفين من أهل مكة، واتجه عليه وآله السلام إلى وادي حنين (وهو يبعد عن مكة بحوالي ٢٧ كيلومترا)، ويشير الباحثون إلى دقة في تخطيط النبي ذاك، فإنه لو وصل العدو إلى مكة، فقد يتجمع القرشيون ـ الذي أسلم كثيرٌ منهم راغمًا لا راغبًا ـ من جديد، وينقلبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان عدد المسلمين نحو اثني عشر ألفًا، وكان جيش هوازن

ضعف هؤلاء، ومع ذلك أعجب ذلك العددُ قسمًا من المسلمين وقالوا لن نُغلَب من كثرة، وقد آذت هذه الفكرةُ رسولَ الله ذلك أنه في طول معاركه كان متيقنًا أنّه ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[1]. لقد كانت نتيجة المعركة واضحة من البداية فبالإضافة إلى تخطيط المباغتة والتخفي الذي رتبه زعماء هوازن، كان الإعجاب بالقوة من العوامل التي جعلت تضحية كل فرد دون المستوى المطلوب، فلم تغن الكثرة شيئا، وقد تحدث القرآن عن ذلك بقول الله سبحانه ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾[2].

ولولا ثبات رسول الله ﷺ في بضعة نفر من بني هاشم، وفي طليعتهم بطل الإسلام علي بن أبي طالب، ثم نداء العباس بن عبد المطلب وكان جهوري الصوت يخبرهم عن ثبات رسول الله وحياته، حتى فاء الكثيرون ورجعوا من جديد، لينصرهم الله سبحانه، وهكذا انقلبت الهزيمة تلك بثبات رسول الله وخلص أصحابه إلى نصر مؤزر غنم فيه رسول الله وجيشه ما ملأ الوادي؛ من السلاح والكراع والإبل والشاء والأموال الكثيرة.

◁ ط/ معركة مؤتة:

في شهر ربيع سنة ٨ هـ: على رأس حوالي ثلاثة آلاف مقاتل (٣٠٠٠) قادهم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي

(١) آل عمران: ١٢٦.
(٢) التوبة: ٢٥.

ليواجهوا امتداد الروم في بلاد المسلمين كانت معركة مؤتة، في الوقت الذي كان فيه عدد النصارى المدعومين من الدولة الرومانية (٢٠٠٠٠٠) مقاتل! دقّقْ في الرقم جيدًا إنه مائتا ألف!

لقد كان العدوان من جهة شرحبيل بن عمرو الغساني والي الرومان على بُصرى (تبعد عن دمشق ١٤٠ كيلومترا) عندما أقدم على قتل مندوب رسول الله ﷺ وهو الحارث بن عمير، وكان قتل الرسل عندهم بمثابة إعلان الحرب على من ينتمي لهم المندوب والرسول!

وتعد تلك المعركة أكبر المعارك من جهة عدد الأعداء، ومع ذلك فقد جرد النبي حملته تلك لتعليم الآخرين أن إراقة دم مسلمٍ ظلمًا تستحق أن يخاض من أجلها معركة، ولو كان المكان على بعدِ مئات الكيلومترات!

فالتقى الجيشان في مؤتة (تبعد عن عاصمة الأردن عمّان بنحو ١٤٠ كيلومترا كذلك) ومع التفوق العددي الكبير لأعداء رسول الله ﷺ حيث يصلون إلى أكثر من ستين ضعفًا، إلا أن المسلمين قاتلوهم طيلة النهار وصمدوا أمامهم، وبالرغم من استشهاد قادتهم الثلاثة (جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة) فما وهنوا وما استكانوا وصمدوا إلى أن صار الليل واختلط الظلام، فانسحب المسلمون راجعين إلى المدينة!

لقد كرست معركة مؤتة قوة المسلمين ودولة الرسول الأعظم

كقوة عالمية، فضلا عن كونها قوة إقليمية يحسب الجميع حسابا خاصا لها، وإنها لقادرة أن تخوض المعارك أمام جيوش كبيرة كان العرب السابقون يخافون حتى من النظر إليها.

وهذه المعركة كانت أول معركة يرفع فيها عدو المسلمين شعار المسيحية. لتتلوها معركة أخرى في نفس البيئة الجغرافية والثقافية، وهي:

◁ **ي/ معركة تبوك:**

في رجب سنة ٩ هـ: استشعر الروم، وهم يعدون أنفسهم القوة العظمى في ذلك التاريخ، قوة المسلمين المتصاعدة بقيادة رسول الله ﷺ من خلال تأسيسهم الدولة في المدينة ثم تحطيمهم قوة اليهود فيها وطردهم منها ثم السيطرة على الجزيرة العربية بهزيمة قريش وسائر القبائل العربية وذلك كله خلال أقل من تسع سنوات، وأخيرًا خوضهم لمعركة حاسمة مع وكلائهم (أي الروم) في مؤتة، وها هي ترسل رسلها للعالم والدول الكبرى في حينها فأراد الروم أن يقضوا على هذه الدولة ويكسروا شوكتها، فجمعوا جيشا من أربعين ألف (٤٠٠٠٠) مقاتل ليتجهوا نحو المدينة المنورة ويقضوا على وجود الإسلام فيها.

في المقابل فإن رسول الله ﷺ لما علم بذلك جمع المسلمين من المدينة وأطرافها ومن حالفه ما يقارب ثلاثين ألف (٣٠٠٠٠) مقاتل ليلتقي بالجيش الرومي في الطريق ولم ينتظر وصوله المدينة،

وقد أعلم الناس وأشاع فيهم أنه خارج لمقابلة الروم، وهو على خلاف طريقته صلوات الله عليه وآله، حيث كان لا يخبر عن مقاصده العسكرية، ويعمّي الأخبار حتى يفاجئ أعداءه لكنه في هذه المرة أعلم الناس قبل خروجه بوقت كاف، وكان يقصد إيصال هذه الرسالة إلى الروم.

بالرغم من ﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وأولئك ﴿ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾[2] فقد خرج في شدة الحر، ومع قلة المؤن والمدد، لكنه كان يتمثل ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[3] حتى إذا وصل إلى منطقة تبوك (تبعد عن المدينة أكثر من ٦٥٠ كيلومترا باتجاه الشام) توقف فيها.

ويظهر أن الروم لما وصلتهم أنباء استعداد رسول الله وعزمه على مواجهتهم ووصوله إلى تبوك مع جيشه لم يكملوا مسيرهم وتراجعوا في الطريق عن المواجهة. وقد أقام رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها، ولم يقدم عليه الرومُ وحلفاؤهم من نصارى العرب وأحجموا عن محاربته، فعاد إلى المدينة ووصلها في شهر رمضان من نفس السنة أي أنه استغرق في خروجه إلى تبوك وعودته منها نحو شهرين من الزمان.

---

(١) الأحزاب: ١٧.
(٢) التوبة: ٤٨.
(٣) التوبة:٥١.

وكانت تبوك مسك الختام في معارك رسول الله ﷺ فما كانت هناك معركة بعدها. وقد عُدت نصرًا للرسول عليهم حيث أحجموا عن المواجهة وتراجعوا قبل وصولهم إلى تبوك. وكرست المواجهة التي لم تحصل في تبوك، موقع رسول الله ﷺ والمسلمين كقوة أولى يخشى الأعداء جانبها ويرغب الآخرون في التحالف معها.

وهي المعركة الكبرى الوحيدة التي لم يشترك فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام جنبًا إلى جنب مع الرسول ﷺ، وحين أرجف المنافقون بأنه ترك ابن عمه لعدم رغبته في مرافقته، كان ذلك باعثًا للرسول أن يقول كلاما يثبت فيه منقبة وفضيلة لعلي عليه السلام ليس لها نظير، وهي قوله له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟[1]

12/ الفترة الحاسمة في حياة النبي

يرى باحثون أن السنتين الأخيرتين من عمر النبي المصطفى ﷺ كانتا حاسمتين لجهات كثيرة نشير إليها في نقاط:

الأولى: إنه بالرغم من انتصار النبي ﷺ على قريش وإنهاء قوتها العسكرية والسياسية، وهكذا الحال بالنسبة لليهود الذين طُردوا من المدينة المنورة على مراحل كما مر بيانه في صفحات مضت، وانتصار النبي المعنوي على المسيحيين والدولة الرومانية

(١) قد بيّنّا في كتابنا حول سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، مصادر هذه المنقبة وأبعادها ومدياتها.

(وهي أكبر قوة في حينها) إلا أنه برز في هاتين السنتين بشكل واضح خط النفاق ـ وقد تعرضنا لجانب منه في فصل سابق،[1] واستجمع الخط القرشي المخالف قوته من جديد، وأعاد تشكيل علاقاته، وبدأ يخطط لما بعد وفاة رسول الله ﷺ، بل تقدم في هذا الاتجاه الباطل خطوات؛ كان منها السعي لاغتيال رسول الله ﷺ، وهو ما عرف بليلة العقبة[2] وهي في تقديرنا أهم حدث في تاريخ

(١) الرسول: صحابته وعترته.

(٢) المقريزي : إمتاع الأسماع ٢/ ٧٤، «ولما كان رسول اللَّه ﷺ ببعض الطريق مكر به أناس من المنافقين، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خبرهم فقال للناس: اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي. وسلك ﷺ العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه، فبينا رسول اللَّه ﷺ يسير في العقبة، إذ سمع حسّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردّهم، فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، وأتى حذيفة فسار به. فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال: يا حذيفة، هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول اللَّه، عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل»، وقد الفت بعض الباحثين إلى أن مصادر مدرسة الخلفاء مع أنها أوردت الحادثة إلا أنها لم تعطها حجمها الحقيقي وتجاوزتها بهدوء مع أنها عملية اغتيال مدبرة وكان ابطالها من «أصحاب رسول الله، ومن قريش ، ونحو ١٥ أو ١٤ شخصا» بل صرفت نحو أشخاص غير حقيقيين مثل عبد الله بن أبي وهو لم يكن في معركة تبوك وأوردوا أسماء لا شأن لهم في مثل هذه المحاولة. كما ألفت إلى أن هذه الحادثة تحرج تماما أصحاب نظرية عدالة الصحابة .. وتحرج الخط القرشي بشكل واضح ولذلك قيل أن بعض زعماء هذه الخط كانوا يسألون حذيفة عما إذا كان اسمهم ضمن القائمة !

الدعوة الإسلامية، فقد كان أرباب هذا الخط يعارضون النبي ﷺ في مواضع مختلفة وعلانية في كثير من الأحيان وكان النبي يدفع ذلك بالتي هي أحسن بحسب كل حادثة وواقعة، لكن أن يبدأ هذا الخط بالتفكير في اغتيال النبي ﷺ، ثم يقوم بتنفيذ ذلك بخطة بحسب الظاهر محكمة لولا ستر الله سبحانه، فهذا يعتبر تصعيدا كبيرا للغاية في معارضة هذا الخط للنبي وخطواته. والعجيب أن هذه الحادثة لم تنل من المحدثين والمؤرخين ـ من مدرسة الخلفاء ـ ما تستحق من العناية، وكأن لسان الحال فيها يقول: يكاد المريب أن يقول خذوني!

بل يرى البعض بأن النبي ﷺ، إنما خلّف ابن عمه عليًّا عليه السلام في المدينة لوجود الأخطار المحيطة بها لا سيما والرسول قد خرج في جيش من ثلاثين ألف إلى تبوك وهذا يعني خلوّ المدينة تقريبا من الفئة المقاتلة المطيعة لرسول الله ﷺ، فلم يبق فيها إلا «المعذرون» والمتقاعسون والذين رضوا بأن يكون مع الخوالف والساقطون في الفتنة، ومثل هؤلاء سيكونون أقرب إلى دنيا الخط القرشي منهم إلى دين الخط العلوي، كما أن حسابات هذا الخط كانت تعتمد على أن النبي ﷺ، سيهزم في حربه مع بني الأصفر الروم،[1] وكانوا يتمنون ذلك.

---

(١) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٥: كان بعض من خرج منهم في الجيش يقول لبعض: «أَتَحْسِبُونَ جِلادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَاللهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِينَ فِي الْحِبَالِ».

تدارك رسول الله الأمر فجعل على المدينة أقرب الناس إليه وأفضل أصحابه، مع أن مواقعه في الحروب لا تنكر وكانت الحاجة إليه بحسب الظاهر ملحة في معركة تبوك على تقدير حصولها.

ونحن ننظر ـ يقول الباحثون ـ إلى ما قاله المنافقون وأعداء الخط العلوي من أنهم أشاعوا في المدينة لما أعلن النبي أنه سيخلّف عليًّا عليها، بأنه إنما تركه فيها لعدم رغبته فيه، نظرة أبعد من الظاهر، بمعنى أنهم سيتركون النبي بمقالتهم تلك بين أحد أمرين صعبين؛ فإما انه للرد عليهم سيتراجع عن قراره ويستصحب عليًّا معه، فيتحقق ما يريدون من خلو المدينة من النبي أو من يقوم مقامه بصدق! أو لا يتراجع فتتحقق مقالتهم في أن النبي يكره علي بن أبي طالب ولا يطيق صحبته!

فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يضرب ضربة معلم، فيبقي عليًّا عليه السلام في المدينة وفي نفس الوقت يعطيه وسامًا قد يتجاوز كل ما سبق من منازله ومقاماته وهو «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»؟[1]

وفي نفس هذا السياق نستطيع أن نفهم قضية مسجد الضرار[2]

---

(١) بالإضافة إلى ما سبق وقدمناه في باب مناقب الإمام من معاني هذا الحديث؛ نلفت النظر هنا إلى تشابه الموقعين، فموسى النبي كان يخشى على رسالته من تخريب السامري والنبي المصطفى يخشى على دعوته من تخريب الخط القرشي!

(٢) مسجد بني لأبي عامر الذي كان يعرف بأبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وعظمه المشركون. عندما جاء الإسلام فر أبو عامر إلى الكافرين، فاتفقت طائفة من المنافقين على بناء مسجد وسمي بمسجد الضرار، لأنه بني على أساس الإضرار بالمسلمين واجتماعهم، وقد أمر رسول الله بتخريبه

أيضًا، فإن المنافقين بهذا العمل أرادوا إيجاد بيئة اجتماعية خاصة بهم ينفصلون بها عن تأثير رسول الله ويتناقشون فيما بينهم خططهم.

الثانية: في الطرف المقابل كان رسول الله ﷺ يعمل ما في وسعه لكيلا تتحقق آمال المنافقين والخطوط المائلة، فكان لا يترك مناسبة إلا ويظهر فيها فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكونه اللائق بمقام رسول الله ﷺ، ففي هاتين السنتين (من ٨ إلى ١٠) للهجرة حديث قصة المباهلة، وذلك أن النبي قد وجه لأسقف نصارى نجران ورئيسهم الديني يدعوه إلى الإسلام، مثلما أرسل إلى سائر الممالك والقبائل غير المسلمة، وقد كان هؤلاء مطلعين على حركة رسول الله ﷺ، وانتصاراته المتتابعة، وكانوا يقرأون في كتبهم البشائر به، إلا أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم على دين سماوي، وبالتالي فلا حاجة لهم بدين آخر، ولهذا أرسلوا وفدا لرسول الله يتألف من ستين شخصا من علمائهم ووجهائهم، ووصلوا إلى المدينة ودار بينهم وبين رسول الله ﷺ حوار، لم يستجب هؤلاء إلى أدلة رسول الله وحججه الدامغة، فكان أن وصل الأمر إلى المباهلة، التي نزل بشأنها آي القرآن ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1]، فخرج النبي ﷺ، وترك

بعدما جاء الأمر الإلهي باجتنابه بعدما عينه بأنه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فامر بأن ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآيتان ١٠٧ و١٠٨ من التوبة.

(١) آل عمران: ٦١.

كل المسلمين صغارهم وكبارهم وشريفهم ودنيهم! واختار أهل بيته للمباهلة، فكان علي عليه السلام هو المعني بقول الله ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ وكانت فاطمة هي المعنية بقوله ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ وكان الحسنان هما المعنيان بقوله تعالى ﴿أَبْنَآءَنَا﴾.

وقد تحدث العلماء كثيرا في موضوع المباهلة، ورأى بعضهم أن هذه الآية هي أعظم منقبة في حق علي بن أبي طالب حيث أنها جعلته في مقام (نفس النبي).

وكذلك كان الأمر في تبليغه سورة براءة للقرشيين فإنه في السنة التاسعة، وبعد أن خضعت الجزيرة العربية لسيطرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، جاء الأمر الإلهي للنبي بأن يغير ما سنه المشركون في بيت الله الحرام من سنن باطلة، وأنه بعد هذا لن يدخل المسجد مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وأن من كان له عهد عند رسول الله فإلى مدته، ومن كان بلا عهد فلا ينبغي أن يكون في مكة إن كان مشركًا.

ولتبليغ هذا الأمر ـ وهو الثقيل ـ على القرشيين، والمنذر بمواجهة، فقد أمر الرسول أبا بكر بن أبي قحافة ليقوم بهذه المهمة، فذهب إليهم، وإذا بالأمين جبرئيل ينزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويخبره بأنه لا يؤدي عن الله عزوجل إلا النبي نفسه أو من يكون كنفسه وهو علي بن أبي طالب[1].

وثالثة الحوادث ما كان من أمر اليمن، التي استعصى أهلها

(١) انظر الأحاديث الواردة في تبليغ سورة براءة ويمكن البحث عنها بعبارة «لا يؤدي عنك إلا رجل منك».

على من ذهب إليها، وكان آخرهم خالد بن الوليد الذي ما فتئ يخوض بمن معه المعارك، حتى مَلّ ومُلّ. من غير نتيجة واضحة.

فإذا برسول الله يبعث ابن عمه عليًّا إلى اليمن، فما أسرع ما استجابت قلوبهم، وتسارعت حركتهم للإيمان برسول الله ﷺ، حتى لقد اشتهر عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله فيهم؛

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام.

وحين أخذ بعضهم الحسد من علي عليه السلام وانجازاته وجاء لرسول الله شاكيًا عليًّا، لم يقبل منه النبي ذلك وتوج علي بن أبي طالب بهالة جديدة من المناقب والفضائل.

الثالثة: لكي يُعلم المسلمين جميعا بمنزلة علي بن أبي طالب وكونه خليفة عنه على أمته، فقد أعلنَ في مجتمع المدينة أنه سيحج هذا العام فليأت معه من أحب لكي يأخذ مناسكه عن النبي ويحج بحجه وقد كرر هذا النداء مرارا وبعث في ضواحي المدينة ونواحيها من يخبر المسلمين عن هذا الأمر. فاجتمع عشرات الآلاف ليحجوا بحجه وانطلق في السادس والعشرين من ذي القعدة للسنة العاشرة فيما سمي بحجة الوداع.

وقد خطب النبي في تلك الحجة مرارًا وأكّد فيها على أنه راحل عنهم وأنه تارك فيهم ما إن تمسكوا به لن يضلوا: كتاب الله وعترته أهل بيته، لكنه في طريق العودة وبعدما فرغ من حجه صلوات الله عليه وآله، جاءه الأمين جبرئيل ليخبره عن الله عزوجل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ فكانت قصة الغدير[1] التي نصب فيها النبي عليًّا عليه السلام، مولى للمؤمنين بل هو أولى بهم من أنفسهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلم يبقَ بعد هذه التصريحات والمواقف وإيكال المهمات الاستثنائية، في شأن خلافته وقيادة الأمة شيء إلا ما سيأتي من محاولته كتابة الكتاب الذي لن يضلوا من بعده وهو الوصية الأخيرة بأن يتبعوا عليًّا فهو خليفته،[2] وهو الأمر الذي كان يؤكده النبي من بداية دعوته بدءا من يوم الدار والإنذار فيه، وإلى يوم الغدير، والذي تصدى الخط القرشي فيه[3] لمنعه من ذلك تصديًا

(١) حيث أوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوافل الحجيج بعد أن أتموا حجهم في مفترق الطرق عند غدير خم، وخطب في الناس خطبته المشهورة حيث قال «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأمر المسلمين جميعا بالسلام عليه بإمرة المؤمنين فبايعوه وكان ممن بايعه الخلفاء الثلاثة وكبار أصحاب النبي. وفيها أنشأ حسان بن ثابت قصيدته المشهورة.. وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا من هذه السلسلة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) يشير إليه محاورة الخليفة عمر وابن عباس كما عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢/ ٢١ حيث جاء فيه قول عمر لابن عباس: يا عبد الله عليك دماء البُدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه، فقال: صدق، فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في امره ذرْوٌ (كلام مجمل) من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في امره وقتا ما ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك!

(٣) الصورة المخففة ما جاء في البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: هَلُمَّ أَكْتُبْ

قويًّا، والغريب أنهم فيما بعد افتروا على علي بن أبي طالب أنه لم يحب أن يسأل رسول الله لأنه إن منعهم إياها حُرموها إلى آخر العمر،[1] وكأنّ النبي لم يخبر خلال هذه المدة! وكأن عليًّا لم يفهم كلمات النبي المختلفة في المواضع المتعددة خلال حياته الشريفة!

13/ ارتحال النبي لخالقه: (مَاتَ أَوْ قُتِلَ)؟

يتنازع هذا الموضوع اتجاهان؛

١/ اتجاه الميتة الطبيعية يرى أن النبي ﷺ قد مات ميتة طبيعية، من غير تدخل خارجي وأنه كان مريضًا، مرضًا انتهى به إلى الوفاة.

لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهَّ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: قُومُوا، قَالَ عُبَيْدُ اللهَّ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ».

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٢: عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم: أن عبد الله بن عباس أخبره: «أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ».

ولعل هذا الاتجاه يتبناه المشهور في مؤرخي ومحدثي مدرسة الخلفاء، ويمكن لهم أن يقدموا الأمور التالية في تأييد ما ذهبوا إليه:

الأول: أن عمر النبي ﷺ حين توفي كان (٦٣) وهو عمر طبيعي ـ في تلك الأزمنة، فقد نقل عن النبي ﷺ أن «أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[١]. فقد توفي مثلا أبو بكر وعمر بن الخطاب وعمرهما ٦٣ سنة. فإذا كان كذلك فالأمر طبيعي.

الثاني: أنه لا يمكن أن يقتل النبيَّ أحد من المسلمين ممن يؤمن به كرسول من الله عز وجل، خاصة وهو الرؤوف الرحيم بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى، ويستبعد ما قيل من أن يهودية سمته في كتف شاة، وأنه تأثر بذلك السم بعد عدة سنوات! حيث أن محاولة التسميم كانت في خيبر سنة ٧ هـ ووفاته كانت في سنة ١١ هـ! على أن بعض الروايات تشير إلى أنه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة لأنها أخبرته ـ إعجازيا ـ أنها مسمومة!

إلا أن المشكلة أنهم يروون أن موت النبي كان بسبب تلك الأكلة، وأنه قال «ما زلتُ أجد من الأَكْلَة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، فهذا أوان انقطاع الأبهر مني» فماذا يصنعون في هذا؟ لقد ابتكر الزرقاني في شرح المواهب اللدنية حلّا فقال:[٢] بالمعجزة لم

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي. ورواه الترمذي وابن ماجه.
(٢) الزرقاني؛ محمد بن عبد الباقي: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٨ / ٢٦٠.

يؤثر السم فيه في نفس الوقت، وإنما بعد ثلاث سنوات ليكرمه الله بالشهادة!!:

الثالث: أنهم يفسرون الآية المباركة ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾[1] بأنها لا تثبت قضية القتل، وإنما تعدد أنحاء الموت التي تحصل على الأنبياء كغيرهم، وأنهم سواء ماتوا أو قتلوا فإن ذلك لا يبرر انقلاب أتباعهم على الرسالة، فإن حاله سيكون مثل موت الرسل السابقين، بالقتل أو الموت.

الرابع: إن الجزم بكونه صلى الله عليه وآله وسلم قد قُتل، وأن ذلك قد تم بهذه الطريقة المعينة، وأن من قام به هو فلان أو فلانة، يحتاج إلى روايات متواترة تفيد القطع، ولا يكتفى فيها بشمول عمومات، أو وجود رواية واحدة حتى لو كانت صحيحة السند ما لم تكن متواترة وواضحة الدلالة.. وإذ لا يوجد ذلك فلا.

٢/ اتجاه أنه مات مقتولا: ونال الشهادة حيث أكرمه الله بها وهذا المعنى يظهر من قسم من اتباع مدرسة الخلفاء وقد ذكروه عن ابن مسعود والزهري، لكن مع تقييده بأنه بسبب سم اليهودية، والتوجيهات الآتية لا تتصل بهذه الفئة.

---

(١) ال عمران: ١٤٤

كما أنه هو الغالب في رأي الإمامية[1] لا سيما في الفترة الأخيرة، ويتم توجيه هذه الفكرة بما يلي:

أولا: أن القرآن الكريم قد صرح بذلك في الآية المباركة ﴿**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ**﴾ بتفسير (أو) بمعنى (بل) للترقي، وهو أحد معانيها كما ذكر اللغويون ذلك وفسروا الآية المباركة ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**﴾[2] بأن معناها بل يزيدون،[3] حذرًا من الترديد المؤدي إلى الجهل بعددهم تعالى الله عنه.

وثانيًا: بأن الشهادة مرتبة عالية من المراتب ولا يعقل أن يخلو منها سيد الأنبياء وأفضل الخلق، ولأن تكون عنده أحرى من أن لا تكون.

وثالثًا: بما ورد من الروايات من طريق الإمامية وهي تفيد بأنه «ما منا إلا مقتول أو مسموم». وهي تشمل بعمومها رسول الله ﷺ، كما شملت عترته المعصومة.

ورابعًا: بأن رسول الله ﷺ كان مستهدفًا بالاغتيال طيلة حياته، بدءًا من ليلة المبيت على يد مشركي مكة، وما أعقبها من

---

(١) وقد أشار إليه الشيخ الصدوق وعدّه من عقائد الشيعة حيث قال: «اعتقادنا في النبي ﷺ أنه سُمّ في غزاة خيبر، فما زالت هذه الأكلة، تعاوده حتى قطعت ابهره فمات منها... وقد أخبر النبي والأئمة أنهم مقتولون ومن قال: إنهم لم يقتلوا فقد كذبهم...» اعتقادات الصدوق: ١٠٩-١١٠.

(٢) الصافات: ١٤٧

(٣) تفسير الطبري ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: معنى قوله (أَوْ): بل يزيدون.

مطاردتهم إياه حتى وصلوا إلى الغار الذي كان النبي بداخله وأرخى الله عليه ستر حمايته له، ثم محاولة يهود بني النضير اغتياله بإلقاء صخرة عليه، وذلك حين ذهب يستعين بهم في دية قتيلين، وقد ذكرنا ذلك عند الحديث عن إجلاء النبي لهم بعد تلك الحادثة. ومحاولة اليهودية زينب بنت الحارث تسميم النبي بعد فتح خيبر في لحم شاة (وهي التي يتم الحديث عن تأثيرها على النبي في مصادر مدرسة الخلفاء). ومحاولة المنافقين والخطوط المنحرفة في المسلمين باغتياله في العقبة بعد العودة من غزوة تبوك.. وهكذا.

لكن يبقى سؤال مَن الفاعل في هذه العملية؟

فإن قبلنا رواية مدرسة الخلفاء وهكذا ما ذكرناه عن الشيخ الصدوق آنفا، فهي تسجل الاغتيال على امرأة يهودية وتغلق الملف، وإن كانت تبقى تثير سؤالًا حقيقيًا عن إمكانية أن يؤثر السم ـ إلى درجة الموت ـ بعد ثلاث سنوات، وخصوصًا مع القول بأن كتف الشاة المسموم أخبر النبي بصورة اعجازية بأنه مسموم فلفظه بعدما أكل، أو أنه لم يأكل!

وإن رفضنا تلك الطريقة لمشكلاتها.. ومع ملاحظة المقدمات السابقة، فقد يرى بعض الباحثين بأن التسميم تم من داخل البيت النبوي![1]

(١) قال السيد جعفر علم الهدى لذلك يحتمل قويّاً ـ كما يظهر من بعض رواياتنا ـ انّه توفّي بسبب السمّ الذي دسّته إليه بعض أزواجه
https://research.rafed.net / وهكذا جعله السيد جعفر مرتضى العاملي في

ولكن يبقى السؤال هل يمكن أن يحصل هذا؟ وهل هناك قرائن مقنعة لحصوله؟ أو أن هناك أسبابًا داخلية تدعو إلى فعل هذا الأمر؟

وتبقى مسألة أخرى أيضًا: وهي ارتباط هذا بعصمة الله إياه من الناس، ووعد الله إياه ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فهل تشمل عصمة الله جل شأنه له ﷺ هذا المورد أيضا؟ أو أنه مستثنى؟ أو أن العصمة خاصة بما كان مرتبطًا بالتبليغ؟

كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣٣/ ١٧٦ محتملًا لوجود روايات تشير إليه. وتبناه الشيخ نجاح الطائي في كتابه السيرة النبوية ٢/ ٣١٢.

مصادر المسلمين
عندما تشوّهُ صورة النبي

من يقرأ آيات القرآن الكريم وهو دستور الله الكامل لحياة البشر، وفيه مناهج الحياة الطيبة من عقائد وأحكام وأخلاق، يجد في آياته إعلاءً لمقام هذا النبي الكريم وإعلامًا للمسلمين بعلو منزلته، فترى في آياته كما سيأتي تفصيله في بحث لاحق، حتى على مستوى اللفظ فضلا عن المعنى، فهو إذا خاطب سائر الأنبياء والرسل مع جلالتهم يخاطبهم بأسمائهم فيقول ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ و﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ و﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ﴾ لكنه عندما يخاطب نبيه المصطفى ﷺ يناديه بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ في موضع آخر يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ ولا يخاطبه باسمه المجرد بأن يقول مثلا

(يا محمد)[1] وربط محبة الله والدليل عليها باتباع رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، وطاعته بطاعته ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ واسمه تعالى باسمه ﷺ فكانت الشهادتان؛ لله بالوحدانية ولمحمد بالنبوة والرسالة بوابة الدخول للإسلام، وعلامة الدعوة للصلاة وإقامتها. ووصفه ربه وهو العظيم الذي يتواضع له كل شيء ويخضع له كل عظيم، وصفه بأنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] ونص القرآن على عصمته من خلال ربط طاعة الله بطاعته، وجعلها طاعة مطلقة ليس فيها استثناء، فهو مطاع في كل شيء يأمر به! وجعل من علامات المؤمنين أنهم لا يترددون في التضحية بأنفسهم عن نفس رسول الله وهو عليٌّ عليه السلام فضلا عن أن يرغبوا بأنفسهم عن النبي! ويأتي بقية حديث في الفصل الخاص عن مقاماته ومناقبه صلوات الله عليه وآله.

فمن العجيب والغريب بعد هذا أن نجد أن ما جعل عند مدرسة الخلفاء في مرتبة نازلة عن القرآن وأصح كتاب بعد كتاب الله، وهو الذي يغذي بما فيه عقيدة القسم الأكبر من أبناء الأمة المسلمة، يحتوي على أمور لا تليق بحال خاصة المؤمنين فضلًا عن الرسول الكريم، ونحن هنا إنما نشير إليها لندعو كافة المسلمين إلى

(١) وبالنسبة لأول سورة طه ويس، فإن الأمر فيها عندهم مختلف، بين كونها أسماء للنبي أو ليست كذلك!

(٢) وقد يقال في تفسيرها أنها تختلف عن إنك لذو خلق عظيم، وإنما هو ﷺ فوق الخلق العظيم ومستعليًا عليه.

رفض هذا التقصير في حق رسول الله، وإلى لزوم التفكير الناقد لما يقرأونه.

ونقول بوضوح تام: إن أي رواية ـ سواء كانت في مصادر السنة أو الشيعة ـ إن كانت تؤدي إلى الإخلال بمنزلة رسول الله الثابتة له، أو تنسب له شيئًا غير لائق بمقامه، فلا بد من رفضها وإن كان رواتها جميعًا عدولًا ثقات! فالقرآن هو أصدق القائلين وقد أثبت للنبي تلك المنازل التي ذكرنا قسما منها آنفًا.

وقد تتبع العلامة النجمي في كتابه أضواء على الصحيحين[1] تلك الموارد المختصة برسول الله ﷺ والتي وردت في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما والتي لا تتناسب مع مقام الرسول، ونورد قسمًا ممّا ذكره:

أولا: هل كان الرسول الأعظم يأكل من الذبائح التي تذبح على النُّصُب والأوثان؟ قواعد التعظيم والتنزيه للنبي وكونه تحت رعاية الله سبحانه مذ كان فطيمًا[2] تقول كلا، لكن ما جاء في صحيح البخاري يخالف هذا ويرى أن النبي كان يأكل منها بينما كان زيد بن عمرو بن نفيل يتعفف عن ذلك ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه![3] وأعجب منه ما جاء في مسند أحمد حين أكمل

(١) النجمي؛ الشيخ محمد صادق أضواء على الصحيحين،، ص ٢٣٣

(٢) قال الامام علي: «قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره».

(٣) صحيح البخاري ٧/ ٩١ عن رسول الله ﷺ: «أنه لقي زيد بن عمرو بن

الرواية بالقول: فما رؤي النبي ﷺ من يومه ذاك يأكل مما ذبح على النُّصُب حتى بعث!

وهل كان يهدى له الخمر؟ يعتقد الإمامية أن هذا الكلام كذبٌ من أي قلم صدر وفي أي كتاب وُجد! فإن الخمر كان لا يقربها حتى غير المؤمنين بوجود إله، لما فيها من الآثار السيئة! فكيف كان يهدى له ـ والعياذ بالله ـ الخمر؟ ولكن مسند أحمد يروي رواية يظهر منها أن النبي كان ـ نعوذ بالله ـ يؤتى بالخمر من بعض باعته فعن نافع بن كيسان أنه قال: «إن أباه كيسان أخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن النبي ﷺ، وإنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله جئتك بشراب جيد، فقال رسول الله ﷺ: يا كيسان إنها حرمت بعدك!»[1].

ونقول: إن شخصًا كان طيلة حياته قبل البعثة يأكل ما ذُبح على النصب والأوثان، ويؤتى بشراب الخمر الجيد قبل تحريمه.. هذا لا نعرفه في زمرة الأنبياء. إنما نعرف نبيًّا اصطنعه الله على عينه لنفسه منذ كان في عالم الأنوار وقبل خلقة الخلق، وهو سيد البشر محمد ﷺ.

ثانيًا: من الثابت عندنا في العقائد أن النبي ﷺ، لا يسهو..

نفيل بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه.»!

(١) مسند أحمد ٣١/ ٢٩١.

إلا أن صحيح البخاري ينقل عن أبي هريرة حادثة لم يكن في وقتها قد أسلم أو جاء إلى المدينة، تفيد بأن النبي قد سها في الصلاة وسلم على ركعتين وتحدث مع الناس واستدبر القبلة! فلما نبهه أحدهم إلى ما فعل.. أكمل صلاته وكأن شيئًا لم يكن![1]

ثالثًا: وهل كان رسول الله ينسى سور القرآن؟ إن الله سبحانه يخبر عنه أنه لا ينسى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[2] إلا أن ما هو في صحيح البخاري خلاف ذلك! فعن عائشة أنها قالت: «سمع النبي ﷺ قارئًا يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية، أسقطتها من سورة كذا وكذا»[3]. وسيكون ذلك القارئ ـ بهذا الحديث ـ أحفظ للقرآن وأذكر من رسول الله

---

(١) صحيح البخاري١/ ١٠٣ عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي قال ابن سيرين: سماها أبو هريرة، ولكن نسيت أنا قال: فصلى بنا ركعتين ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له ذو اليدين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس، ولم تقصر. فقال: أكما يقول ذو اليدين؟. فقالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك..

هذا مع اتفاقهم على أن ذا اليدين (الشمالين) قد قتل في معركة أحد سنة ٣ هـ، فمتى شهده أبو هريرة الذي جاء في سنة ٧ هـ؟ وكيف يقول: صلى بنا؟

(٢) الأعلى:٦

(٣) صحيح البخاري ٦/ ١٩٤.

الذي نسي آيات أسقطها من عدة سور! فأين إخبار الله أنه سيقرئه فلا ينسى بعد ذلك؟

وما الذي يطمئننا إلى أن النبي ـ والعياذ بالله ـ قد نسي آياتٍ أو سورًا ولم يجد أحدًا يذكره بها؟

ونسيان رسول الله ﷺ للآيات، وإن كانت بلية وطامّة إلا أن الأطمّ منها ما زعم من أنه سُحِر حتى أصبح لا يعقل ما يصنع.. قالوا كما في البخاري[1]: «سحر رسول الله ﷺ رجلٌ من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله». ونسأل: كم استغرق هذا السحر المزعوم؟ أيامًا أو أسابيع أو شهورًا؟ وماذا كان تكليف الناس في هذه الفترة؟ وإن قصرت.. هل يطيعون رجلا مسحورًا لا يعقل ماذا يصنع؟ هل كان يخيل إليه أنه قد صلى ولم يصل؟ أو يخيل له أنه قد توضأ وهو لا يزال على غير وضوء؟ كيف كانت عباداته؟ وكيف هي أوامره ونواهيه؟ نعوذ بالله من هذا الافتراء على نبيه!

رابعًا: صحيحٌ أن النبي بشرٌ ولكن الله أدبه فأحسن تأديبه فلا تجد مكرمة أخلاقية إلا وله النصيب الأعلى فيها والدرجة النهائية! ولذلك لا يمكن أن يؤذي أحدًا بسبٍّ أو تعدٍّ لفظي فضلا عن الاعتداء البدني بالجلد ونحوه! لكن أبا هريرة في صحيح مسلم[2]

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٣٦.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠٨ ومثله في البخاري: «سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول «اللهم! إنما محمد بشر. يغضب كما يغضب

له رأي آخر، حين يقول إن النبي لما كان بشرا فإنه يغضب كما يغضب البشر ويتصرف كما يتصرفون، من السب والجلد والإيذاء.. زعم أن النبي دعا ربه أن يجعل ذلك للمسبوب والمجلود كفارة وقربة! أنبيٌّ هكذا يتصرف هو الموصوف بقول الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟

خامسًا: وبينما يشدد الدين على اجتناب النجاسة ومنها البول ويرى أن أكثر عذاب أهل النار هو من عدم توقيهم من ذلك، وكذلك يؤكد على الابتعاد في قضاء الحاجة عن أعين الناس، ترى الرواية في هذه المصادر أن النبي يبول واقفا فقد رووا أنه «أتى النبي ﷺ سباطة قوم خلف حائط فبال قائمًا». هكذا بينما ينقلون عن أبي موسى الأشعري أنه يشدد في البول!! ومع أنهم ينقلون في مواضع أخر عن أنه من حدثكم أن رسول الله بال قائمًا فكذبوه! وأنه نهى عن البول قائمًا.

سادسًا: ونعتقد أن ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة من أنه «جاء حَبَش يزفنون[1] في يوم عيد في المسجد. فدعاني النبي ﷺ. فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم»[2] لا يمكن أن يكون صحيحًا وإن

البشر. وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه. فأيما مؤمن آذيته، أو سببته، أو جلدته. فاجعلها له كفارة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

(١) قوم من الحبشة، ويزفنون يعني يرقصون.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٦٠٩.

جاء في الصحيح عندهم، لأنه لا يتوافق مع قداسة النبي ﷺ، بل لا يتوافق مع مكانة عامة المؤمنين، ولا يمكن تصحيحه بوجه لأنه لا يتوافق مع ما وُقف له المسجد ـ خصوصًا ـ النبوي! فقد وقف للعبادة لا لرقص الحبشة!

وسابعًا: ما ذكروه عن حياته الزوجية والتي تصور النبي ﷺ في صورة شخص شهواني ـ نعوذ بالله ـ مشغوف باللذة البدنية ومشغول بها، وتروى هذه الأحاديث الباطلة عن بعض خدمه أو زوجاته، فيسيل لها لعاب بعض المستشرقين ممن يبحثون في الأرض والسماء عن مثلبة ومنقصة في رسول الله، فلا يجدون ليجدوا بين أيديهم هذا الكنز! فقد رووا أنه «كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، وله يومئذ تسع نسوة»[1] «بغسل واحد»، وحين رأى بعضهم أن هذا العدد قليل بالنسبة لليلة كاملة، روى ما هو أكثر: «كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين»[2]. ولا أحد يعلم كيف علموا ذلك؟

وغيرها من الموارد في غيرها من الكتب والمصادر!

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٦٥ ..وجاء المتأخرون منهم ليقعوا في إيراد ومصرف، في كيف يتفق هذا مع كون كل زوجة لها ليلة خاصة، ولا تشاركها فيها غيرها؟ فهل كان يخرج منها ويذهب إلى غيرها؟ ثم كيف يتسق هذا مع كونه يقوم الليل كله إلا قليلا كما في القرآن؟ مع ملاحظة أنهن كن تسع نساء!

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦٢.

استخلاص: يرى بعض الباحثين أن هذه الأحاديث وأمثالها لم تكن عفوية وإنما يراد لها أن تكون أرضية لما بعدها! فإذا كان النبي بشر يغضب ويسب فلماذا تسجل أحاديثه باعتبارها وحيًا وهو الذي قالته قريش صراحة لعبد الله بن عمرو بن العاص ناهية إيّاه عن تسجيل كل ما يصدر عن النبي! بل ما المانع من أن تتم مراقبة كلماته وتمنع بحسب المصلحة العامة؟ فإذا كان يهجر (!) فلا ينبغي أن يصغى لمطالبه! بل لا بد من الاقتصار فيما بعد على آيات الكتاب وحسبنا كتاب الله، فلا بد من منع تدوين السنة النبوية وكتابتها ونشرها.. وهو ما حصل بالفعل.

وإذا كان بشرًا يرضى ويغضب ويحب ويكره فلماذا تعتبر كلماته أوامرَ حين يقول في ابن عمه عليٍّ «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»؟ أو يقول في عترته «كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي» إنما هي ساعة الرضا منه (والأريحية) ولا تعني شيئًا في العقيدة!

وكذلك عندما يغضب من جماعةٍ ويلعنها ويسميها بالشجرة الملعونة في القرآن، ويأمر بالبراءة منها فلا ينبغي ان يؤخذ ذلك على محمل الجد وإنما هي ساعة الغضب والانفعال الذي لا يسيطر فيه الإنسان على أقواله!

وإذا كان يمكن أن يكون النبي مسحورًا فإنه يحتاج إلى من يصلح ما يتخذه من قرارات، وما يرتئيه من اجتهادات ولا يسلم

بها بالكامل! فإذا أمر أن يذهب بعض الأصحاب تحت راية أسامة بن زيد ليكونوا خارج المدينة حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، فلا ينبغي أن يتعامل مع هذا الأمر على أنه شيءٌ نهائيٌّ بل يمكن أن يُعدَّل ويغير، ويتم تجاوزه أيضًا! لمَ لا؟

مقامات رسول الله في القرآن الكريم

حيث أن المعرفة تزيد في الإيمان ومن الثواب؛ يلزم أن نتعرف بصورة أوسع على مقامات رسول الله ﷺ ومنازله. أما كونها تزيد في الإيمان فهو واضح، فإن كثيرا من الانحراف عن العقائد الصحيحة راجع إلى الجهل بها أو المعرفة الناقصة. وقد دلت الروايات على أن زيادة المعرفة بالله، والنبي، بل وحتى الفرائض توجب زيادة في الأجر الأخروي.

ومن أفضل المصادر للتعرف على مقامات النبي الكريم ما جاء في القرآن من آيات، لجهة كونها وحيًا قطعيًا لا يتسرب إليه الشك، ولا يعتريه ما يعتري الروايات من احتمال الزيادة والنقصان وأمثال ذلك.

وينبغي أن نشير إلى أننا نتعرض لهذه المقامات ونستوحي دلالاتها من آيات القرآن الكريم مع اعترافنا بعجزنا عن تتبع كل ما جاء في القرآن مما يشير إلى منازله، فهذه لا يطيقها إلا المعصوم،

بل وفي كل مورد من الموارد بحيث نحيط بأبعاده، ولكن حيث أنه لا يترك الميسور بالمعسور نذكر ما تيسر في نقاط:

1/ التوقير في مقام الاسم والنداء:

نلاحظ في القرآن الكريم أن الله سبحانه قد وقر نبيه الكريم بصورة لا مثيل لها في سائر الأنبياء والمرسلين ـ على جلالتهم ـ وبالرغم من أن ذكر اسم بعض الأنبياء كموسى في آيات القرآن هو أكثر من ذكر اسم رسول الله المصطفى إلا أن الفرق كبير في طريقة النداء والخطاب، ففيما نادى الله أنبياءه ورسله باسمهم المجرد، نادى رسول الله باللقب، وشتّان بين الأمرين (مع أن الجميع عباده وهو خالقهم). فإن الله يناديهم بأسمائهم فهو سبحانه يخاطب آدم بقوله ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[1] ونوحًا بقوله سبحانه ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[2] وإبراهيم بقوله سبحانه ﴿يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾[3] وموسى بقوله تعالى ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[4] وعيسى بقوله ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5].. وهكذا سائر الأنبياء والرسل. بينما عندما يخاطب الله تعالى نبينا محمدا ﷺ، يناديه هكذا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا

(١) البقرة: ٣٥.
(٢) هود: ١٢١.
(٣) هود: ٧٦.
(٤) طه: ١٧.
(٥) المائدة: ١١٦.

﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[1]، وفي موضع آخر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] ويقول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾[3] ويقول أيضًا ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[4].

وبشيءٍ من التتبع رأينا أن نحو (٣١) مرة استعملت كلمة (النبي) إما مسبوقة بياء النداء مع التفخيم (يا أيها) أو بدونها في الإخبار عن رسول الله وشؤونه، واستعملت كلمة (الرسول) كذلك نحو (٥٠) مرة بنفس الترتيب السابق، وما عثرنا على نداء من الله للرسول باسمه المجرد الصريح كأن يقول: يا محمد أو يا أحمد![5]

نعم؛ هناك بعض الموارد ذكر القرآن فيها اسم النبي ﷺ

(١) الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦.
(٢) المائدة: ٦٧.
(٣) الأحزاب: ٢٨.
(٤) المائدة: ٤١.
(٥) طه ويس، من الحروف المقطعة في بدايات السور القرآنية وقد أورد العلامة الطباطبائي في الميزان ـ ناقلا عن الطبرسي في مجمع البيان ـ أن الأقوال فيها أحد عشر قولا، ومن الأقوال في خصوص طه ويس، أنها عبرية ومنها أن طه فعل، ومنها أن الكلمتين خاصتان بالرسول ﷺ وخصوصا في الفترة الأخيرة. وكما قال الشيرازي في تفسير الأمثل أن (طه) كـ(يس) قد أصبحت تدريجيًّا وبمرور الزمان اسمًا خاصا للنبي ﷺ، حتى أنهم يسمون آل النبي ﷺ آل طه أيضا، وعبر عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في دعاء الندبة بـ(يا بن طه).

صريحًا، وهي تلك التي لا يتأدى فيها تمام المعنى الذي أراده إلا بذكر الاسم الصريح، فقال في بشارة المسيح عيسى بمجيء النبي الكريم ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ فهنا لا بد من تعريفه بالكامل وباسمه الصريح وإلا لا تتم تلك البشارة!

وبالنسبة لاسمه الشريف «محمد» فقد جاء في أربعة مواضع في القرآن؛ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾[1]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾[3]، ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[4]. وأنت ترى عزيزي القارئ أن المعنى هنا لا يكون واضحا إلا بالتسمية المباشرة، فلو أبدلت كلمة محمد هنا بكلمة الرسول أو النبي، لا يصل المعنى المطلوب.

ومع هذا التوقير الكبير من خالق الكون للنبي العظيم نتعجب بعد ذلك من أنه كيف كان يتعامل بعض أصحابه معه، من التقدم عليه في الكلام، والوقوف أمام أوامره. بما لا ينبغي من الاحترام حتى أنزل الله سورة هدد فيها الفاعل لذلك بإحباط أعماله وعدم قبولها[5].

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) محمد: ٢.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) سورة الحجرات ٢ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾.

وقد يكون هذا النمط من الاحترام والتوقير للرسول من العباد أمرًا مطلوبًا وطبيعيًّا لكن أن يكون من الله سبحانه وهو خالق النبي، والنبي هو أعبد عبيده! فهو أمر ملفت للنظر، خاصة مع المقارنة بسائر المرسلين وحتى أولي العزم منهم.

2/ الصلاة عليه من ربه والملائكة:

وهذه مرتبة لم نعهدها في نبي أو رسول، وصيغة الأمر لم نعهدها في أمرٍ من الأوامر التشريعية، فإن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1] والناظر للآية المباركة بتأمل يأخذه العجب! فما من واجب من الواجبات في الشرع قد بدأه الله سبحانه بهذا النحو، على عظمة تلك الواجبات، بحيث مثلا أن يقول: إن الله يجاهد لنصر دينه فيا أيها المؤمنون جاهدوا، أو إن الملائكة يصومون أو يؤدون الفرائض فيا أيها المؤمنون افعلوا ذلك! لكنه هنا في ما يرتبط بالصلاة على النبي (وآله) يقدم هذه المقدمة: إن الله والملائكة يصلون.. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه!

كذلك لم نعهد أن الله سبحانه فعل ذلك بنبي من الأنبياء والمرسلين، بحيث يكون هذا حالة دائمة ومستمرة، بينما الآية المباركة حيث أن بصيغة المضارع (يصلون) تفيد الدوام والاستمرار، وكأنها تقول إن هذه الصلاة كانت مع الله سبحانه ثم مع الملائكة وهي مستمرة خالدة.

(١) الأحزاب: ٥٦.

ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى وجوب الصلاة على النبي ولو مرة في العمر، واستفادوا ذلك من صيغة الأمر(صلّوا عليه)، والصحيح أنها مستحبة في أعلى درجات الاستحباب، وينبغي المداومة عليها، ولها آثارٌ معنوية وأخلاقية وأخروية يحتاج كل من هذه العناوين إلى حديث خاص بها.

وتختلف صلاة الله سبحانه على نبيه عن صلاة العباد من الملائكة والإنس والجن، من جهات؛ فمن حيث المعنى كانت «صلاة الله رحمة من الله، وصلاة ملائكته تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له»[1] ومن حيث الكمية والمقدار فإن فعل كل فاعل هو بقدره، وعطاء كل معطٍ بحجمه، فإذا كان الفاعل للصلاة والمعطي هو الله سبحانه الذي لا يحده شيء فلك أن تتصور هذا العطاء بالنظر لما قدمناه من أن صلاة الله سبحانه كانت على نبيه منذ خلق الخلق أو أسبق ومستمرة إلى ما لا نهاية له في الزمان، وهكذا الحال في الملائكة الذين يكون عدد البشر بالقياس إليهم كذرة رمل في صحراء مترامية الأطراف، وكل هؤلاء يصلون على النبي (وآله)، ثم البشر مأمورون إن كانوا يطيعون الله بذلك.. فهل ترى شرفًا يعدل هذا الشرف؟ ومنزلة تقارب هذه المنزلة؟

ثم إن الصلاة التي أجملها القرآن الكريم في معناها وقد بيّنها المعصوم كما عن الإمام الكاظم عليه السلام آنفا، كما أجمل حدودها وصيغتها فهي تحتاج إلى تبيين في هذه الحدود وتلك الصيغة، وقد

(١) روى الصدوق أيضًا عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:

بينها رسول الله ﷺ، أما حدودها فهي تشمل (آل النبي محمد) وأما صيغتها فقد وردت في أحاديث عنه، ويجمع ذلك الحديث المشهور «أَنَّ رَجُلًا أَتَى نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم (!)، فَقَالَ: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[1].

وللأسف فإن اتجاه التنكر لأهل بيت النبي ﷺ قام بخطوتين في هذا الاتجاه؛

الأولى: أنهم «عوّموا» تلك الحدود وجعلوها مفتوحة، فبدلا من كون تلك المنزلة بالمقاييس التي ذكرناها آنفا، خاصة لرسول الله ﷺ، وهو قام بتعيين حدودها بحيث تشمل آل محمد، إلا أنهم أضافوا عليها أزواجه![2] مع أن سياق الحديث لا ينسجم مع

(١) سنن النسائي٣/ ٤٨: ومن العجيب المضحك أن من نقلوا هذا الحديث وفيه تعليم النبي إياهم الصلاة عليه وأنها بإضافة آل محمد، لكنهم مع ذلك يتركونها في نفس السطر، فانظر إلى الحديث أعلاه، فإن نصه هكذا: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم!! وهو ينقل بعده أن النبي يقول: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، فكان أول الناقلين للحديث هو أول التاركين لسنة النبي وتعليمه! وترى مصادر مدرسة الخلفاء تعنون الباب: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم! وكذلك نقله المعجم الكبير للطبراني١٧/ ٢٥١: والمشكلة أننا قد ننقل من مصادرهم ـ نصًّا لكيلا يقال زاد أو نقص ـ فننقل هذه الصلاة البتراء!

(٢) فترى في الصحيحين صيغة أخرى وهي: صحيح البخاري ٤/ ١٤٦: أبو حميد الساعدي «أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول

إضافة الأزواج، بغض النظر عن علاقاتهن مع رسول الله ﷺ فيما صرح به القرآن، فإن المشبه به وهو النبي إبراهيم لم يأت فيه ذكر لأزواجه، مما يعلم به أنه تم إضافة هذه الكلمة في الأحاديث تلك. بل أراد بعضهم جعلها شاملة للأمة كاملة!![1]

والخطوة الثانية؛ أنه تم اتخاذ قرار رسمي ـ على مستوى العالم الإسلامي ـ بعدم الالتزام بتعليم رسول الله ﷺ، لأمته بأنهم إذا أرادوا أن يصلوا عليه فليقرنوا آله معه، حتى يمكن أن يُعرَف اليوم المسلمون غير أتباع أهل البيت بعلامة لا تخفى وهي قصر الصلاة على النبي وترك الآل، مما يعد مخالفة صريحة لتعليمه ﷺ. فبمجرد أن ترى شخصا يبتر الصلاة المحمدية[2] تعرف أنه من أتباع المدرسة الأخرى، وتتعجب من شخص يكون من مدرسة الخلفاء ومع ذلك يشمل بالصلاة آل النبي!

◁ اعتناء الإمامية بذكر الصلاة على محمد وآله:

التزامًا من الإمامية الإثني عشرية بما ورد عن الرسول الكريم

الله ﷺ قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٨٩ «وقالت طائفة من أهل العلم: الأهل معلوم، والآل الأتباع.

(٢) الهيتمي؛ أحمد بن حجر: الصواعق المحرقة ٢/ ٤٣٠. ويروى «لاَ تصلوا عَلّي الصَّلَاة البتراء!» فَقَالُوا: وَمَا الصَّلَاة البتراء؟ قَالَ: «تَقولُونَ اللَّهُمَّ صل على مُحَمَّد وتمسكون بل قُولُوا اللَّهُمَّ صل على مُحَمَّد وعَلى آل مُحَمَّد»

بواسطة أئمتهم، وعن أئمتهم أيضًا قد اهتموا اهتماما كبيرا بذكر الصلاة على محمد وآله، حتى أصبحت من العلامات التي يعرفون بها بين كل المسلمين[1]، وتجد التربية على الالتزام بذكر الصلاة بهذا النحو تبدأ مع الطفولة المبكرة، كما تجد هذا الذكر حاضرا في كل مناسبة، ففي الأفراح تكون الصلوات المحمدية حاضرة، وفي الأحزان كذلك، وفي المجالس والمحاضرات في أول الافتتاح وفي ختامه، بل وكلما ذكر اسمه ﷺ، وفي الأدعية فلا تجد دعاء ـ في الغالب ـ إلا مبدأه الصلاة وختامه كذلك بل قد يكون جوهره هو الصلاة على النبي وآله[2]. ويرون ذكر الصلاة على محمد وآله، كذكر التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير في استحبابها وآثارها.

والحديث في هذا كثيرٌ، والمجال هنا لا يتسع للاستقصاء، فسنقتصر على بعض الأحاديث الواردة عنهم في شأن ذكر الصلاة على محمد وآله.

فعن رسول الله ﷺ: «من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة عليّ فإنها تكشف الهموم والغموم، وتكثر الأرزاق، وتقضي الحوائج» وهذه من الآثار والنتائج التي تترتب على الإكثار من الصلاة على محمد وآله.

---

(١) حتى عاب عليهم (ويا للعجب) بعض المسلمين ما سماه بالمبالغة في الصلوات على محمد وآله!!

(٢) نشير هنا إلى الصلوات المحمدية الشعبانية التي يدعى بها في كل يوم من أيام شهر شعبان «اللهم صل على محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة.. الى آخر الدعاء».

وشبيه ما سبق في تأثير الصلاة على محمد وآله في قضاء الحوائج: ما ورد عن الصادق عليه السلام، من قوله: «إنّ في كتابِ عَلِيٍّ عَليه السّلام: إنّ الثناءَ على الله، والصلاةَ على رسولِه قبلَ المسألة».

وأما ثوابها فمما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن صلّى على محمّدٍ وآلِ محمّدٍ عشراً، صلّى اللهُ عليه وملائكتُه مائة مرّة».

وعن أحدهما (الباقر والصادق) عليهما السلام: «ما في الميزان شيءٌ أثقل من الصّلاة على محمّدٍ وآلِ محمّد، وإنّ الرّجلَ لَتُوضَعُ أعمالُه في الميزان، فتَميلُ به، فيُخرج صلى الله عليه وآله الصلاةَ عليه، فيضعُها في ميزانه، فترجح».

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «إنّ الصلاة على النبيّ وآله تهدَمُ الذّنوبَ هدمًا»[1].

وإن المنزلة العالية لهذا الذكر بين سائر الأذكار لأن الذاكر فيه يجمع بين أصول الإسلام والإيمان الأساسية، وهذا واضح بالتأمل في مفرداتها. فعندما يقول «اللهم» فهو يعترف بوحدانية الله ويتوجه إليه، وهو يعمق بذلك أصل التوحيد عنده، وإذا قال: «صلّ» فإنه ينظر إلى مجازاة الله تعالى لنبيه في إعلاء درجته في الجنان وهذا يستبطن مبدأ الإيمان بالمعاد والجزاء في يوم القيامة. والإتيان باسم «محمد» يعني الاعتراف بنبوته صلى الله عليه وآله، وأما «آل محمد» فهو

(١) هذه الروايات وغيرها تجدها في كتاب: النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين لمؤلفه حسين طالب.

يعني الاعتراف بإمامتهم وقيادتهم وأنهم خلفاء النبي واختيارهم من بين سائر الخلائق.

3/ تكفل الله تعالى برفع ذكره ﷺ

فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]؛ فالناظر يرى أن شرط دخول الإسلام هو الاتيان بالشهادتين (أشهد ألّا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) والنطق بهما عن اعتقاد، فإذا قال ذلك ترتبت عليه أحكام الإسلام، وصارت له حقوق المسلم، ولو اكتفى شخص بالشهادة بالتوحيد وترك ذكر الرسول ﷺ، لم يُعدّ مسلمًا، ولم يكتف الباري سبحانه بهذا وهو اشتراط دخول الإسلام بذكره ونبيه الكريم، بل قرن العبادات بذكر النبي ﷺ، فما من صلاة يدعى إليها في مكان من الدنيا بالأذان إلا وذكر فيها النبي المصطفى ﷺ، وهذا يعني أن ذكره حاصل في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، بملاحظة أن المسلمين منتشرون في مختلف بقاع الأرض، ومنذ طلوع الفجر في أدنى نقطة في شرق العالم إلى مثلها في غرب العالم، مرورًا بالنهار والليل حيث يوجد مسلمون فهم يرفعون الأذان ويذكرون رسول الله ﷺ، كما يذكرون ربهم في الأذان، والحال نفسه في الإقامة التي بها تقام الصلوات حيث تحتوي على ذكره صلوات الله عليه وآله والشهادة له بالرسالة.

وقد قارن بعضهم بين إبراهيم عليه السلام ونبينا المصطفى في هذا،

(١) الشرح:٤

فقال: إن إبراهيم سأل ربه ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1] فأعطاه، بينما النبي محمد ﷺ، أعطي ذلك بلا سؤال منه! فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ .

وقد ذكر بعض العلماء بأن أحد معاني صلاة الله على نبيه هو رفع ذكره وإعلاء شأنه.

4/ وأقسم بحقه وحياته

فقال سبحانه ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[2] وقد جاء في تفسير الطبري «عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحدٍ غيره، قال الله تعالى ذكره ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾»[3].

وقد ذكر العلامة المجلسي عن تفسير فرات الكوفي، بسنده عن الأعمش قال: خرجت حاجًا إلى مكة، فلما انصرفت بعيدًا رأيت عمياء على ظهر الطريق تقول: بحق محمد وآله رد علي بصري، قال: فتعجبت من قولها وقلت لها: أي حقٍّ لمحمد وآله على الله؟ إنما الحق له عليهم!

فقالت: مَهْ يا لُكع والله ما ارتضى هو حتى حلف بحقهم، فلو لم يكن لهم عليه حقٌّ ما حَلَف به!

---

(١) الشعراء: ٨٤

(٢) الحجر:٧٢

(٣) الطبري؛ محمد بن جرير: تفسير الطبري جامع البيان١٧/ ١١٨.

قال: قلت: وأي موضعٍ حلف؟ قالت قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ والعَمْر في كلام العرب الحياة.

قال فقضيت حجتي ثم رجعت فإذا بها مبصرة في موضعها وهي تقول: أيها الناس أحبُّوا عليًّا فحبُّه ينجيكم من النار، قال: فسلمت عليها وقلت: ألست العمياءَ بالأمس تقولين: بحق محمدٍ وآله رُدّ عليَّ بصري؟ قالت: بلى، قلت: حدثيني بقصتك، قالت: والله ما جُزتَني حتى وقف عَليَّ رجلٌ فقال لي: إن رأيتِ محمدًا وآله تعرفينه؟ قلت: لا ولكن بالدلالة التي جاءتنا، قالت: فبينا هو يخاطبني إذ أتاني رجلٌ آخر متوكئًا على رجلين فقال: ما قيامك معها؟ قال: إنها تسأل ربها بحق محمد وآله أن يرد عليها بصرها فادع الله لها، قال: فدعا ربه ومسح على عيني بيده فأبصرت..»[1]

5/ وأخبره بأنه يعطيه مقدار رضاه:

فالناظر إلى الآيات القرآنية يرى عجبا في أن الله سبحانه وتعالى وهو الخالق يتطلب رضى نبيه وهو المخلوق، ومن دون أن يطلب رسول الله ﷺ من ربه ذلك الأمر، يقول ربنا سبحانه جل شأنه ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾،[2] وليس هذا فحسب بل أخبره الباري سبحانه بأنه سوف يعطيه حتى يرضى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

(١) المجلسي: بحار الأنوار٤٢/ ٤٥.
(٢) البقرة: ١٤٤.

﴿رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[1] وقد عُدّت هذه من أرجى الآيات القرآنية كما نقل الفخر الرازي عن الإمام الباقر قوله: «أهل القرآن يقولون: أرجى آية قوله: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[2] وإنّا أهل البيت نقول: أرجى آية قوله: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾»[3].

ومن المؤلم أن يتم التقصير في حق هذا النبي الكريم الذي يعطيه ربه العظيم كل مناه ومطالبه، حتى قبل أن يفوه بها، فإذا به تسوقه الأمور إلى أن يبتغي مرضاة أزواجه،[4] لكي يحافظ على بناء أسرته! فيحرم على نفسه ما أحل الله له، في القصة المعروفة.

6/ وعلم المسلمين الأدب مع رسول الله:

فأنزل سورة الحجرات لتتكفل آياتها بتعليم المسلمين منزلة رسول الله ﷺ ومقامه الرفيع، فأمرهم بأن لا يتقدموا على الرسول في شيء، وإنما يكونون تابعين له في أوامره ونواهيه، وكذلك أن لا يرفعوا أصواتهم عنده، أو يجهروا له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويعارض أحدهم الآخر فإن نتيجة ذلك أن لا تقبل عباداتهم، وأن تحبط أعمالهم[5].

---

(١) الضحى: ٥.

(٢) الزمر: ٥٣.

(٣) الرازي؛ فخر الدين: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب ٣١/ ١٩٤.

(٤) التحريم:١ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

(٥) سبب نزولها كما في صحيح البخاري ٦/ ١٣٧ هو ما جرى بين أبي بكر وعمر،

وحذرت السورة المباركة من أن الذين ينادون النبي ﷺ من وراء الحجرات هم خارجون عن دائرة العقلاء، وكان الأجدر بهم أن يصبروا حتى يخرج النبي لهم، وأن يكونوا كأولئك النفر الذين يغضون أصواتهم ـ وغض الصوت هو من علامات الخضوع الكامل ـ وذلك لا ريب هو خير لهم.

هذه النقاط ـ مع أننا لم نستوعب كل آيات القرآن الكريم وإنما أوردنا نماذج منها ـ كلها في التوقير والتكريم وبيان المنزلة العالية لهذا النبي العظيم.

وأما الكلام عن مراتبه ومقاماته ـ من الناحية العقدية والدينية ـ وما الذي يجب له من الحقوق اللازمة، فإليك إياها، ونستكمل بها النقاط السابقة بحسب التسلسل:

7/ من هو النبي محمد في القرآن؟

إن القرآن يصرح بأن النبي محمدًا ﷺ هو ذلك الذي قد حظي برعاية الله سبحانه ونظرته إليه منذ كان في أصلاب آبائه ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[1] وبالرغم من أن

من النزاع وارتفعت أصواتهما عند رسول الله ﷺ، فقد روى بسنده أنه «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلى - أو: إلا - خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ حتى انقضت الآية».

(١) الشعراء: ٢١٨ـ ٢١٩

التفسير الظاهري للآية المباركة يشير إلى أن الله سبحانه يرى النبي حال قيامه الليل وحين يصلي جماعة بالمسلمين الساجدين، إلا أن هناك احتمالًا آخر أشارت إليه بعض الروايات من طريق مدرسة الخلفاء، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام وهو أن المقصود من ذلك هو كونه يتقلب في أصلاب الساجدين الطاهرين حتى أخرجه الله تعالى، ومنها رواية ابن عباس قال «﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال: من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبيًّا»[1]. وفي نفس المعنى أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «لم يلتق أبواي في سفاحٍ، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة، صافيًا مهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»[2].

ونفس هذا الحديث نقله الشيخ الصدوق في كتابه الأمالي[3] عن جابر بن عبد الله الأنصاري. وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ ، قال: في أصلاب النبيين صلوات الله عليهم أجمعين» وهو الذي أشار إليه الطبرسي في مجمع البيان بقوله «وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله، صلوات الله عليهما، قالا: في

(١) العسقلاني؛ ابن حجر: مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ٢/ ٩٨. وقد وصف ابن حجر العسقلاني الإسناد بأنه حسن.
(٢) الأصبهاني؛ أبو نعيم: دلائل النبوة ص٥٧.
(٣) ابن بابويه؛ الصدوق: الأمالي ص ٧٢٣.

أصلاب النبيين، نبيٍّ بعد نبيٍّ، حتى أخرجه من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح، من لدن آدم عليه السلام»[1].

8/ ما كان أبا أحد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم النبيين: يذكر المؤرخون سبب نزول هذه الآية، وأنها جاءت لإبطال ما كان عليه المشركون من الاعتقاد الباطل من أن زوجة المتبنى هي كزوجة الابن الحقيقي تحرم على متبنيه، وذلك أن زيد بن حارثة الشيباني كان قد استرق في الجاهلية وبيع في مكة فصار ملك خديجة بنت خويلد عليها السلام فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهبته إياه، فأعتقه النبي وصار ولاؤه له! وأحسن إليه فلما علم أهله بأنه في مكة جاؤوا يستعيدونه ولو بأغلى الأثمان، فأخبرهم النبي أنه إن اختارهم فلا يطلب ثمنًا، وإن اختار النبي فلا يستطيع قهره على الرحيل، وعندما عرض الامر على زيد، اختار رسول الله، فلما رأوا منه ذلك تبرأوا منه، ونفوا انتسابه لهم! فقال رسول الله هنا ـ كما ذكر المؤرخون ـ زيد ابني! ولعل ذلك لأجل ترميم حالته من تبري اسرته منه! لكن نظام التبني كان موجودا في قريش! وعندما زوجه النبي بنت عمته زينب بنت جحش ولم يتفقا، زوج الله نبيه منها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾[2] فأرجف المنافقون هنا بأن رسول الله قد تزوج زوجة ابنه وهو عارٌ

(١) الطبرسي: مجمع البيان ٧/ ٣٥٨.
(٢) الأحزاب: ٣٧

ومنقصة ومحرمٌ، فنزلت الآية المباركة، لتنفي هذا الانتساب، إذ بالتبني الاجتماعي لا يكون المتبنَى ابنًا حقيقيًّا، ولا المتبنِي أبًا!

وعرفت الناس بعظيم منزلته وأنه رسول الله وخاتم النبيين!

والعجيب أنه مع وضوح المراد منها فإن بعض الحاكمين الظالمين في الأمة أراد تعميمها لتشمل الحسنين عليهما السلام وأنهما ليسا أبناء رسول الله بمقتضى قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾! والرد الواضح عليهم هو أنه هل ينفى بذلك العموم بنوة إبراهيم بن رسول الله؟ لأنه ليس أبا أحد من رجالكم؟ قطعًا لا! وأين موقع آية المباهلة ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ فهل يتناقض القرآن وتتخالف آياته؟

9/ وإنك لعلى خلق عظيم

بالرغم من أن الآية هذه جاءت في سياق الرد على الكفار الذين اتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتهم مختلفة كاذبة من أجل فصل الناس عنه، وحجب دعوته عنهم، فكان مما اتهموه به الجنون الذي برأه الله منه فقال ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1] وتعقبها بهذه الآية وكأنها دليل على تلك التبرئة فقد قال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ويريد بقوله هذا: ومن كان على خلق عظيم فلا يعقل أن يكون مجنونًا.

غير أن هذه الآية أصبحت أم الباب في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشخصيته، وذلك لما احتوت عليه من جهات؛ منها: أن وقت نزول هذه الآية كان في أول الدعوة بقرينة أنها تعالج اتهامات قريش

(١) سورة ن: ٢.

والكفار والتي كانت في أول دعوة رسول الله. وفي ذلك الوقت تحدث القرآن عنه بأنه لعلى خلق عظيم، ومعنى ذلك أنه تحلى بتلك الأخلاق العظيمة قبل أن يكون مبعوثا، وهذا ما أشارت إليه روايات عن أهل البيت عليهم السلام [1] وكأنها كانت بمثابة المقدمة التي ترتب عليها نتيجة أن يفوض الله إليه أمر عباده.

ومنها ما أشرنا إليه في ما سبق، من عناصر التوكيد اللفظي والمعنوي في الآية المباركة، فمن جهة الألفاظ استعمل الباري سبحانه (إنّ) التي هي للتوكيد، وحتى الخطاب أيضًا فيه شمة التوكيد وكأنه يقول: أنت لا سواك، وربما يكون هذا أبلغ من الإخبار عنه بالغائب، وكذلك فقد استعمل اللام التي جاء سابقة لحرف الجر، وهي للتوكيد أيضا، ونفس استخدام (على خُلُق)، بما يفيد معنى الاستعلاء والتجاوز والفوقية على الخُلُق، وأخيرًا توصيف ذلك الخلُق بالعظيم، فإذا جاء هذا التوصيف من العظيم الذي غيره يكون كل شيء حقيرًا وصغيرًا، دل على عظمة ذلك الخُلُق الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) منها ما روي من «إنّ الله أدّب محمّدًاه صلى الله عليه وآله وسلم فأحسن تأديبه فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال: فلمّا كان ذلك أنزل الله عليه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فلمّا كان ذلك فوّض إليه دينه فقال: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وشبيه بها رواية الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إنّ الله عز وجلّ أدّب نبيّه فأحسن أدبه، فلمّا أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمّة ليسوس عباده، فقال عز وجل: ﴿مَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

وهذه الآية تكشف عن مقدار تأثير أخلاق رسول الله في الدعوة إلى الله، وإقناع الغير بحقانية الإسلام. وفي نفس الوقت تجيب على كثير من الأسئلة الحائرة؛ مثل أنه لماذا لم يقتل النبي المنافقين الذين كانوا في المدينة حوله؟ ولماذا لم يقم بخطوة استباقية في معاقبة من يعلم أنهم سوف يفسدون على المسلمين ديانتهم وشريعتهم في المستقبل؟ وأمثال ذلك والتي عبر عنها أحيانا بقوله: إنه يكره أن يقال إن محمدا يقتل أصحابه. وهو هنا كان يقدم المنطق الأخلاقي على المنطق السياسي والذرائعي الذي يسمى بالواقعي!

كما أن هذه الآية المباركة تصلح أن تكون مقياسًا صارمًا لبيان بُعد وقُرب الروايات عن الحقيقة، فإذا جاءت رواية تقول إن النبي عبس وتولى عن الأعمى! فإن آية وإنك لعلى خلق عظيم ترفض هذا رفضًا تامًّا، فإن هذا السلوك المذكور لا يفعله من كان على خلق بسيط فكيف بمن كان على خلق عظيم؟

10/ رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم

حريص عليكم، رؤوف رحيم: هذه الصفات التي جاءت في آية واحدة ترسم للعرب والمسلمين صورة رائعة للنبي محمد، فهو من جهة: من أنفسهم (جمع نفس) وهذا يحقق مقدارًا من الألفة وينفي الغربة، فلا هو من جنس آخر كالملائكة والجن لا يعرف الإنس أبعادهم وطريقة حياتهم، ولا هو من الإنس الغرباء الذين قد يستوحش الشخص من معاشرتهم.

وهو (إنسان) من صنف متميز، إذ أن مشاعره وقلبه الرحيم بلغ حدًّا يعز عليه ما يسبب العنت والتعب والأذية للناس، بل يتأذى بسبب ذلك وإن كان لا مدخلية له في تعب الناس، لكنه يتأذى بحصوله لهم، وهو حريص على مصالحهم ويسعى لتحقيقها. عن هذا النبي الكريم يقول ربنا ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

11/ مهماته الرسالية:

تميز النبي المصطفى بأنه قد بعث للجن والإنس وهؤلاء على اختلاف ألسنتهم وأعراقهم وديانـاتهم، ليؤمنوا برسالته الخاتمة لسائر الرسالات، فقال ربنا سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[2]. وكل كلمة من هذه الكلمات والصفات لها أبعادها.

وقد اختير من قبل ربه بعناية كافية، ليؤدي هذه المهام كما لا يستطيع أحد غيره أن يؤديها، ولذلك اعتبر انتخابه واصطفاؤه لها (منّةً) على المؤمنين به، وقد ذكرها الله تعالى وذكّر بها، مع ذكر العطايا والمنّ بها على الآخذين لها قد لا يكون محبّبًا لكنه هنا، لعظمة العطية مع عدم سؤالها من قبل المستلمين لها، ذكرها الله تعالى فقال ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

(١) التوبة:١٢٨.
(٢) الأحزاب: ٤٦.

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1]. ولعمري إن القيام بمهمة تعليم الآيات وهي أشبه بالقواعد الكلية والاعتقادات العامة وخريطة الحياة، ويقوم في نفس الوقت بالتربية الأخلاقية والنفسية فيرتقي بالإنسان بالتزكية والسمو، وأخيرا يعلمهم أحكام الدين وهي السبيل الحكيم لإدارة النفس والمجتمع.. إن القيام بكل ذلك لشخص واحد هو أمر صعب فكيف إذا كان المطلوب قيادة المجتمع كله بهذا الاتجاه؟ وكم من الوقت والجهد يحتاج؟ لكنه ﷺ فعل ذلك فأدى المهمة وبلغ الرسالة.

12/ رحمة للعالمين:

هكذا اختصر القرآن الكريم وجود رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ووقوع الرحمة بين النفي والاستثناء يفيد القصر والحصر، يعني غرض إرسال الله إياه للعالمين هو الرحمة بهم لا شيء غير ذلك.

ولعل القارئ الكريم يلحظ العلاقة بين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وهما صفتا الله سبحانه اللتان تفتتح بهما سور القرآن وأعظم تجلّ لله في خلقه إذ ما من شيء في الخلق إلا وهو يشهد برحمانية الله ورحيميته، و﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وبين أن النبي هو ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

كما يلحظ أن الرسول ليس رحمة للمسلمين فقط وليس للناس وإنما للعالمين (إنسهم وجنّهم)، بل صالحهم وطالحهم، ولعلك تسأل قد عرفنا الصالح وكونه رحمة له فماذا عن الطالح والفاسق، وجوابه: أنه رحمة عظيمة له في مستوى أن لا يعذب بعذاب الاستئصال كما كان في الأمم السابقة، فإن الله سبحانه وتعالى قد تكرم على الناس بأن لا يعذبهم والرسول فيهم فمنع عنهم أنواع العذاب التي كانت شائعة في الأجيال السابقة عليه، من الطوفان العظيم، والريح العقيم، والخسف السحيق، وغيرها. وهذه النعمة إنما كانت لأن رسول الله رحمة للعالمين بمن فيهم هؤلاء العصاة، فلا يحل عليهم هذه الأنواع من العذاب.

ومن جهة أخرى فرحمة النبي تامة في حد ذاتها وشاملة حتى لهذا العاصي والطالح لكن عصيانه وسوء اختياره وفحش قوله وفعله هو الذي يمنع هذه الرحمة من أن تؤثر أثرها، وتفعل فعلها، وهذا شبيه بالشمس التي تشرق على البَر والفاجر وفيها قابلية نفع الجميع لكن الفاجر مثلا لو غطى عينه عن نورها فما ذنب الشمس هنا لو اصطدم بالجدار أو وقع في الحفرة؟

وقد يؤكد هذا المعنى ما نقل في أحواله ﷺ، من رحمته حتى بالكافرين ـ ولو لجهات أخر ـ أن قومه الذين حاربوه وجهدوا على قتله أنّه لم يدع عليهم، فهبط عليه جبرئيل وقال له: «إنّ الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد أمر ملك الجبال تأمره بما شئت فيهم، وهبط عليه ملك الجبال وعرفه امتثالا لأمره»،

فقال ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله تعالى، ولا يشرك به شيئًا»[1] وروي عنه في موضع آخر وقد طلب منه بعض أصحابه أن يدعو على الكافرين بعذاب كما صنع نوح عليه السلام حين قال ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2] فقال: «إني لم أبعث لعّانًا، وإنما بعثت رحمة»[3].

بالطبع الفارق كبير بين كونه رحمة للصالح المؤمن وكونه كذلك للطالح والكافر، فإن رحمته بالمؤمن شاملة عامة في حياته الدنيوية والدينية والأخروية، بينما هي لذاك هي في حدود كفايته عذاب الاستئصال الدنيوي، وتوفير إمكان النجاة من العذاب الأخروي لو اختار الكافر هذا الطريق. ويمكن القول أن من بركات وجوده أنعم الله على البشر بالنعم ، فكانت النعم عامة على الخلق بمن فيهم العاصون. وهو مفاد أحاديث كثيرة من أن الله سبحانه لولا محمد وآله لما خلق الخلق.

بل يمكن القول: إن ما تقدم ذكره من المهمات التي قام بها ﷺ من التبشير والإنذار والتعليم والتزكية هو كل من آثار رحمته بالعالمين ومن نتائجها.

ومن رحمته أيضًا شفاعته للخاطئين من أمته، وقد اشتهر بين المسلمين حديثه «ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وفي

(١) القرشي؛ الشيخ باقر شريف أخلاق النبي وأهل بيته ص ٢٥.
(٢) نوح: ٢٦.
(٣) النيشابوري: صحيح مسلم٤/ ٢٠٠٧.

نص آخر «أعددت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» بل وصفه المجلسي الأول بأنه مستفيض[1].

بل تلمس في شريعته وأحكامه ـ وهي شريعة ربه ـ الرحمة واليسر وهذا مبحث طويل.

13/ علاقة النبي بربه وبمن أرسل لهم

في هذا العنوان سوف نجد آيات كثيرة تربط بين النبي وبين خالقه برباط يجعل ما يرتبط بالرسول مرتبطًا بالله تعالى، ولولا أن الله قال في كتابه ذلك، لعُدَّ هذا من الغلو.

فالرزق والغنى: من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق الذي يغني عباده وهو التوحيد الخالص، لكن الله سبحانه في الكتاب العزيز كما ينسب إغناء الخلق إليه، ينسبه إلى رسوله فيقول ﴿**وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦٓ**﴾[2].

وجعل الله طاعةَ نبيه طاعتَه؛ وهذا ينفي كل ما قيل من أن النبي قد يجتهد في أوامره أو يخطئ ـ والعياذ بالله ـ تشخيصاته، أو أن من الحرية الاعتراض عليه من قبل بعض المسلمين، فكل ذلك أمام هذه الآيات يغدو هباءً منثورًا إن الله تعالى يقول ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ**

(١) المجلسي؛ محمد تقي: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٢/ ٧٠٣. وذكره بدون أعددت أو ادّخرت في مسند أحمد٢٠/ ٤٣٩، والترمذي في السنن والحاكم في المستدرك وغيرهم.

(٢) التوبة: ٧٤.

﴿فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] وبطبيعة الحال من يعصه فقد عصى الله سبحانه، وأن من آثار طاعة النبي أن يهتدوا إلى سبل الحياة السليمة[2] ويجعل بيعتهم النبي بيعة الله سبحانه[3] ولا يقبل القرآن الكريم الفصل بين الرسول وبين خالقه بأن يقول بعضهم إننا نعبد الله ولكن لا نصدق الرسول! ويعتبر من يكذب الرسول مكذِّبًا بالله تعالى وجاحدًا له ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾[4] ويعين الطريق الوحيد لممارسة الإنسان محبته لله وعبادته إياه وهو أن يكون بواسطة رسول الله ﷺ، فيقول ربنا مخاطبًا نبيه ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[5].

وأعلى مراتب العلاقة بين النبي وبين المؤمنين هي مرتبة الولاية، وأنّه وليُّ أمرهم، بل هو أولى بهم من أنفسهم، فقراراته بالنسبة لهم مقدمة على قراراتهم لأنفسهم، وهو الحاكم فيها قبل حكمهم في أنفسهم فـ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[6].

---

(١) النساء: ٨٠.
(٢) النور: ٥٤ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾.
(٣) الفتح: ١٠ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾.
(٤) الأنعام: ٣٣.
(٥) آل عمران: ٣١.
(٦) الأحزاب: ٦.

من علم النبي

سوف نرى في ما يأتي وهو قطرة من بحر، مما هو في فضل رسول الله ﷺ، أن علمه لا يعدله علم بشر في سابق الزمان أو لاحقه. وكما سبق فإننا سنعتمد هنا أيضًا التسلسل على أساس الأرقام لتسهيل المأخذ.

1/ رسول الله مدينة العلم:

وأول ما سيلفت النظر هو حديثه ﷺ عن نفسه بقوله المشهور «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها». وللأسف فإن بعض علماء مدرسة الخلفاء من الاتجاه الأموي في مناكفة واضحة لفضائل الإمام أمير المؤمنين فقد ردّوا الحديث المذكور الذي يثبت منقبة عظيمة لرسول الله، لأنه يثبت فضيلة بتبعها للإمام علي.

والعلم هنا الذي أضيف إلى المدينة، مطلق فهو يشمل كل ما صدق عليه الاسم سواء كان دينيًّا أو طبيعيًّا!

وهذا الحديث أخرجه الحاكم النيشابوري في المستدرك بسنده

عن ابن عباس: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[1].

وقد كتب علامة الهند آية الله السيد حامد حسين النقوي،[2] في تصحيح هذا الحديث وتتبع من صححه من مصادر المدرسة الأخرى وعلمائها ما جاء فيه بما يشفي الغليل ويبرئ العليل فلله دره، حيث أفرد جزءًا كاملًا من كتابه عبقات الانوار لهذا الحديث

---

(١) المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٧ ط العلمية)، ولعمري لولا ذيل الحديث لما تأبى أحمد بن حنبل عن نقله وتصحيحه خوفا من المتوكل الذي عرف بالنصب، إن أحسنّا الظن، وكذا البخاري لاتجاهه الخاص الذي لا يخفى على الباحثين. وأسوأ من هذا اعتبار الذهبي إياه: أنه موضوع! وهو متوقع من الذهبي فإنه لا يحتمل ما دون هذا من فضائل الإمام بكثير فكيف يحتمله؟ وأعجب من الجميع ما ذكره في منهاج السنة (٧/ ٥١٥) من دليل متهالك في الموضوع عندما قال: «فإن النبي ﷺ إذا كان مدينة العلم، ولم يكن لها إلا باب واحد، ولم يبلغ عنه العلم إلا واحدٌ، فسد أمر الإسلام، ولهذا اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلغ عنه العلم واحدا» ولا نعلم ما هو الارتباط بين أن يكون المبلغ واحدًا وبين فساد أمر الإسلام! أترى لو أن قائلا قال: إن علم الله تعالى لو لم يكن له إلا باب واحد (وهو النبي) فإنه يفسد أمر الهداية؟ بل نحن نلحظ أن هذا الحديث فيه سدٌّ للأبواب الناقصة التي لا يبْلغ أصحابها منزلة باب النبي ووراث علمه! وهو في الجانب العلمي والمعنوي مشابه لما هو في الواقع الخارجي من سد النبي أبواب الصحابة كلهم، وإبقاء باب علي على المسجد، وقد تعرضنا لذلك في كتابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) لمن أراد معرفة سيرة السيد حامد حسين النقوي، وما جاء في كتابه (عبقات الأنوار) وهو موسوعة عظيمة، يمكن أن يرجع لكتابنا: من أعلام الإمامية.

وتتبع أسماء من رواه من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، ومن ذكره في مصنفه، وقد اختصره آية الله الميلاني في ما يزيد على ٤١٨ صفحة، فليرجع إليه من أراد التفصيل.

وما عُرف عن علي بن أبي طالب عليه السلام من علم، بحيث كان يقول «سلوني قبل أن تفقدوني» فإنما كان رشحة من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وثمرة تعليمه، فقد نقل في مصادر مدرسة الخلفاء عن علي عليه السلام، وقد سئل إنه لماذا كان أكثرهم حديثا؟ فقال: «كنتُ إذا سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكتُّ ابتداني»[1] و أما مفصله فقد ذكره الكليني في حديث طويل جاء فيه «وكنت إذا سألته أجابني، وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلمني تأويلَها وتفسيرَها، وناسخَها ومنسوخَها، ومحكمَها ومتشابهَها، وخاصَّها وعامَّها، ودعا الله لي أن يؤتيني فهمَها وحفظَها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا عِلمًا أملاه عليَّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئًا علّمه الله من حلالٍ ولا حرامٍ ولا أمرٍ ولا نهيٍ كان أو يكون، ولا كتابٍ منزلٍ على أحد قبله في أمرٍ بطاعةٍ أو نهيٍ عن معصية إلا علّمَنيه وحفظته فلم أنس حرفًا واحدًا، ثم وضع عليه السلام يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي

(١) وهذا المقدار هو المختصر المضغوط من حديث طويل، وقد نقل المختصر الحافظ النسائي في السنن الكبرى ٥/ ١٤٢ والترمذي في السنن ٥/ ٦٣٧ وابن أبي شيبة الكوفي في المصنف ٧/ ٤٩٥ وغيرهم.

علمًا وفهمًا وحكمًا ونورًا»[1].

إن كل فضيلة علمية تذكر عن علي عليه السلام وأولاده الطاهرين هي في حقيقتها فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث هو الأساس والأصل والمعلم الأول، ولهذا لا غرابة أن يأتي الحديث عن الإمام جعفر الصادق: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحديث رسول الله قول الله عز وجل»[2].

وفي هذا الإطار أيضًا يأتي حديث أمير المؤمنين عليه السلام «علمني رسول الله من العلم ألفَ بابٍ ينفتح لي من كل بابٍ الفُ باب»[3].

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ٦٤.

(٢) الكليني: الكافي ١/ ٥٣. وبغض النظر عن سند الحديث الذي رأى بعضهم فيه ضعفا، فإن مضمونه موجود في عشرات الأحاديث الأخر، ويوافقه الاعتبار كذلك.

(٣) قال ابن شهر اشوب في مناقب آل أبي طالب ٢/ ٣١٥ بعد ان روى الحديث: «وقد روى أبو جعفر بن بابويه هذا الخبر في الخصال من أربع وعشرين طريقاً، وسعد بن عبد الله في بصائر الدرجات من ستة وستين طريقاً».
وجاء في الكافي ١/ ٢٣٩ عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة، ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم عليًّا عليه السلام بابًا يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب.

2/ ألم يعلّم رسولُ الله سائرَ الصحابة؟

لعل سائلا يسأل ألم يعلّم رسول الله سائر الأصحاب؟ وهل كتم العلم عن من كان يسأله غير عليٍّ؟ والجواب على ذلك: ما أجاب به الإمام محمد الباقر عليه السلام من قوله: «إنّ رسول الله أنال في الناس وأنال وعندنا عرى العلم وأبواب الحكم ومعاقل العلم وضياء الأمر وأواخيه»[1]، على أنه لا ينكر أن التصاق أمير المؤمنين برسول الله كما تقدم ذكره في الحديث السابق يختلف عن كل أحد، ولذا احتاج من يعتمد مدرسة الخلفاء إلى الآراء الخاصة، والاستحسانات، وما هو شائع عند أهل المدينة وهكذا، في الوقت الذي كانت مدرسة أهل البيت عليهم السلام غنية بإغناء رسول الله إياهم بأصول العلم وأبواب الحكم.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل إلى أسباب اختلاف المسلمين في النقل عن رسول الله وبين أن بعضهم قد سمع من رسول الله حكما ولم يسمع منه ناسخه، أو سمع العام منه ولم يسمع مقيده، فنقل الأول شيئًا ونقل غيره الشيء الآخر وهكذا. هذا فضلًا عن السياسة الخاطئة التي أمرت بعدم تدوين حديث النبي بعد وفاته، ومنعت منه بمبررات واهية، وترافق هذا فيما بعد مع موجة وضع الأحاديث التي حصلت في أيام بني أمية ومن تلاهم.

---

(١) عطاردي؛ الشيخ عزيز الله مسند الإمام الباقر عليه السلام ١/ ٤٢٩ وقريب منه كلام ابنه الإمام جعفر الصادق عليهما السلام.

3/ ماذا ترك النبي لأهل بيته؟

كان من الطبيعي أن النبي ﷺ، وهو يوصي أمته بالتمسك بالثقلين وأحدهما كان عترته أهل بيته، ويجعلهم بالتالي مرجعية لهذه الأمة، أن يترك معهم وعندهم ما يؤهلهم للقيام بهذا الدور، فليس الأمر كما هو الحال في الحكومات الوراثية التي يكتفى فيها بالنسب. ولذا فقد ترك عندهم ما عرف: «بكتاب علي» وهو سنة النبي وإملاؤه من فمه المبارك وخط عليّ بن أبي طالب بيده الكريمة.

إن كتابًا محفوظًا كهذا ـ والذي سيستشهد به فيما بعد الأئمة كثيرًا ـ سيكون «حلال المشاكل» و «فيصل الحكم» فيما يقال ويروى عن النبي من هنا وهناك! إذ لا يوجد من هو أقرب من علي بن أبي طالب لرسول الله عليهما وآلهما السلام، كما أن كونه مكتوبًا ومدونًا يعطيه ميزة في الانحفاظ والبقاء، قد لا تكون موجودة في ما هو محفوظ في الصدور على فرض سلامة المحدث من الرغبة والرهبة! ومن تمادي الزمان، حيث سيمر نحو قرن من الزمان على حديث النبي ويذهب جيل ويأتي جيل بعده أو أكثر، هذا فضلا عما ذكرنا آنفًا من الموقف الرسمي الممانع»[1].

(١) الكليني: الكافي ١/ المقدمة ٤ «إن أول كتاب – في الحديث – أُلّف في الإسلام، كتاب علي عليه السلام أملاه رسول الله ﷺ وخطه علي عليه السلام على صحيفة، فيها كل حلال وحرام. وله كذلك صحيفة في الديات، كان يعلقها بقراب سيفه وقد نقل البخاري منها» وللتفصيل في موضوع كتاب علي راجع البحث الخاص به في كتابنا: باقر العلم؛ الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

ويصعب على الباحث تتبع ما تركه رسول الله ﷺ، من العلم والمعرفة لأمته، فإن جميع المذاهب تتسابق لإثبات أن ما عندها هو «سنة رسول الله؛ قوله وفعله وتقريره» فالمذاهب الفقهية الأربعة بل الخمسة بل السبعة.. بل كلُّ صاحب مذهب يحاول أن ينسب الأحكام التي يتبناها إلى أنها هي سنة رسول الله أو مستقاة منها.

وهكذا الحال في المذاهب الكلامية المتعددة.

ولا ريب أنه يوجد من سنة رسول الله ﷺ، في هذه المذاهب شطر وافر، وهو الذي عبر عنه حديث الإمامين الباقر والصادق بأن رسول الله أنال وأنال.

4/ هل كان النبي يجتهد في الأحكام؟

لا بد من توضيح كلمة الاجتهاد هنا، فإن كثيرا من سوء الفهم يكون لعدم تحديد المصطلح، فيثبت شخص شيئا[1] بينما ينفي غيره شيئًا آخر! وهنا حديثنا عن الاجتهاد بمعنى أن النبي قد يعوزه الحكم الواقعي، فيلجأ إلى الاجتهاد وإعمال رأيه فيما لديه من القواعد وينتهي إلى حكم! وهو تماما ما يفعله المجتهدون في هذا الزمان، فإذا أعوزهم النص الشرعي (لعدم وجوده أو لإجماله أو لتعارضه) فإنهم يُعمِلون قدرتهم الاستنباطية ويصلون إلى رأي

(١) مثلما جاء في «موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين» (٣/ ١/ ٢٥٣): «أما اجتهاده عليه الصلاة والسلام، فهو بمنزلة الوحي يجب الوقوف عنده، والإيمان بأنه حكم مَن لا معقب لحكمه» فهذا غير ما ينفيه آخرون!

يظنون أنه حكم الله في الواقعة المعينة! وهنا قد يصادف اجتهادهم حكم الله الواقعي، وقد يخطئه فلا يصادف حكم الله، لكنهم معذورون في ذلك.

ونسبة الاجتهاد بهذا المعنى للنبي ﷺ، عند الإمامية باطلة ولا تصح أبدًا. بل نسبتها إلى الأئمة المعصومين وهم خلفاء النبي باطلة فضلا عن النبي! وقد أشارت لذلك أحاديث كثيرة عنهم عليهم السلام ينكرون فيها أن يكونوا يقولون برأيهم! فكيف الحال بالنسبة لرسول الله ﷺ؟

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال أبو جعفر: يا جابر، والله لو كنّا نحدّث الناس أو حدّثناهم برأينا لكنّا من الهالكين، ولكنا نحدّثهم بآثار عندنا من رسول الله، يتوارثها كابرٌ عن كابرٍ، نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم[1].

وهذا التقريب معتمد على أن الله نزل على رسوله ﴿ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أمور الدين وبرامج الحياة السليمة، وبشكل واضح رواه الحسن بن سماعة عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، قال: قلت له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيه، أو تقولون فيه؟ قال: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ[2].

(١) البروجردي؛ السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة ١/ ٣٩.

(٢) وقد تعرض الشيخ محمد جعفر الطبسي في كتابه: تمسك العترة الطاهرة بالقرآن الكريم إلى (٧٧٤) آية وردت في أحاديثهم عليهم السلام وقد استدلوا بها على الأحكام الشرعية.

وأما قضية إعمال الرأي فكما جاء في خبر قتيبة، قال: سأل رجل أبا عبد الله عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: «مه، ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله، لسنا من: أرأيت، في شيء»[1] وقريب منه خبر عنبسة.

إذن: المعروف عن الإمامية أنهم يمنعون الاجتهاد بالمعنى المتقدم عن الأئمة الاثني عشر، فضلًا عن سيدهم رسول الله ﷺ.

وأما في مدرسة الخلفاء فالمعروف عنهم هو خلاف ذلك، وهو الذي أشار إليه صاحب اللمع فقال: «كان يجوز لرسول الله ﷺ أن يحكم في الحوادث بالاجتهاد ومن أصحابنا من قال: ما كان له ذلك. لنا: هو أنه إذا جاز لغيره من العلماء الحكم بالاجتهاد فلأن يجوز للرسول ﷺ وهو أكمل اجتهادا أولى.

وقد كان الخطأ جائزا عليه إلا أنه لا يُقَر عليه ومن أصحابنا من قال ما كان يجوز عليه الخطأ وهذا خطأ لقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ فدل على أنه أخطأ ولأن من جاز عليه السهو والنسيان جاز عليه الخطأ كغيره»[2].

---

(١) الكليني: الكافي ١/ ١٠٦.

(٢) الشيرازي؛ أبو أسحاق: اللمع في أصول الفقه ص١٣٤، وأشار إليه من المعاصرين مناع القطان في كتابه تاريخ التشريع الإسلامي ص١١٢ فقال: «وذهب جمهورهم إلى أنه يجوز له الاجتهاد، وأنه يخطئ في اجتهاده ويصيب، ولكنه لا يقر على خطأ. وهذا هو الذي تضافرت النصوص عليه في صور مختلفة».

ونحن لسنا في مقام مناقشة هذه الفكرة الخاطئة، ولكن بشكل سريع يقال: إن مركز اعتماد هذه الفكرة ينتهي إلى عدم عصمة النبي ﷺ، وهو كلام ثبت في علم الكلام بطلانه، ويضاف لذلك أنه مع الالتزام بفكرة خطئه صلوت الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ فإن المؤمن يتعارض عنده أمران متضادان بل متناقضان؛ فمن جهة هو مأمور بالأخذ بكل ما جاء به الرسول ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1] وبإطلاق ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ ومن جهة أخرى هو مأمور برد رسول الله حيث أنه بحسب الفرض قد اجتهد وأخطأ ولا ينبغي متابعته في خطئه بل لا بد من الرد عليه ونهيه عما هو سائر فيه! فهل يمكن هذا؟ والحال أن الله تعالى يقول ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾!

وأظن ـ والله العالم ـ أن علماء مدرسة الخلفاء عندما رأوا اعتراضات بعض الصحابة الكبار على رسول الله ﷺ في مواقف متعددة، فكان المخرج فيها هذا، أن ينزه الصحابة هؤلاء بالقول بأن ما اعترضوا به على الرسول كان لأجل اجتهاده الخاطئ!!

---

(١) قال بعضهم بأن الآية واردة في باب الغنائم، والمقصود أن ما أعطاكم الرسول من الغنيمة فاقبلوه، وما منعكم عنه فانتهوا! وجوابه: أنه ما الميزة للنبي محمد في ذلك؟ فقد أعطى لسليمان مثلها في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ بل الميزة هي لسليمان هنا بلحاظ سعة ملكه الذي لا ينبغي لأحد من بعده! ومن العجيب أن يلتزم القائل بأنه يلزم على من أعطاه رسول الله شيئًا أن يقبله، وأن يمتنع عما نهاه عنه.. في دراهم معدودة، لكن لا يلزم ذلك في أصول الدين وأحكام الشريعة!!

ويبدو كذلك أن أصل الفكرة هي قادمة من ممارسة أولئك الصحابة الذين كانوا يعتبرون رسول الله بشرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ويأتيه الوحي بعض الأحيان لمهمات محددة، وأما سائر الشؤون ففيها قد «يغضب فيضرب، ويشتم، ويهجر، ويجامل فيمدح..» ولذلك لم يكن لديهم مانع أن يغيروا كثيرًا مما جاء به من سنن وأحكام لأنها اجتهادات شخصية لزمن محدد، وبإمكانهم أن ينقضوها[1] باجتهاد أفضل!

5/ النبي أميٌّ أو أعلم خلق الله؟

ذهب غير الإمامية إلى أن النبي محمدًا ﷺ؛ أميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة، قبل البعثة وحينها وإلى وفاته!

وأما الإمامية فالمشهور بينهم[2] على أن النبي ﷺ، لم يكن أميًّا وإنما كان لا يمارس الكتابة والقراءة، لكيلا يُتهَم بأن ما جاء به هو من كتب السابقين. فلأجل هذا الغرض لم يمارس ذلك.

◄ أدلة القائلين بالأمية:

وقد استدل القائلون بأميته بالمعنى السابق، بما يلي:

١/ آيات القرآن الكريم: ومنها ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ

(١) للتفصيل يمكن مراجعة كتاب النص والاجتهاد للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين.

(٢) ذهب إلى خلاف ذلك المرحوم الشهيد مرتضى المطهري، حيث رأى أن النبي كان أميًّا بمعنى أنه لم يكن يعرف القراءة الكتابة وكتب في ذلك كتابًا بعنوان: النبي الأمي.

﴿مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[1]، فإنها بحسب رأيهم تشير إلى أن النبي ما كان يقرأ كتابًا قبل بعثته ولا يكتب، وإلّا لو كان كذلك لاتّهم بأنه نقل هذه القصص والمعلومات من تلك الكتب، ولكان ما قالوه من تهمة أنه ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2] أقرب إلى التصديق!

ومنها ما جاء بعنوان «الأميّ»[3] وصفا له، وأنه بعث في «الأميين» وهو منهم[4] ومعنى الأمي في اللغة هو من لا يقرأ ولا يكتب!

٢/ ما ذكر في كتب الحديث والسيرة: فمنه ما جاء عنه بحسب مصادر مدرسة الخلفاء من «أننا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب»، وينقلون أيضًا بأن النبي عندما نزل عليه جبرئيل أول البعثة، وأمره بالقراءة قال له النبي: «ما أنا بقارئ»[5] وهذا يعني أنه أميٌّ حيث نفى عن نفسه القدرة على القراءة! ويضيفون إلى ذلك ما قيل في قضية صلح الحديبية فإنه بعدما تم الاتفاق على الموادعة وألّا يدخل النبي مكة في عامه ذاك، أمر عليًّا أن يكتب صورة الصلح «فكتب هذا ما قاضى عليه رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم

---

(١) العنكبوت: ٤٨.

(٢) الفرقان: ٥.

(٣) الأعراف: ١٥٦ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ والآية التي بعدها في نفس السورة.

(٤) الجمعة: ٢ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾.

(٥) صحيح البخاري: ١/ ٧.

نمنعك ولاتَّبعناك، ولكنْ اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، فقال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله، فقال لعليّ: امْحُ رسول الله، فقال عليٌّ: والله لا أمحوه أبداً، قال: أرنيه، قال: فأراه إيّاه، فمحاه النبيّ بيده»[1].

وأشار الشهيد المطهري في كتابه النبي الأمي، إلى أن «من الأمور الواضحة في حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يتعلّم ولم يتتلمذ على أحدٍ، ولم يطّلع على مقالٍ أو كتاب. ولم يدّعِ له ذلك أيّ مؤرّخ سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، لا في دور طفولته أو شبابه ولا بالأحرى في دور الكهولة والشيخوخة وهو دور الرسالة».

مضيفا «كما أنّه لم يذكر أحد أو يعرض سندًا يوضح أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد قرأ سطرًا واحدًا أو كتب كلمة واحدة قبل عصر البعثة».

وانتهى إلى أن «مسألة كتابته حتى في عصر الرسالة منتفية طبق القرائن والإمارات القطعية، أمّا مسألة قراءته في عصر البعثة فلا يمكن نفيها جزمًا، وإن كنّا لا نملك دليلاً قطعيًا على قراءته فيه، بل تخالف ذلك أكثرُ القرائن...»[2]

٣/ اعتبر علماء مدرسة الخلفاء أن كونه أميًّا مع إتيانه بهذه العلوم والمعارف هو أنسب بالإعجاز! بحيث يجتمع فيه هذان

(١) صحيح البخاري: ٤/ ١٠٤.

(٢) مطهري؛ مرتضى: النبي الأمي ٢١ نسخة الكترونية على موقع شبكة الإمامين الحسنين.

الجانبان المتخالفان، فمن جهة هو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ومن جهة أخرى يكون على هذا المستوى من العلم بتاريخ الرسل والديانات، وأحوال البشر، والتشريعات والأخلاق ويأتي بها عن الله عز وجل.. فهذا أقرب إلى المعجزة وأنسب بتصديق كونه يؤدي عن الله سبحانه.

◄ أدلة القائلين بكونه غير أميٍّ:

وهم أكثرية الإمامية ـ وأفراد محدودون من مدرسة الخلفاء ـ، فيستدلون بما يلي:

أولًا: بأن الآية المباركة وهي العمدة في الاستدلال ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ**﴾ لا تنفع الفريق الأول، فإن غاية ما تقول إنه (لم يكن يفعل ذلك) لم يكن يقرأ كتابًا، ولا يخط بيمينه وهذا أعم من أن يكون أميًّا فقد لا يقرأ لأنه لا يستطيع، أو أنه لم يقرأ لسبب آخر، مثلما يقول إنسان إن فلانا لم يقُدْ سيارة في حياته فهذا قد يكون بسبب عدم معرفته بالسياقة، أو بسبب صحي، أو لعدم امتلاكه السيارة، أو لسبب غير ذلك. وما نحن فيه هو من هذا القبيل، فما كان النبي يتلو كتابًا.. لماذا؟ قد بيّن القرآن السبب وهو أنه لأجل أن تسقط اتهامات الكفار بأن النبي «سرق» هذه المعلومات من كتب أخر.

مع ملاحظة أن الفعل ﴿**تَتْلُواْ**﴾ غالبًا ما يأتي في قراءة الكتب المقدسة، وليس في مطلق القراءة! يعني أنك لم تكن تتلو الكتب السماوية السابقة، لأنك لو كنت تتلوها لجاء الاتهام لك بأنك ناقلٌ عنها!

وثانيًا: بأن ما استدلوا به من وصف النبي بأنه الأميُّ، وبأنه بعث في الأميين وهو منهم.. فيه احتمالان:

الأول ما ذكر من أن الوصف يشير إلى عدم القدرة على القراءة والكتابة، والثاني: هو أنه منسوب لأم القرى، مثلما تنسب لعبد القيس فتقول فلان العبدي. ومن المعروف أن مكة هي أم القرى[1]. وكان اليهود يسمون العرب القاطنين في مكة بالأميين إما للنسبة إلى البلد، أو لأنهم يعتبرون كل من لا يملك كتابًا سماويًّا فهو أميٌّ، ولا ربط لذلك بالتالي بمسألة القراءة والكتابة.

وثالثًا: أن الفريق الأول يتمسكون بكل لفظ يشير ـ من قريب أو بعيد ـ إلى الأمية، ويتجاهلون أو يردون ألفاظًا أخر قد تكون أوضح دلالة، أو مساوية في دلالتها، فمثلا تراهم يتمسكون بظاهر الآيتين مع احتمالهما لمعان أخر، بينما يهملون مثلا دلالة «آتوني بدواة وكتف أكتب لكم» فيفسرونها بأن المقصود آمر من يكتب! مع وضوحها في المباشرة! وفي صحيح البخاري وغيره كلمات متخالفة المعنى أخذوا منها ما أرادوا وتركوا ما يقابلها مثل ما جاء في قضية الحديبية، لما امتنع الإمام علي عن مسح وصف الرسالة عن رسول الله كما طلب منه سهيل بن عمرو فأخذ النبي الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب مكان رسول الله؛ محمد بن عبد الله فركزوا على جملة «وليس يحسن أن يكتب» وتركوا جملة «فكتب مكان رسول الله..»[2]

---

(١) ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

(٢) مسند أحمد٣٠/ ٥٩٤: أقول: ولذلك وقع شراح هذا الحديث في حيص

ورابعًا: نتساءل ما هو السر الذي يجعل النبي لا يعرف القراءة والكتابة من بداية عمره إلى نهاية عمره الشريف، ويعجز أن يمتلك هذه القدرة خلال ٦٣ سنة؟ وهو الذي أمر زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية وهي لغة اجنبية بالنسبة للعرب، فأتقنها زيد في أسبوعين (نصف شهر) ورسول الله الذي ما خلق الله خلقا أكمل منه يبقى مع هذا النقص! إذ لا ريب أن الأمية وعدم امتلاك القدرة على القراءة والكتابة (من حيث هي) تعد نقصًا، وأن من يمتلكها هو أكثر كمالًا ممن يفتقدها! فما هو السر الذي يجعل النبي لا يتمكن من قدرة القراءة والكتابة ولا يستطيعها إلى آخر عمره؟ لا نفهم لذلك معنى واضحًا! وأما حكاية تطرق التهمة لرسالته وارتياب المبطلين فيكفي فيه أن لا يمارس تلك من أول عمره ولا يعرف عنه أنه كان يتلو الكتب!

وخامسا: وهذا الجواب خاص بالمؤمنين بمدرسة أهل البيت فإن الروايات الكثيرة التي تصرح بأنه لم يكن أميًّا بمعنى عدم القراءة والكتابة، تنفي موضوع الأمية تمامًا، فمن جهة يُتعجب في الروايات من هذا القول، مع ملاحظة أن النبي هو معلم البشر! ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، وتصدم بعض الناظر بصراحتها وصرامتها القوية في تكذيب القول المذكور، قائلة: كذبوا!

وبيص في كيفية التوفيق بين الجملتين، والعجب أن بعضهم قال: إن الله أجرى على يده بأن كتب بالقلم وهو غير عالم بما كتب!

وسننقل عدة روايات من مصادر الإمامية، تفيد أن نسبة الأمية للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، خاطئة تمامًا ويحق لنا أن نتعجب هنا من عدم تعرض المرحوم المطهري لهذه الروايات أصلا مع إقرارنا بأن قسما منها من حيث السند لا يتم، ولكن اعتماد الفقهاء عليها واشتهارها جدًّا لا سيما الرواية الأولى عن الإمام الجواد عليه السلام وكونها معللة ينفع في التمسك بها. وقد جمع هذه الروايات العلامة الشيخ الأحمدي رحمه الله تعالى في كتابه مكاتيب الرسول:

١ – ما رواه الصدوق رحمه الله في العلل بإسناده عن أبي جعفر الجواد عليه السلام: قال الراوي قلت: يا بن رسول الله لم سمي النبي الأمي؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: يزعمون أنه إنما سمي الأمي، لأنه لم يحسن أن يكتب!

فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ فكيف كان يعلّمهم ما لا يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب باثنين وسبعين أو قال بثلاثة وسبعين لسانًا، وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

٢ – وبإسناده عن علي بن حسان عن علي بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إن الناس يزعمون أن رسول

الله ﷺ لم يكتب ولا يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم الله، أنّى يكون ذلك وقد قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟ قال: قلت: فلم سمي النبي الأمي؟ قال: لأنه نسب إلى مكة وهو قول الله عز وجل: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فأم القرى مكة، فقيل أمي لذلك..

٣ – وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان مما مَنّ الله عز وجل على رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان إلى أحد كتب العباس إلى النبي ﷺ فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلما دخلوا المدينة أخبرهم».

٤ – عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن النبي ﷺ كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يُكتَب»[2].

وخامسا: بالطبع هذا لا يعني ـ بالضرورة ـ أنه جلس إلى معلم أو أخذ ذلك عن كتاب، وإنما كما علمه الله سبحانه ما شاء من العلوم والمعارف حتى أحاط به من غير وسيلة ولا زمان فإنه قد علمه هذا الأمر. فقد يكون كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأنه «قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته

(١) الجمعة:٢

(٢) الأحمدي الميانجي؛ علي: مكاتيب الرسول ١/ ٩٥.

يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»[1] وهذا المعنى يكفي في فهم ما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مناظرته مع اليهود من أنه صلى الله عليه وآله وسلم «ومن آياته أنّه كان يتيمًا فقيرًا راعيًا أجيرًا لم يتعلّم كتاباً ولم يختلف إلى معلم، ثمّ جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفًا حرفًا، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة.»[2] نعم هو لم يختلف إلى معلم ولم يتعلم كتابا وإنما كان علمه إفاضة من الله عز وجل.

(١) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ص ٣٠٠.

(٢) ابن بابويه؛ الصدوق: التوحيد ص ٤٣٠.

6/ خيط نور من شمس علمه

يصعب علينا في هذا المقام أن نتناول مفردات علم رسول الله كعناوين، فإن ذلك يعني أن نأتي بكل ما صح عندنا من أحاديث رويت عن رسول الله ﷺ في مختلف أبواب العلم؛ بدءًا من قضايا العقائد ومعرفة الله وصفاته وأسمائه، وخلق الكون، وأحوال الأنبياء والرسل، وطريقة الحياة السليمة، والأخلاق الفاضلة. وذلك يعني أن نستشهد بكل ما جاء عن المعصومين الثلاثة عشر عليهم السلام حيث أن لسان كل واحد منهم يقول، بأن حديثه ينتهي لحديث رسول الله ﷺ.

وقد جمع المرحوم الشيخ محمد محمدي الري شهري ما تيسر له من أحاديث وحكم رسول الله ﷺ، وأخرجه في مجلدات سبعة،[1] وجاء فيها بـ (١٢٠٢٥ حديثًا) فمن أراد أن يرتع في تلك الحديقة الغناء والجنة الفيحاء فليرجع إليه، وهنا سوف نذكر بعض العناوين ونشير إلى ما قاله رسول الله ﷺ فيها:

(١) الري شهري؛ محمد: كتاب حكم النبي الأعظم ﷺ.

◄ وصايا النبي وخطبه

مما يؤسف له أن خطب رسول الله ﷺ في غالبها، غير موجودة بين المسلمين! فإن صلاة الجمعة تحتوي على خطبتين قبل الصلاة، وقد صلاها النبي أول ما وصل المدينة، وإن كانت بعض الروايات تشير إلى أنه أمر مصعب بن عمير بصلاتها قبل وصول النبي للمدينة، فمعنى ذلك أنه ﷺ قد أقام الجمعة إلى حين وفاته نحو عشر سنين، وفي كل سنة خمسون جمعة، وفي كل جمعة خطبتان فينبغي أن يكون النبي ﷺ، قد خطب خلال هذه الفترة حوالي ١٠٠٠ (ألف خطبة).. فأين ذهبت هذه الخطب والتوجيهات؟ قد لا نجد ربع هذه الخطب في مصادر المسلمين، ولعل للقرار الرسمي من الخلافة بعد النبي بمنع التدوين والتحديث كان السبب الرئيس في اختفاء هذه الخطب و«تبخرها».

لكن الباقي والمنقول في الكتب من وصاياه، يكشف عن قيامه ﷺ بالتوجيه الخاص وما يطلق عليه بالتربية الفردية لأصحابه، بالإضافة إلى التوجيه العام للمسلمين، ويصلح الامران للتربية الأخلاقية والدينية للمسلمين في كل الأزمنة. حيث أن المناسبة التي قيلت فيها هذه الوصايا أو تلك الخطب ليست مقيدة لها بتاريخها زمانًا ولا لجغرافيتها أو أشخاصها.

فمن وصاياه ﷺ:

◄ **وصاياه لأمير المؤمنين علي** عليه السلام، وهي سبع وصايا تقع

في نحو ٢٧ صفحة كما نقلها العلامة المجلسي في البحار، وكل واحدة منها تستحق أن تشرح شرحًا مفصلًا. لا سيما الثالثة وهي طويلة جدًا، تحتوي على إعلاء منزلة العقل، وبيان فضله وبماذا خاطبه الله أول ما خلقه! كما أن فيها الكثير من الأحكام الشرعية نحو ما الذي عفي عن المرأة فيه بينما هو مفروض (وجوبًا أو استحبابًا) على الرجل، وفيها توجيهات أخلاقية أشبه بخارطة طريق للحياة الصحيحة، يعدد فيها الخصال التي يسعد أو يشقى بها الإنسان، ويختمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما اختص الله سبحانه وتعالى به عليًّا، وفي أي الأماكن كان اسم عليٍّ عليه السلام مقرونًا باسم النبي، ثم يقول له: «يا علي إن الله تبارك وتعالى أعطاني فيك سبع خصال: أنت أول من ينشق عنه القبر معي، وأنت أول من يقف على الصراط معي، وأنت أول من يكسى إذا كسيت ويحيى إذا حييت، وأنت أول من يسكن معي عليين، وأنت أول من يشرب معي من الرحيق المختوم الذي ختامه مسك»[1].

ويظهر من نهاية هذه الوصية أن سلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري كانا يستمعان لرسول الله، حيث خاطبهما فيها.

وصاياه لأبي ذر الغفاري، والموجود منها اثنتان، روى أولاهما

(١) المجلسي: بحار الأنوار ٧٧/ ٦٢.

الشيخ الطوسي في كتابه الأمالي بسنده عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة فحدثني أبو ذر، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أر في المسجد أحدًا من الناس إلّا رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس، فاغتنمت خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي! أوصني بوصية ينفعني الله بها. فقال: «نعم وأكرم بك يا أبا ذر، إنك منا أهل البيت، وإني موصيك بوصية إذا حفظتها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كِفْلان..»[1].

والأخرى وصيته ﷺ إليه، فقد قال أبو ذر – رحمه الله –: ودخلت يومًا على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس وحده، فاغتنمت وحدته فقال: يا أبا ذر، إن للمسجد تحية. قلت: وما تحيته، يا رسول الله؟ قال: ركعتان تركعهما. ثم التفت إليه فقلت: يا رسول الله، أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، فمن شاء أقل، ومن شاء أكثر.

قلت. يا رسول الله، أي الأعمال أحبُّ إلى الله –عز وجل– قال: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيله. قلت: يا رسول الله، أي المؤمنين أكملهم إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقًا. قلت: فأي المؤمنين أفضل؟

---

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الأمالي ٥٥٥، وقد ذكرنا شرحا مختصرا لما جاء فيها في ضمن ترجمة أبي ذر الغفاري وشرح مواقفه في كتابنا: أصحاب النبي محمد ﷺ.

قال: من سلم المسلمون من يده ولسانه. قلت: أي الهجرة أفضل؟ قال: من هجر السوء. قلت: فأي الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الغابر. قلت: فأي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت. قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد من مُقِلّ إلى فقير في سر[1].

◄ **ووصيته ﷺ لعبد الله بن مسعود:** والتي يقول في مقدمتها: دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوما على رسول الله ﷺ وقد أصابتنا مجاعة شديدة ولم يكن ذقنا منذ أربعة أشهر إلا الماء واللبن وورق الشجر، قلنا: يا رسول الله إلى متى نحن على هذه المجاعة الشديدة؟ قال رسول الله ﷺ: لا تزالون فيها ما عشتم فأحدثوا لله شكرًا فإني قرأت كتاب الله الذي أنزل عليَّ وعلى من كان قبلي فما وجدت من يدخلون الجنة إلا الصابرون..

ثم استرسل رسول الله ﷺ في ذكر ما ينفع ابن مسعود ومن معه في الصبر على الشدة التي يمرون بها، وذكّرهم بتاريخ أنبياء الله ورسله، وزهدهم، ومدى صبرهم على الشدائد؛ ثم يبين في تلك الوصية كيف سينتهي الأمر بالخطوط المنحرفة في داخل الأمة إلى تزييف الدين وتشويه أحكامه وعقائده، والموقف الذي ينبغي اتخاذه منهم، فيقول «يا بن مسعود يأتي على الناس زمان الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفه. يقول لذلك الزمان إن

(١) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الأمالي ص ٥٣٩.

كان في ذلك الزمان ذئبًا وإلا أكلته الذئب. يا بن مسعود علماؤهم وفقهاؤهم خونة، فجرة، ألا إنهم أشرار خلق الله وكذلك أتباعهم ومن يأتيهم ويأخذ منهم ويحبهم ويجالسهم ويشاورهم أشرار خلق الله، يدخلهم نار جهنم».

◄ وله وصايا أخر أوصى بها أبا أيوب الأنصاري (خالد بن زيد) وقيس بن عاصم، وعبد الله بن عمر، وغيرهم.

◄ توجيهات في الخريطة العامة للحياة السليمة:

نجد في هذا العنوان عددا كبير من الأحاديث[1]، منها:

١/ روي عن رَسُول الله ﷺ أنه: الْإِسلام عُرْيَانٌ فَلِبَاسُهُ الحَيَاءُ وَزِينَتُهُ الْوَفَاءُ وَمُرُوءَتُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ وَعِمَادُهُ الْوَرَعُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ أَسَاسٌ وَأَسَاسُ الْإِسلام حُبُّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

٢/ وقال: ثَلَاثٌ أَخَافُهُنَّ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي: الضَّلَالَةُ بَعْدَ المَعْرِفَةِ؛ وَمَضَلَّاتُ الْفِتَنِ؛ وَشَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ.

٣/ وقَالَ ﷺ: إِنَّ الله يُحِبُّ الحَيِيَّ الحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ.

٤/ وقال لأَعْرَابِي جَاءَ إِلَيه ﷺ وسأله: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي عَمَلًا أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ ﷺ: مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ.

---

(١) تمت الاستفادة في هذا العنوان مما جمع في «أحكام العبادات» للمرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله.

٥/ وقَالَ ﷺ: مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقَاءِ جُمُودُ الْعَيْنِ وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ.

٦/ وقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا عُصِيَ اللهُ بِهِ سِتَّةٌ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الطَّعَامِ، وَحُبُّ النَّوْمِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ النِّسَاءِ».

٧/ وقَالَ ﷺ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ فِي نُورِ الله الْأَعْظَمِ: مَنْ كَانَ عِصْمَةُ أَمْرِهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله وَمَنْ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ خَيْراً قَالَ: الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَ خَطِيئَةً قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

٨/ وقَالَ ﷺ: إِنِّي لَعَنْتُ سَبْعاً لَعَنَهُمُ اللهُ وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٍ. قِيلَ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الزَّائِدُ فِي كِتَابِ الله وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ الله، وَالْمُخَالِفُ لِسُنَّتِي وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللهُ وَالْمُسَلَّطُ بِالْجَبَرُوتِ لِيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللهُ وَيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللهُ وَالْمُسْتَأْثِرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِفَيْئِهِمْ مُنْتَحِلًا لَهُ وَالْمُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٩/ وقَالَ: مَنْ أَصْبَحَ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِناً فِي سَرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا خِيرَتْ (حيزت) لَهُ الدُّنْيَا، وقَالَ: عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَإِنَّ حُسْنَ الخُلُقِ فِي الْجَنَّةِ لَا مَحَالَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الخُلُقِ، فَإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ فِي النَّارِ لَا مَحَالَةَ.

◄ قواعد وأصول نبوية لاستنباط الأحكام

حيث أن الوقائع المستجدة وقضايا الحياة لا تنتهي، ولأن المسلم يحتاج إلى حكم الله سبحانه فيها، فقد ترك رسول الله ﷺ لعترته وأمته، قواعد وأصولا يستطيع العلماء المتخصصون استكشاف أحكام الله تعالى من خلالها.

فبالإضافة إلى ما ترك من كتاب الله وعترته أهل بيته، لدلالتهما على الخط الإلهي العام، فقد ترك قواعد يستنبط منها الأحكام الشرعية التفصيلية؛ ونحن ذاكرون بعضها في هذا العنوان:

١/ فمنها قوله ﷺ: «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر»[1]؛ وهذه القاعدة مفتاح مهم في معرفة المطلوب من المتداعيين في القضايا، وباب مهم في مسائل القضاء.

٢/ ومنها قوله ﷺ قال: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ومعناها أنه لو ولد مولود لامرأة متزوجة بشكل شرعي وكان ممكنا أن ينسب إلى صاحب الفراش وهو زوجها، فإنّه ينسب إليه، ولو ادعى مدع أنه زنى بتلك المرأة وأن المولود له، فلا شيء له سوى الحجر، وقيل أن الحجر بمعنى انه لا شيء له، بل قيل إنّ ما يستحقه هو العقوبة والرجم بالأحجار!

٣/ ومنها قول رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار» في

---

(١) صحيحة هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعي عليه».

القصة المعروفة بين سمرة بن جندب وبين الأنصاري، وقد كتب العلماء دراسات استدلالية موسعة في مؤدى هذه القاعدة، مع أنها لا تتجاوز أربع كلمات، وربما أضيف إليها كلمتا «في الإسلام». ومعناها «الحكم الضرري في الشريعة المقدسة، وذلك امتنانا على العباد، فعليه كلّ عبادة أو معاملة كان مستلزما للضرر ينتفي امتنانا للمكلف، كما إذا كان الوضوء أو البيع مثلا موجبا للضرر فعندئذ يرتفع وجوب الوضوء وينفسخ البيع، لعدم جعل الحكم الضرري في الإسلام»[1].

٤/ ومنها قوله ﷺ: «الإسلام يجبُّ ما قبله»[2] أن الإسلام يُسقط عن الكافر الذي أسلم، خطاياه (في حق الله) مثلما لو ارتكب ذنوبًا قبل إسلامه كشرب الخمر والزنا فإنه لا يعاقب بحدودها بعد إسلامه، هذا دون المعاملات وحقوق الناس، فإن معاملاته السابقة لا يُسقطها الإسلام ولا تسقط حقوق الناس.

٥/ ومنها قوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»[3] فإن ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ظاهره أن الحرمة خاصة بالمرتضع والمرضعة (ضمن شروط ذكرت في السنة والحديث)، لكن

(١) المصطفوي؛ السيد محمد كاظم: القواعد الفقهية ١/ ٢٤٣.
(٢) الأحسائي، ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي ٢/ ٥٤، والألباني، محمد ناصر: إرواء الغليل ٥/ ١٢١.
(٣) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الاستبصار ٤/ ١٨.

هذا الحديث الشريف يوسع الدائرة ليساوي بين العلاقة الرضاعية والنسبية، فكما تحرم الأم الرضاعية على المرتضع، فكذلك تحرم عليه أخته من الرضاعة وعمته وخالته وجدته وهكذا. وكذلك يحرم على المرتضعة أبوها الرضاعي (زوج مرضعتها ويسمى صاحب اللبن) وأبناؤه (وهم إخوتها من الرضاعة) وإخوته (وهم أعمامها) وهكذا.

٦/ ومنها قوله ﷺ: «من أحيا أرضا مواتا فهي له»[١] ومعناها: أن الأراضي التي لا مالك لها، وهي موات (ليس عليها بناء أو زرع) فقد أذن الشرع المقدس بأن يتملكها ـ ضمن شروط معينة ـ من يحييها فيستزرعها أو يعمرها. وهذه القاعدة من أفضل أنحاء إعمار الأرض وإغناء البشر. وبها وبمثلها ينتفي الفقر من الإنسانية. فإن من العجيب أن مساحة الكرة الأرضية تكفي لأضعاف سكانها (غذاء ولباسًا وسكنًا) ولكننا مع ذلك نجد الشكوى في كل مكان من عدم وجود المسكن، ومن تفشي الفقر المؤدي إلى الجريمة.. وقد جرب هذا الإنسان الأنظمة الاشتراكية فزادته فقرًا ولم يكن حاله مع الأنظمة الرأسمالية إلا أسوأ. وأصبحت هذه الأرض التي خلقها الله للناس! أغلى شيء ولا يمكن الحصول عليه إلا بإنفاق العمر كاملا، وإتلاف الصحة!

وفي المقابل هذا نظام كامل في الإحياء الزراعي والعمراني،

(١) الطوسي: تهذيب الأحكام ٧/ ١٥٢. والطبراني: المعجم الأوسط ٤/ ٢٤٧.

يقضي بأن «من أحيا أرضًا مواتًا فهي له» ونتيجته أن تعمر الصحاري وتزرع وأن يغنى المحتاجون الجادون.

٧/ وقال ﷺ «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ»[١] وبذلك يكون قد ألغى كل المعاملات التي تقوم على أساس الإجبار وعدم الاختيار، فضلا عن الغصب، وتنفع في عدم الاعتراف بما سموه شرعية الأمر الواقع. فما دام لم يكن ذلك بطيبة نفس فلا يحل ذلك المال، بيتا كان أو مزرعة أو سيارة أو نقدًا. أو وطنا ولا تنفع قرارات الحكومات أو أهل القوة في جعله حلالا، وإن تطاول الزمان.

٨/ وقال ﷺ «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حرامًا أو حرم حلالًا» وهذا باب من أوسع أبواب الإصلاح المجتمعي، فإن المتداعين إذا أراد كل واحد منهم إثبات حقه بالدقة الكاملة قد لا يتيسر له لنقص في الأدلة والمعلومات، ونتيجة ذلك من الممكن أن تعطل حقوق ذوي الحقوق، وتبقى المشاحنات والعداوات إلى ما لا نهاية، فقرر سيدنا رسول الله ﷺ أن التصالح طريق سالك، وأمر جائز ونافذ بين المتداعين، فبإمكانهم أن يتصالحوا على حل ـ بغض النظر إن كان بمقدار حق أحدهم أو أقل أو أكثر ـ وهكذا بإمكان الزوجين أن يتصالحا على شيء، من أجل استمرار الحياة الزوجية بينهما، سواء كان عطاءً أو كان تنازلًا

(١) الأحسائي: عوالي اللآلئ ٢/ ١١٣.

عن أحد الحقوق الثابتة، ولا مانع في ذلك. وهكذا لو استدان منه شيئًا واختلفا على المقدار ولم يستطع أي منهما أن يثبت المقدار الذي يقول، فبالإمكان اللجوء إلى التصالح على مبلغ يرضيان به، سواء كان أكثر أو أقل.. ففتح بهذا القانون بابا واسعا من أبواب الصلح الاجتماعي بين الناس.

نعم لو كان يؤدي إلى تحليل الحرام أو تحريم الحلال، فإنه لا يجوز. وهذا واضح فإن الصلح هو حل اجتماعي ولا يستطيع أن ينقض الحكم الإلهي.

٩/ وقال ﷺ: «لا ميراث للقاتل» فمنع من توريثه من مال المقتول شيئا، مع أنه قد يكون داخلا في ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[1] عقوبة له، ونفيا لغرضه الذي دفعه لقتل المورّث، وقد رأينا كيف أن هذا القانون والسنة النبوية، تساهم في الحد من تفكير القتلة والمجرمين لتنفيذ جرائمهم، عند معرفتهم بأن لن ينالوا شيئا! وفي المقابل لك أن تتصور عزيزي القارئ لو لم يكن هذا القانون، وكان بالإمكان أن يرث قاتل أبيه من الأب، وقاتل زوجته منها وهكذا!

١٠/ ونجده ﷺ، ينفي بحسب الظاهر حصول عناوين، بمعنى عدم ترتيب الآثار عليها حتى لو حصلت ظاهرا، كقوله: «لا طلاقَ قبلَ نكاحٍ ولا عتاقَ إلَّا بعدَ ملكٍ ولا وصالَ في صيامٍ

(١) الأنفال: ٧٥.

ولا يُتمَ بعدَ احتلامٍ ولا رضاعَ بعدَ فطامٍ ولا صَمتَ يومٍ إلى اللَّيلِ»؛ يعني أنه لا تترتب آثار الطلاق لو كان قبل النكاح الصحيح، وهكذا لو أعتق عبدًا ما لم يكن في ملكه، أو يجيز المالك. ولا يكون صوم الوصال مشروعًا. فينفي صحة صوم الوصال الذي يواصل فيه الفرد الليل بالنهار صائما وكان هذا موجودا عند بعض الرهبان وأصحاب الرياضات ليعتبره الرسول ﷺ غير مشروع، ومثله في عدم المشروعية صوم الصمت، كما لا ينطبق عنوان اليتيم على الفرد بعد بلوغه الشرعي، وعلامته في الشاب الاحتلام.

وينفي الرسول ﷺ أن يترتب أثر على الرضاع بعد الحولين وهي مدة الرضاع، فلا ينشر الرضاع بعد هذه المدة، ولا يحقق المحرمية. ومثل هذا القانون يمكن أن يحل مشكلة كبيرة انشغلت بها الأوساط الدينية لمدة من الزمان عندما قرروا ـ بناء على حديثٍ رووه عن عائشة زوجة رسول الله ـ أن رضاع الكبير ينشر الحرمة ويحقق آثار الرضاع! فهذا القانون ينفي ذلك الحديث ويرفض مؤداه! «لا رضاع بعد فطام». مع أنه يمكن أن يتحقق من الناحية الخارجية فقد ترضع مرضعة طفلها أو طفلا آخر بعد سنتين ونصف، ولكن هذا الارضاع لا يترتب عليه أثر شرعي! مما يترتب على الإرضاع في مدة السنتين.

◄ وفي تفاصيل الأحكام الشرعية:

يكون الأمر هنا أكثر عسرًا لو أردنا الإحاطة بما جاء عن

رسول الله ﷺ، لجهة أصل المطلب ولجهة استيعاب هذا الكتاب (المبني كسائر كتب سلسلة المعصومين على حجم معين)، ولكن سنشير إشارات ونمثل بعض الأمثلة:

١/ **فإن كيفيات العبادات ومقدماتها** لم يكن ممكنًا أن يعرفها المسلمون لولا شرحها من قبل رسول الله ﷺ لفظيًّا وعمليًّا، فقد علم الرسول عترته وأصحابه وعموم المسلمين كيفية الوضوء والغسل.

وكان يصلي أمامَهم وهو إمامُهم ويقول لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

وعندما أراد أن يعرف الناس بمناسك الحج باعتباره المظهر الأكبر لقوة الدين الإسلامي و«تشييدًا للدين» دعاهم إلى أن يحجوا بحجه في السنة العاشرة للهجرة، وقال «خذوا عني مناسككم» وعرفهم بها كما أشارت إليه رواية جابر بن عبد الله الأنصاري التي قالها في حضور الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام [١]. وفي تلك الحجة كانت الوصية بالتمسك بالثقلين كتاب الله والعترة في منى، وكان بعدها واقعة الغدير التي نصب فيها النبي عليا عليه السلام، وليًّا على المسلمين وخليفة للرسول الكريم.

٢/ **وضوء الرسول**: وقد حكى الإمام محمد بن علي الباقر وضوء رسول الله ﷺ كما رواه عنه زرارة بن أعين قال: قال أبو

(١) ذكرنا نصها وتفاصيل الحادثة في كتابنا: باقر العلم؛ الإمام محمد بن علي بن الحسين.. من هذه السلسلة.

جعفر عليه السلام: «ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقلنا: بلى، فدعا بقعب فيه شيء من ماء فوضعه بين يديه ثم حسر عن ذراعيه ثم غمس فيه كفه اليمنى ثم قال: هكذا إذا كانت الكف طاهرة، ثم غرف ملأها ماء فوضعها على جبهته ثم قال: بسم الله. وسدله على أطراف لحيته، ثم أمر يده على وجهه وظاهر جبهته مرة واحدة ثم غمس يده اليسرى فغرف بها ملأها ثم وضعه على مرفقه اليمنى فأمَرَّ كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه ثم غرف بيمينه ملأها فوضعه على مرفقه اليسرى فأمر كفه على ساعده حتى جرى الماء على أطراف أصابعه، ومسح مقدم رأسه، وظهر قدميه ببلة يساره، وبقية بلة يمناه»[1].

وأخبر المسلمين بأنه قد «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِداً وَتُرَابُهَا طَهُوراً، أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلَاةُ صَلَّيْتُ».

٣/ رسول الله وركعات الفرائض والنوافل: إنّ الله عز وجل فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الركعتين ركعتين، وإلى المغرب ركعة، فصارت عديل الفريضة لا يجوز تركهن إلا في سفر، وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله له ذلك كله فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة، ثم سن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النوافل أربعا وثلاثين ركعة مثلي الفريضة، فأجاز الله عز وجل له ذلك[2].

---

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٢٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦.

٤/ الأذان وجبرئيل ينزله على الرسول: «لما هبط جبرئيل بالأذان على رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر علي، فأذن جبرئيل وأقام فلما انتبه رسول الله ﷺ قال: يا علي أسمعت؟ قال: نعم، قال أحفظت؟ قال: نعم، قال: ادع بلالا فعلّمه فدعا عليٌّ عليه السلام بلالا وعلمه»[١].

٥/ أثر الصلاة: تطهير النفس ومغفرة الذنب: قال رسول الله ﷺ: «لو كان على باب دار أحدكم نهر واغتسل في كل يوم منه خمس مرات أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟! قيل: لا، قال: فإن الصلاة كمثل النهر الجاري كلما صلّى صلاة كفّرت ما بينهما من الذنوب»[٢]. كما «إِنَّ عَمُودَ الدِّينِ الصَّلاَةُ، وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ صَحَّتْ نُظِرَ فِي عَمَلِهِ، وَإِنْ لَمْ تَصِحَّ لَمْ يُنْظَرْ فِي بَقِيَّةِ عَمَلِهِ».

٦/ ثواب الصوم المتكامل هو العتق من النار: عن رَسُولِ الله ﷺ أنه قَالَ: مَنْ صَامَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَحَفِظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَأَعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ وَأَحَلَّهُ دَارَ القَرَارِ[٣].

٧/ التقصير والافطار في السفر هدية الله: «إن رجلا أتى

(١) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٢.
(٢) الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة (آل البيت) ٤/ ١٢.
(٣) المصدر نفسه ١٠/ ٢٤٣.

النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أصوم شهر رمضان في السفر؟ فقال: لا، فقال: يا رسول الله إنه علي يسير، فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل تصدق على مرضى أمتي ومسافريها بالإفطار في شهر رمضان أيحب أحدكم لو تصدق بصدقة أن ترد عليه.»[1]

٨/ مواقيت الحج والعمرة بوضع رسول الله: «الاحرام من مواقيت خمسة وقّتَها رسول الله ﷺ لا ينبغي لحاج ولا لمعتمر أن يحرم قبلها ولا بعدها، وقّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة وهو مسجد الشجرة يصلي فيه ويفرض فيه الحج وقت لأهل الشام الجحفة ووَقّت لأهل نجد العقيق ووقت لأهل الطائف قرن المنازل ووقت لأهل اليمن يلملم ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله ﷺ»[2].

ونورد بعض أحاديثه صلوات الله عليه وآله في المعاملات؛

١/ هل للذنوب آثار وضعية في الطبيعة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة وإذا طففت المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها وإذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم عدوهم وإذا قطعوا الأرحام

(١) الكليني: الكافي ٤/ ١٢٧.
(٢) المصدر نفسه ٤/ ٣١٩.

جعلت الأموال في أيدي الأشرار وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم»[1].

٢/ **وفي الآداب العامة للمعاملات:** يقول الرسول الكريم ﷺ: «من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشترين ولا يبيعن الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى»[2].

٣/ **الملعونون في الخمر:** «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: غارسَها وحارسَها وعاصرَها وشاربَها وساقيَها وحاملَها والمحمولَة إليه وبايعَها ومشتريَها وآكلَ ثمنها»[3]. وإذا كانت الخمر بعنوانها الخاص قد حرمت في القرآن الكريم فإن رسول الله ﷺ بما فوض الله إليه قد حرم كل مسكر كما جاء في الحديث عن الإمام جعفر الصادق قال: «حرم الله الخمر بعينها وحرم رسول الله ﷺ كل مسكر فأجاز الله ذلك له ولم يفوض إلى أحد من الأنبياء غيره»[4].

٤/ **الخيانة من الجار في الأرض:** لكي يتربى المسلمون على الأمانة وهي أساس التعامل الذي ينبني على الثقة والاعتماد

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٤.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٥١.
(٣) الصدوق: الخصال ص ٤٤٥.
(٤) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) ٢٥/ ٣٣٣.

وبواسطتها تدور عجلة الاقتصاد فتجلب الرزق، بينما إذا فقدت من سوق فلا أحد مستعد لأن يستثمر فيها، ولذا قال النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ أَخْلَفَ بِالْأَمَانَةِ»، وَقَالَ: «الْأَمَانَةُ تَجْلِبُ الرِّزْقَ وَالْخِيَانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ».

بل شنع الرسول الأعظم ﷺ على الخيانة حتى لو كانت بمقدار شبر من الأرض! فقد حدث جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن آبائه، عن النبي ﷺ في حديث المناهي قال: «من خان جاره شبرًا من الأرض جعله الله طوقا في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوَّقًا إلا أن يتوب ويرجع»[1].

٥/ وأكثر ما يبتلى به الناس في دينهم؛ حقوق الغير: ولذا فقد بيّن الرسول الكريم حقوق الفئات الاجتماعية بعضها على البعض الآخر، وفيما بين الأرحام، فقال لامرأة جَاءَت اليه ﷺ فقالت يا رسول الله، ما حقّ الزوج على المرأة؟ فقال لها: «أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدّق من بيته إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوّعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء»[2].

ولذلك فإن «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر وقامت

(١) المصدر نفسه ٣٨٦.
(٢) الكليني: الكافي ٥/ ٥٠٧.

وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أول من ترد النار، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذيًا ظالمًا»[1].

وقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا حَقُّ ابْنِي هَذَا؟ قَالَ ﷺ: «تُحَسِّنُ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ وَضَعْهُ مَوْضِعاً حَسَناً» وقالَ أيضا: «رحمَ اللهُ مَنْ أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَى بِرِّهِ. قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ يُعِينُهُ عَلَى بِرِّهِ؟ قَالَ ﷺ: يَقْبَلُ مَيْسُورَهُ وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مَعْسُورِهِ وَلَا يُرْهِقُهُ وَلَا يَخْرَقُ بِهِ».

٦/ **الرسول وبناء الأسرة:** قد رغب رسول الله ﷺ في بناء الأسرة، من خلال علاقة زوجية مشروعة بين الرجل والمرأة باعتبارها تقضي على نصف مسببات الانحراف ـ إن لم يكن أكثر من ذلك ـ ولذلك فإنه «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج»، و«من تزوج أحرز نصف دينه – وفي حديث آخر – فليتق الله في النصف الباقي»[2].

وتتبين أهمية هذه التوجيهات إذا علمنا أن مركز المؤامرة الدولية اليوم هو ضرب الأسرة وتفتيتها بمختلف الأساليب والوسائل. بدءًا مما رفعوا من شعارات تحرير المرأة، ثم تمكين المرأة، وأخيرا الحركة الشاذة المسماة بالمثلية.

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ٢٠/ ١٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٣/ ٣٨٣.

٧/ **الوصية والاهتمام النبوي بها**: كما أن الوصية على مستوى الأمة كانت مهمة، ولذلك فقد أوصى رسول الله ﷺ أمته بما فيه سعادتها ونجاتها من الضلال، وحديث الثقلين: القرآن والعترة شاهد على ذلك، فقد أوصى كل شخص من المسلمين بالوصية في دائرته الفردية والاجتماعية، وذلك أن المسلم قد يكون مطلوبا ومديونا بديون لله تعالى كواجبات لم يؤدها (من حج وصوم وصلاة) وقد يكون مطلوبا بديون لعباد الله (كاقتراض منهم وأمانات ائتمنوه عليها وأثمان لم يسددها.. وغير ذلك) وهنا قد شُرّع له للخروج من عهدة هذه الديون عنوان الوصية، فهو يوصي من يشاء للقيام بتنفيذ ما سبق، ولو في مقابل مال، فإذا نفذها الوصي أصبحت ذمة الموصي بريئة.

لأجل هذا قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمرء المسلم أن يبيت إلّا ووصيته تحت رأسه، ومن مات بغير وصية مات ميتة جاهلية».

٨/ **العقوبات في مواجهة الانحراف الجنسي**: وقد أقر الرسول ﷺ عددًا من العقوبات (بالإضافة إلى ما ذكره الله في القرآن) لتطهير المجتمع المسلم من الانحرافات الجنسية، لا سيما تلك التي تقف وراءها منظمات وجهات تريد انهيار المجتمع المسلم، ومنها اللواط والشذوذ الجنسي بين الذكور، فقد أوجب فيه رسول الله ﷺ على كل من الفاعل والمفعول المطاوع عقوبات شديدة رادعة، فقد روي عنه ﷺ أنه قال «من وجدتموه يعمل

عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[1] واختص الفاعل بعقوبات مغلظة من حيث الشكل كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه حكم في مثل ذلك بثلاثة أحكام: «ضربة بالسيف في عنقك بالغة منك ما بلغت، أو إهداب[2] من جبل مشدود اليدين والرجلين، أو إحراق بالنار»[3].

هذا غيض من فيض ونقطة من بحر مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. وبها يستدل على غيرها.

(١) الأحسائي: عوالي اللئالي ١/ ١٧٠، والحاكم النيسابوري: المستدرك ٤/ ٣٥٥.
(٢) يعني إلقاء، وفي بعض المصادر إهدار أو إهداء.
(٣) الكليني: الكافي ٧/ ٢٠١.

الحياة الأسرية
للنبي محمد صلى الله عليه وآله

◄ زوجات النبي أسماء وتاريخ

الزوجات اللاتي مكثن مع رسول الله مدة من الزمن هن التالية أسماؤهن:

١/ **خديجة بنت خويلد**: وهي أفضل نسائه قاطبة وأم أولاده (فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، والقاسم والطاهر)، وأطول نسائه معه مكوثًا، تزوجها رسول الله وعمره ٢٥ سنة[١] وعمرها على الصحيح ٢٨ سنة، وتوفيت عنه وعمره ٥٠ سنة، في السنة العاشرة بعد البعثة، أي سنة ٣ قبل الهجرة. وقد بقيت معه ٢٥ سنة لم يتزوج أي امرأة طيلة وجودها معه. حضورها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قبل بعثته وبعد بعثته بل حتى بعد وفاتها عليها السلام واضح، ولا يرقى إليه حضور أي من زوجاته، بل هن مجتمعات. وقد كتبنا حول شخصيتها وسيرتها وفضائلها مواضيع متعددة فليراجعها

(١) أو ٢٦ كما سبق وأن أشرنا إليه في الفصل الأول.

من يطلب التفصيل[1].

٢/ **سودة بنت زمعة**: وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة، وقد كانت قبل ذاك زوجة للسكران بن عمرو وهاجرت معه إلى الحبشة ثم عادا إلى مكة (وفي رواية أنه توفي في الحبشة)، ولا يظهر من سيرتها شيء استثنائي سوى ما قيل من أن النبي أراد طلاقها، (وفي بعض الروايات أنه طلقها) ولكنها طلبت إبقاءها أو إرجاعها لتحشر في زوجاته. وأنها قالت كلامًا يفهم السامع منه تحريضًا للكفار على الثبات في وجه رسول الله، الأمر الذي عاتبها فيه رسول الله، ولعل هذا كان داعيًا إلى ما سبق من طلاقها أو إرادته ذلك، تنقل مصادر الخلفاء أنها كانت من حزب السيدة عائشة وأنها أعطت ليلتها لها[2]. توفيت سنة ٥٤ هـ.

٣/ **عائشة بنت ابي بكر بن أبي قحافة**؛ وقد قيل إنه عقد عليها النبي ﷺ في مكة وتزوجها في المدينة، ويدور جدل كبير حول عمرها حين تزوجها النبي فالرأي المشهور في مدرسة الخلفاء وهو معتمد على روايتها بأنها عقد عليها وهي بنت ست سنين، ودخل بها الرسول وهي بنت تسع،[3] بينما يشكك باحثون في هذه

(١) لتفصيل سيرتها وجهادها مع رسول الله ﷺ يمكن للقارئ مراجعة كتابنا: أعلام الأسرة النبوية.

(٢) هو المشهور في مصادر مدرسة الخلفاء رواية عن عائشة، مع إضافة أنها فعلت ذلك لمعرفتها بمحبة رسول الله لها.

(٣) قد كتبت بحوث ودراسات تضعف هذا القول وتقوي القول الآخر من

الروايات ويعتقدون بأنها كانت قد تخطت السادسة عشر حين دخل بها رسول الله. توفيت سنة ٥٨ هـ. تشير مصادر مدرسة الخلفاء على أنها «أعلم الصحابة بسنة رسول الله» وتنقل عنها عن النبي ٢٢١٠ أحاديث بينما تنقل تلك المصادر عن أمهات المؤمنين الثمان مجتمعة ٦١٢ حديثاً[1].

وقد تساءل السيد العسكري في كتابه أحاديث أم المؤمنين عن ذلك قائلًا: «كيف أصبحت أكثر الصحابة إفتاء بما في ذلك الصحابة الخلفاء الذين كان المسلمون يرجعون إليهم في شؤونهم؟ وكيف بلغ مجموع أحاديث أزواج الرسول الثمان ٦١٢ حديثا، وبلغ أحاديثها وحدها ٢٢١٠ حديثا؟ وقد دخلت بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة ولم تتجاوز العام العاشر من عمرها وهي طفلة صغيرة تلعب باللعب، وتوفيت في السنة الثامنة أو التاسعة والخمسين من الهجرة. ودخلته أم سلمة أيضًا في السنة الثانية وهي امرأة كبيرة أيّمة، ثم عاشت بعد عائشة ثلاث سنين حيث توفيت في السنة الثانية والستين أو الثالثة والستين من الهجرة. والفرق بين

المذهبين، ونشير هنا إلى بحث الباحث المعاصر الشيخ حسين الخشن بعنوان: أبحاث حول السيدة عائشة؛ رؤية شيعية معاصرة. كما نُقل عن د. محمد ناصر قطبي في كتابه «أفلا يتدبرون القرآن» أن عمرها وقت دخول النبي بها كان ١٨ سنة، وأقل من ذلك نقل عن عباس محمود العقاد في كتابه الصديقة بنت الصديق أنها كانت عند زفافها للنبي لا تقل عن الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشر بكثير.

(١) العسكري؛ السيد مرتضى: أم المؤمنين عائشة ٢/ ٣٢.

أحاديثها كبير، وكيف كانت لا تسأل عن أمر إلا وعندها علمٌ منه؟

ألا ينبغي لأحاديث بلغت من الكثرة والأهمية ما بلغته أحاديث أم المؤمنين عائشة ان تعنى بدراستها عناية خاصة؟ أما أصحاب الحديث الذين كانوا يدرسون الرواة وأحاديثهم فإنهم أحجموا عن ذلك!»[1]

يرى محققون من الإمامية أن السيدة عائشة بالرغم من ذكائها، وقوة شخصيتها ـ بحيث أنها كانت رأس حزب في زوجات النبي مع صغر سنها وكبر سنهن ـ إلا أنهم يعتقدون أن تضخيم أدوارها (بما في ذلك كثرة الرواية عنها وذكر الخصال الكثيرة لها[2] لا يخلو من جانب عقَدي فإنها كانت على رأس المواجهة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في حرب الجمل، ولم تكن علاقتها معه حسنة قبل ذلك، كما أن تعظيمها وتناقل أحاديثها ينتهي إلى تعظيم وتقديم والدها أبي بكر على جميع المسلمين، وهو الأمر الذي يدعم موقع مدرسة الخلفاء.

٤/ **حفصة بنت عمر بن الخطاب**؛ وينقل أن والدها بعدما توفي زوجها خنيس بن حذافة السهمي قد عرضها على كل من عثمان وأبي بكر، ورفضا الاقتران بها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك في شهر شعبان سنة ٣ هـ. يظهر أن دورها كان دورا تابعا

(١) المصدر السابق ٢/ ٣٥.

(٢) الزركشي الشافعي؛ محمد بن عبد الله: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٥٤.

للسيدة عائشة،[1] ونلحظ ذلك في ما قصه القرآن الكريم في سورة التحريم، وفي مواضع أخر، بل وحتى ما بعد وفاة رسول الله حيث عزمت على الخروج مع السيدة عائشة إلى حرب الجمل لولا نهي أخيها عبد الله بن عمر إياها. توفيت سنة ٤٥ هـ وقيل ٤١ هـ. وتنقل مصادر الإمامية وغيرهم أنها ـ مع بعض النساء المخالفات لأمير المؤمنين علي عليه السلام ـ قد اجتمعن شامتات بموقف الإمام لما نزل ذي قار، وأنه أصبح «كالأشقر إن تقدم عقر وإن تأخر نحر»[2]. ويستفاد من بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد طلقها،[3] ثم أرجعها بوساطة أبيها عمر.

٥/ **زينب بنت خزيمة**؛ وهي التي تسمى بأم المساكين لعطفها وإنفاقها عليهم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد زواجه بحفصة بنت عمر. لم تبقَ زينب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير شهرين كما قيل، فتوفيت

(١) مسند أحمد ٤٣/ ٤١ «سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تخبر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلًا، فتواطيت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «بل شربت عسلًا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له». فنزلت: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ [التحريم: ١ - ٤] لقوله: بل شربت عسلًا»

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٤/ ١٣.

(٣) مسند أحمد ٢٥/ ٢٧١: «عن عاصم بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم ارتجعها»

في أيام حياته. وقد نقل عنه أنه وصفها بأنها أطول زوجاته يدًا (يعني إحسانًا) وأولهن لحوقًا به.

٦/ **أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية**، وهي بنت عمة النبي (برة بنت عبد المطلب) تزوجها بعد زينب أم المساكين، وكان عمرها بحدود ٣٤ سنة، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد من بني مخزوم وقد استشهد بعد معركة أحد على أثر جراحة أصابته فيها وولدت له سلمة، وعمر، ودرة، وزينب، وقد بلغت منزلة عالية عند رسول الله بحيث يعتقد الإمامية أنها تتلو خديجة في المرتبة بين نسائه، وتتقدم على باقي زوجاته..

ونلحظ ملاحظتين في السيدة أم سلمة؛ ابتعادها عن الفخر وميلها إلى التواضع، فهي تقول لرسول الله ﷺ وقد جاء بنفسه يخطبها «فيّ خصال ثلاث، أما أنا فكبيرة وأنا مُطفِل وأنا غيور، فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فندعو الله حتى يذهبه عنك، وأما ما ذكرت من الكبر فأنا أكبر منك والطفل إلى الله وإلى رسوله»[1] وكثرة روايتها لأحاديث فضائل أهل البيت وولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، مثل حديث الكساء، وحديث الغدير، وحديث المنزلة، ولا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وحديث: علي مع القرآن والقرآن مع علي، وحديث: من سب عليًّا فقد سبني.. وغيرها وقد

(١) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير ١٠/ ٨٩: وبالفعل فقد رأينا كيف أذهب الله بدعاء النبي غيرتها، ولم يكن همها مناكفة غيرها بل لم يكن همها وهاجسها إثبات أنها هي المفضلة والمميزة، ولولا دعاء النبي ربما كان الأمر مختلفًا.

ذكرنا جانبا من ذلك في ترجمتها في كتابنا اعلام الأسرة النبوية.

وبالإضافة إلى روايتها لتلك الأحاديث كان موقفها صريحًا وواضحًا من ولاية أمير المؤمنين وتأييده في كل مواقفه، ويكفيك ما قالته للسيدة عائشة وقد دعتها للخروج معها في عسكر الجمل! فقد كان ردها عليها قويًّا ونصحتها بألّا تخرج في ذلك الطريق الذي لا يرضاه الله ولا رسوله.

٧/ **أم حبيبة بنت أبي سفيان** تزوجها رسول الله ﷺ وعمرها بضع وثلاثون سنة وقيل إن ذلك كان في سنة ٦ هـ[١]، وكان زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب، قد هاجر معها مسلمًا إلى الحبشة، لكنه تنصر هناك ومات عنها، ولها بنت منه اسمها حبيبة وهي التي تكنى بها.

٨/ **زينب بنت جحش** وقد تزوجها رسول الله ﷺ بعد أم سلمة، وذلك في ذي القعدة سنة ٥ هـ، وكان قد زوّجها مولاه زيد بن حارثة، فلما لم يستقم أمر زواجهما لمشاكل بينهما، ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾[٢]. وكانت تفتخر على باقي نساء النبي بأن تزويجها كان من الله تعالى[٣] بمقتضى الآية المباركة، بينما تزويج

(١) بحار الأنوار ٢١/ ٤٧

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) وبهذا وأمثاله يمكن التأمل بما يذهب إليه أتباع مدرسة الخلفاء من أن اختيار النبي لعائشة كان ربانيًّا أو جاء به جبرئيل أو غير ذلك مما روي بعضه عنها، إذ لو كان كذلك لما افتخرت زينب بأنها هي التي زوجها الله تعالى بقوله (زوجناكها) إذ يمكن الاعتراض عليها بأنني أنا أيضًا جاءت صورتي له

باقي النساء كان بواسطة أوليائهن. وينبغي أن نشير بالمناسبة هنا إلى أن ما ورد في بعض التفاسير في خصوص ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ من أن النبي لما رأى جمالها أعجبته وتمناها لنفسه! وأن الله عاتبه في ذلك، هذا التفسير الخاطئ يستقي من نفس الماء الآسن الذي يؤكد على خطايا الأنبياء والرسل، ويعارضه أئمة أهل البيت وشيعتهم.

٩/ **جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار**؛ وقد تزوجها الرسول الله ﷺ بعد زينب بنت جحش، وكانت مما سبي في معركة بني المصطلق سنة ٥ هـ، فصارت في سهم أحد المسلمين، فكاتبته[١] على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، وقالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: أو خيرٌ من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها[٢].

بواسطة جبرئيل.. كما نقلوا في الأخبار تلك.

(١) معنى الكتابة في الفقه الإسلامي: عقد يُنشأ بين السيد المالك وبين العبد (أو الأمة) يشتري فيه العبد أو الأمة حريته في مقابل أداء عمل أو دفع مال معين، فإذا أتمه ووفاه أصبح حرًّا.

(٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ص٢٦٣.

١٠/ **صفية ابنة حيي بن أخطب**، وتزوجها رسول الله بعدما فتحت خيبر، وأخذت في السبي، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وأعتقها وجعل عتقها صداقها. وبقيت معه طيلة حياته. ويظهر من بعض القرائن أنها آمنت بالنبي بصدق وأحبته كذلك، وأنها قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ كانت ترى رؤيا فسرها والدها وزوجها بأنها تتطلع لتكون زوجة رسول الله! وعوقبت على أثر ذلك، وأنها لما مرض رسول الله وكان على فراش مرضه كانت تقول: إني والله يا نبي الله لوددت أن الذي بك بي، فغمزن أزواجه ببصرهن فقال: «مَضْمِضن» فقلن: من أي شيء؟ فقال: «من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة»[١].

١١/ **ميمونة بنت الحارث الهلالية** تزوجها رسول الله ﷺ، في مكة بعدما أحل وذلك بعد عمرة القضاء في سنة ٧ هـ[٢].

ومن بين هذه النساء ماتت في حياته اثنتان؛ خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، فاللاتي بقين معه إلى وفاته وقبض عنهن كانت تسع نساء.

وكانت عنده أيضًا مارية القبطية وهي جارية أهداها إليه مقوقس مصر، وجاءت إلى المدينة في أوائل السنة الثامنة، وأنجبت له ابنه إبراهيم، الذي ما لبث بعد حوالي سنة ونصف أن قبضه الله

(١) العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٢١٢.
(٢) يختلف ترتيب بعض هذه الزيجات من مؤلف لآخر بين تقديم وتأخير.

تعالى. وقد تعرضت مارية إلى أذى كثير من بعض زوجات النبي الأخريات، حيث تم التشكيك في عفتها وطهارتها بل في انتساب إبراهيم لوالده النبي، وهذا أحد وجوه قضية الافك، وهناك وجه آخر هو المشهور عند مدرسة الخلفاء.

◄ عشر نقاط في فهم موقع زوجات النبي

وهنا يهمنا أن نشير إلى نقاط ترتبط بحياته الزوجية:

النقطة الأولى: أنه قد تمت الإشارة إلى زوجات رسول الله ﷺ في القرآن الكريم في مواضع متعددة: منها ما جاء في سورة الأحزاب [1] من آية ٢٨ إلى آية ٣٤، ومنها ما جاء في نفس السورة في آية ٥ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ وأهمية هذه الآية كونها قد أعطت زوجات رسول الله لقب أمهات المؤمنين! وسيكون له دور مهم في فهمه وترتيب الأثر عليه.

---

(١) الأحزاب ٢٨ ـ ٣٤: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾.

والذي ينبغي أن يقال هنا أن تنزيلهن منزلة الأمهات ليس مطلقًا بحيث تكون زوجة النبي بالنسبة لكل مسلم أمًّا حقيقية له بحيث ترثه ويرثها، ويراها وتراه، ويطيعها في أوامرها، وأمثال ذلك مما هو حق ثابت للأم على أبنائها. وإنما هو محصور بقضية واحدة فقط ـ بعد الاحترام لمكانتها من النبي ـ وهي حرمة نكاحها على المسلمين وقد صرح القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا**﴾[1].

وهذا هو الذي أخطأ فيه بعضهم عندما اعتبر زوجة النبي قائدًا ميدانيًّا يعين له سلمه وحربه، فدخل معها حرب الجمل في وجه وصي النبي وأمير المؤمنين عليه السلام.

النقطة الثانية: أن زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمهات المؤمنين لهن مكانة عالية، وبنفس هذه المكانة تكون مسؤوليتهن أكبر، فكل عنوان يكسب صاحبه قيمة يفرض عليه بتبع ذلك التزامات. إن العالم يُقدَّر لعلمه، وهذا التقدير وذاك العنوان يفرضان عليه ألّا يتصرف إلا بما يتناسب مع عنوانه. لذلك يخاطب القرآن الكريم نساء النبي بأنكن ﴿**يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**﴾، وهذه المكانة وتلك المسؤولية لها حدودها. فلا ينبغي أن تتحول إلى مشروع سياسي مثلًا! كما أشرنا في النقطة الأولى.

---

(١) الأحزاب: ٥٣.

النقطة الثالثة: إن موضوع كثرة زوجات النبي ﷺ من المواضيع التي أثارها أعداء الدين من مستشرقين وتلامذتهم المحليين، ورجال الدين (يهود أو مسيحيين)، ينطبق عليه قول الله عز وجل ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾[1] فمهما حاول الباحث البرهنة على سلامة الموقف النبوي، فإنهم لا يؤمنون بذلك ولا يسلمون له! لقد أثاروا ـ وكثيرٌ منهم ساقط في حمأة الشهوات الجنسية ـ الإشكال حول عفاف النبي وأنه كيف يتزوج هذا العدد؟ إن ذلك ليدل بزعمهم على «شهوانية» صاحب هذه الزيجات! وحين تناقشهم بأن من يكون كذلك كيف يبقى مع زوجة واحدة وهي خديجة مدة خمس وعشرين سنة متتالية، لم يتزوج فيها امرأة أخرى مع إمكانية ذلك وسهولته؟ وكونه في عز شبابه وقوته وإنما تكون شهوة الإنسان في مثل هذا العمر (ما بين ٢٥ و٥٠ سنة)! ولماذا تزوج امرأة مثل سودة بنت زمعة وهي التي تجاوزت الخمسين كما قيل؟ ولماذا ترك الباكرات ـ باستثناء امرأة واحدة ـ ليتزوج في الثيبات اللاتي كان بعضهن لا تزال أولادها في حجرها؟

إن قسمًا من زيجاته ﷺ، كانت أشبه بالكفالة المالية والاجتماعية لبعض تلك النساء، كتلك التي مات عنها زوجها متنصرًا في الحبشة، أو هذه التي أصبحت بلا والٍ يرعاها على أثر هزيمة قومها واخراجهم من المدينة، وأكثر هؤلاء النساء كن أرامل. بالإضافة إلى ما تقتضيه قوانين تلك الأزمنة من التحالفات

(١) البقرة: ١٤٥.

القائمة على أساس المصاهرة بالنسبة للبعض الآخر. وشاهد ذلك أننا رأينا أكثر هذه الزيجات قد حصلت في فترة المدينة وبدءًا من السنة الثانية للهجرة، وخلال ثمان سنوات تقريبا وهي أواخر عمر النبي ﷺ!

النقطة الرابعة: إنه لا بد من التفريق بين العناوين التي تترتب عليها آثار، والأخرى التي لا تترتب عليه تلك الآثار فمثلا عنوان أهل البيت، يترتب عليه آثار كثيرة في المجال الشرعي، إذ أمر النبي ﷺ بالتمسك به مع القرآن، لكن عنوان الصحابة مثلا لم يترتب عليه أثر شرعي من هذا القبيل. وهكذا الحال في عنوان زوجات رسول الله. فـ (الزموا أهل بيت نبيكم فإنهم لن يخرجوكم من هدى ولن يدخلوكم في ردى) وذلك لأنه ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]. وهذه الآية تدل على عصمة الداخلين فيها مثلما يدل على عصمتهم حديث الثقلين والأمر فيه بطاعتهم مطلقا، وهو لا يتصور إلا بفرض عصمتهم، فلو كنا وحديث الثقلين لكفى به تفسيرا للآية المباركة[2]. وما كنا بحاجة لحديث الكساء[3] المفسر للآية؛ من يدخل فيها ومن يخرج منها.

---

(١) الأحزاب:٣٣

(٢) وما قيل من أن «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ساقط سندًا، وباطل وجدانًا فإن بعضهم قتل بعضهم الآخر وحارب بعضهم بعضًا ولعن وشتم بعضهم بعضًا وكفّر بعضهم بعضًا، فهل يصدق هنا بأيهم اقتديتم اهتديتم؟

(٣) وقد تقدم ذكر حديث الكساء المروي عن ام سلمة والذي يعين من يدخل تحت عنوان أهل البيت المطهرين.

النقطة الخامسة: إن نساء النبي ـ باستثناء السيدة خديجة ـ لم يكنّ أفضل النساء في الأمة خلافا لما تعتقده مدرسة الخلفاء وتحاول تركيزه وتحويله إلى عقيدة. فلا القرآن الكريم قد فرض هذا الأمر بل فرض خلافه حين قال ﴿**عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا**﴾[1] فكان هناك بديلات خيرٌ وأفضل من الموجودات في الصفات المذكورة. وهذا يضيء لنا ببصيص نور في موضوع زوجاته ﷺ في الجنة! فإذا كانت بعض النساء صرن زوجاته في الدنيا لمعادلة سياسية او كفالة اجتماعية او لأن والدها عرضها على النبي أو لغير ذلك من الأسباب التي اقتضت مصلحة الوقت الزواج بها في الدنيا فليس بالضرورة أن تكون تلك المصلحة الدنيوية حاكمة في يوم القيامة!

فإذا كان هناك دليل خاص لواحدة أو أكثر فهو المعتبر. وأما الاستدلال بمثل ما مضى من وجوه فلا محل له.

النقطة السادسة: إنهن لم يكن على قلب واحد ولا على مستوى واحد! أما في العنوان الأول فنحن نجد تصريحًا بأنه كان هناك حزبان في نساء النبي، وحتى لو لم يكن تصريح فإن نمط الحركة والعلاقات بينهن يكشف عن هذا الأمر. فقد روى البخاري عن عائشة قولها: «أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين: فحزب فيه

(١) التحريم: ٥. والآية إنما نزلت بعد وفاة السيدة خديجة بسنوات.

عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ»[1].

هذه السلوكيات والتي كان فيها الحسد والتغاير ظاهرة واضحة في كثير منهن! تشير إلى أنهن لا يمكن أن يكنّ المخاطبات بآية التطهير كما أشرنا آنفا، فأين ما ينقل من «سب بعضهن لبعض» و«اغتياب بعضهن لبعض» و«تعدي بعضهن على بعض بإتلاف الأواني» و«سخرية بعضهن من بعض بالطول والقصر» و«نبز بعضهن لبعض بالألقاب والتعيير بالآباء» و«تشفي بعضهن بموت البعض»[2].. وغير ذلك.. أين هذا من ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟

النقطة السابعة: إننا نعتقد أن رسول الله ﷺ قد قدم نموذجًا متميزًا في إدارة الأسرة يصلح أن يكون دليلًا لكل أسرة تريد الاستقرار، فبالرغم من وجود كل مسببات التوتر والمشاكل (من تعدد الزوجات لهذا العدد الكبير، ومن اختلاف بيئات هذه الزوجات؛ ما بين امرأة في الستين من العمر إلى صبية دون العشرين، ومن زوجة ذات أطفال متعددين إلى بكر حديثة عهد بالزواج، ومن امرأة كانت مسلمة من السابق إلى أخرى أسلمت

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٥٦: أقول: لا نعتقد بصحة قوله فيما يرتبط بصفية، بل طبيعة العلاقات بين صفية وبين هذا الحزب كانت متوترة، والناظر لشتمها من قبلهم بأنها ابنة يهودي ويهودية وتعليم النبي إياها أن تقول إن أباها هارون وعمها موسى عليهما السلام.. وأمثال ذلك يشير إلى خلاف ما ذكره البخاري.

(٢) تجد أحاديث هذه الموارد في الصحيحين وغيرهما.

مع زواجها من النبي، فضلًا عن المستوى الاجتماعي المختلف.. كل ذلك لم يمنع من أن يحسن النبي إدارة تلك النساء، هذا وهنّ في بيت واحد لا يفصل بين الواحدة والأخرى سوى جدار غرفتها! هذا وهو ﷺ الذي كان مطالبا بقيادة الجيوش لمواجهة الكفار في المعارك، ومطالبا بالتوجيه الديني والسلوكي للمسلمين وإقامة الجماعات، وحل المشاكل الحادثة في المجتمع المسلم، والقضاء بين الناس.. وفوق كل ذلك ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾[1].

الحق: أن هذا أمر أشبه بالاعجاز! ونقدم هذا للكثير من الأزواج الذين لا يستطيعون إدارة زوجة واحدة فلا يمضي عدة أشهر إلا وقد حصل الطلاق بينهما. ونقدمه أيضًا للزوجات اللاتي لا يستطعن الانسجام وهن وحدهن في بيت ومع زوج!

النقطة الثامنة: يعتقد كثير من أتباع مدرسة الخلفاء بأن فضلى نساء النبي هي عائشة بنت أبي بكر وتليها في المنزلة خديجة بنت خويلد (وبعضهم يرى عكس ذلك)،[2] وينقلون عن السيدة عائشة الكثير من الأحاديث التي تبين فيها فضل نفسها وأن صورتها

(١) المزمل: ٢ـ ٤.

(٢) الزركشي: الإجابة ص٤٣: «واختلفوا في التفضيل بينها وبين خديجة على وجهين حكاهما المتولي في التتمة وقال الآمدي في أبكار الأفكار: مذهب أهل السنة إن عائشة أفضل نساء العالمين وقالت الشيعة أفضل زوجاته خديجة وأفضل نساء العالمين فاطمة ومريم وآسية»

جاءت من جبرئيل للنبي وبالتالي فالله اختارها له[1]، وأنها فضلت على باقي زوجات النبي بعشر خصال، وأن النبي كان يفضلها عليهن، ورفض مطالبات النساء تلك ـ ووساطة ابنته فاطمة ـ بأن يعدل وينصف بينهن![2] وأنه ما نزل الوحي إلا في لحافها.. وباقي الروايات التي كان مصدرها هو نفس السيدة عائشة.

إلا أن الإمامية يخالفون ذلك ويرون أنه لا توجد امرأة ـ بل ولا كل نساء النبي مجتمعات ـ تعدل خديجة بنت خويلد التي «آمنت به حين كفر الناس وصدقته حين كذبه الناس، وأنفقت وواست حين احجم الناس ورزقه الله الولد منها دون غيرها»[3].

ويعتقدون أن الثانية في الفضيلة بعد خديجة هي أم سلمة المخزومية[4]، ووجه التفضيل في ذلك هو مواقفها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم مواقفها مع أمير المؤمنين عليه السلام ومناصرتها إياه في وجه مخالفيه، في الوقت الذي وقفت فيه بعض نساء النبي في مواجهة عسكرية معه، ويتحدد الموقف من باقي النساء بناء على هذا قربًا وبعدًا.

وهذا الأمر لا يختص بنساء النبي أو أرحامه، بل بكل مسلمٍ

(١) قد ذكر المرحوم العلامة العسكري في كتابه أحاديث أم المؤمنين عائشة ٢/ ٤٣ بأن هذه الاحاديث كأنها في مقابل التزويج الإلهي للنبي بزينب بنت جحش في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

(٢) يمكن مراجعة نصوص الأحاديث في صحيح البخاري.

(٣) ابن عبد البر؛ النمري: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/ ١٨٢٣.

(٤) قد ذكرنا شيئًا من سيرتها ومواقفها في كتابنا أعلام الأسرة النبوية

كان أو يكون، فقد وضع رسول الله ﷺ مقياسا لكمال الإيمان وهو حب علي بن أبي طالب وبغضه. والاقتداء به في أموره وعدم ذلك.

بالطبع هذا لا يعني أن تشتم بعض نساء النبي! نعوذ بالله! فليس هذا منهج أئمتهم ولا علمائهم. وإنما الكلام في تقدم هذه وتأخر تلك.. هل له مقياس؟ أو بلا مقياس.. المقياس عند الإمامية هو انسجامهن مع رسول الله وطاعتهن إياه وتوخي مواضع رضاه في حياته، ثم سيرهن على طبق ما أوصى رسول الله من التمسك بولاية أمير المؤمنين وعترته الطاهرين، أو مخالفة ذلك.

النقطة التاسعة: إنه لما يستوقف النظر ويستوجب التأمل أن رسول الله ﷺ لم يرزق بولد (ذكر أو انثى) إلا من خديجة ومارية، فخديجة التي بقي النبي معها نحو ٢٥ سنة أنجبت له أربعًا من الإناث واثنين من الذكور، ومارية التي لم تبق معه سوى سنتين أنجبت له إبراهيم.

هل هي صدفة ألّا تنجب ثمان نساء، ولا يوجد مانع من ذلك كما هو الظاهر، فإن النبي قد مكث مع بعضهن ثمان سنوات وكنّ شابات، بل وأنجب بعضهن من غيره كما أنجب هو ﷺ، من غيرهن. أو أن الأمر يدخل ضمن التدبير الإلهي؟

إن من أنجبت له وكانت هي مبدأ الكوثر النبوي والاستمرار المحمدي هي خديجة التي وصفتها بعض نساء النبي بأنها عجوز من قريش هلكت في أول الدهر! وبواسطتها جاءت فاطمة التي

هي حليلة المرتضى وأم الأئمة النجباء عليهم السلام.

النقطة العاشرة: من الطبيعي أن يتم ذكر قضية الإفك عند الحديث عن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واعتقاد الإمامية أن الله سبحانه وتعالى نزه عرض رسول الله بأن يداس بما لا يناسبه، فلا يصغى إلى أي كلام ينسب الفاحشة لأي من نساء رسول الله. إلا أننا نسجل ملاحظة وهي أن مدرسة الخلفاء قد جعلت هذه القضية أم القضايا، ووظفتها توظيفًا عقائديًّا بامتياز، فلا تكاد تذكر السيدة عائشة في سطرٍ إلا وقيل بأنها التي برّأها الله من سبع سماوات!! وكأن باقي الآيات في تحذير نساء النبي أو الحديث عن تآمر بعضهن عليه أو ضرب المثل بزوجة نوح ولوط ـ في سياق الذم ـ نزلت من أول سماء!

وعلى كل حال فإن هذه القضية تنتهي إلى اتجاهين في روايتها؛ وكنا قد ذكرنا ذلك عند الحديث عن شخصية مارية القبطية في كتابنا أعلام الأسرة النبوية وقلنا:

الرواية الأولى: هي الرواية المشهورة والتي يتبناها بل يكاد يجمع عليها محدثو ومؤرخو مدرسة الخلفاء ومختصرها كما روتها أم المؤمنين عائشة: عندما قفل النبي من غزوة متجها للمدينة ونزلوا في موضع، قامت عائشة لحاجة عندها، ولما رجعت وجدت عقدها قد انقطع فرجعت تبحث عنه، فحمل الموكلون هودجها من دون أن يلتفتوا إلى أنها ليست فيه! ولما وجدت العقد ورجعت رأتهم

قد ارتحلوا عنها! ووجدت صفوان بن المعطل هناك وقد تأخر عن القوم! فأركبها على دابته، وجاء حيث لحق بالنبي والمسلمين! فتكلم أناس في ذلك وخاضوا في الإفك والإثم ونسبوا لها والعياذ بالله الفاحشة معه! ولا سيما زعيم المنافقين: عبد الله بن أُبَيّ! وتأثرت طريقة النبي مع زوجته فلم تكن ترى ذلك اللطف السابق! ولم تكن تعرف السبب ولا ما يدور في المدينة بين الناس من حديث الإفك والاتهام الباطل! إلى أن عرفت ذلك من خلال أم مسطح، فلما عرفت استأذنت النبي أن تذهب لبيت والدها، ومرضت على أثر ذلك الاتهام وكانت كثيرة البكاء والتألم من تهمة الإفك تلك! ولم تزل هكذا حتى نزلت الآيات المباركات التي تبرّئها فيه من التهمة،[1] وتشير إلى أن هذا الإفك ليس في ضرر المسلمين، بل ستكون نتيجته في صالح المسلمين.

لأنه قد أنزل الله قرآنًا يطهر النبي ويبرئ زوجاته عن هذا الأمر، وفيه نفعٌ لأنه كشف هؤلاء أيضًا بأنهم يتحدثون ضد النبي، وفيه نفعٌ أيضًا لأنه يعلّم المسلمين كيف ينبغي التعامل مع الشائعات والأكاذيب التي تنتشر في المجتمع!

وإلى هذا الرأي وأنه نزلت الآيات بعد هذه القضية ذهب عدد من أعلام الإمامية منهم الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، والشيخ الطبرسي صاحب مجمع البيان. ومن المعاصرين السيد محمد صادق الروحاني في جواب استفتاء له مصور ومنشور

(١) الطبري؛ ابن جرير: تفسير جامع البيان ١٩/ ١٢٠.

على الانترنت صرح فيه بنزول الآية في هذا المورد، وكذلك الشيخ جعفر السبحاني فإنه أرجع في أحد استفتاءاته إلى ما ذكره الشيخ الطبرسي وقال: رأينا في الموضوع هو ما ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان في تفسير سورة النور.

الرواية الثانية: في مقابل هذا رأى آخرون أن حادثة الإفك إنما ترتبط بمارية القبطية. ويقولون بأن مارية لما جاءت إلى المدينة كان معها خادم (قيل إنه من أقاربها واسمه مابور)، وكان يسعى في حوائج مارية، ويشتري لها ما تحتاجه، فبدأ منافقون يثيرون كلامًا، في أن بين ذلك الخادم وبين مارية ما لا يرضي الله سبحانه! بل زادوا في طنبور الافتراء نغمةً فقالوا: إن إبراهيم ليس ولدًا للنبي وإنما ولد ذلك الخادم!

يقولون فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا عليه السلام أن يذهب ويتحقق من الموضوع فإن صح ذلك فليضرب عنقه! والنبي وإن كان يعرف حقيقة الأمر إلا أنه يرتب النتائج على مقدماتها الظاهرية، وليكون أعذر للناس، ولما رأى ذاك الخادم عليًا مقبلًا وبيده السيف وقد وصلت الأمور إلى مثل هذا الحد، وعرف أنه هو المقصود لما كان يدور في تلك الأجواء. استلقى وشغر برجليه وكشف عن موضع عورته!! فإذا به ممسوحٌ مجبوب[1] (أي مقطوع العضو الذكري).

(١) في لسان العرب ١/ ٢٦١ المجبوب: هو الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصياه. وقد كانوا يفعلون ذلك بعبيدهم عندما يريدون أن يجعلوهم في خدمة البيوت ومع النساء! أقول: بالطبع هو من الناحية الشرعية حرام، لكن هذا الخادم عندما جاء كان هكذا منذ مجيئه!

وكان ذلك كافيا لإثبات براءته مما رمي به!

ويعتمد القائلون بنزول الآيات في حق مارية على رواية[1] حاصلها ما تقدم ذكره! وأيّاً كان فإن الرأي المحقق عند علماء المسلمين من الفريقين هو براءة أمهات المؤمنين وزوجات النبي من الفاحشة والخيانة الزوجية ولا يصغى إلى من يقول بخلاف ذلك»[2].

◄ أولاده صلوات الله عليه وآله

كان أولاد رسول الله ﷺ (ذكورًا وإناثًا) من زوجته الفضلى خديجة بنت خويلد ومن جاريته مارية القبطية، ولم يرزق أي مولود من سائر نسائه، وفي هذا محل للتأمل أشرنا إليه في السطور الماضية.

فأما أولاده من خديجة عليها السلام فكانوا ابنين واربع بنات فهم:

١/ القاسم؛ وبه كان يُكنى ﷺ، ويستفاد من الأخبار أنه «أول أولاد النبي»[3] قيل إنه عاش سنتين ومات بمكة قبل أن يُوحى إلى النبيِّ[4] وقد نقل في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام تأسف وبكاء خديجة على ابنها القاسم، فقال: «دخل رسول الله ﷺ على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك؟

(١) ابن سعد؛ محمد: الطبقات الكبرى ٨/ ١٧٢.
(٢) آل سيف: أعلام الأسرة النبوية ٢٨١
(٣) وقال ابن هشام: أكبر بنيه القاسم.
(٤) ابن الأثير: جامع الأصول ١٢/ ١٠٧.

فقالت: دَرَّتْ دَرِيرَةٌ فبكيت فقال: يا خديجة، أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها، وذلك لكل مؤمن، إن الله عزّ وجلّ أحكم وأكرم أن يسلب المؤمن ثمرة فؤاده، ثم يعذبه بعدها أبداً»[1].

٢/ عبد الله؛ على اسم والد النبي، وقد يلقب بالطيب والطاهر، وقد رأى بعضهم بأنه ولد بعد البعثة[2] إلا أن هناك رواية في الكافي تشير إلى أنه «لم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة عليها السلام على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام»[3]. وقد عكس الشيخ الطبرسي الترتيب فقال «أول ما حملت ـ خديجة ـ ولدت عبد الله وهو الطيب الطاهر، وولدت له القاسم. وقيل إن القاسم أكبر وهو بِكْرُه وبه كان يكنى».

والظاهر أنه اعتمد في ذلك على رواية الشيخ الصدوق في الفقيه وهي من غير سند.

٣ـ ٥/ رقية بنت رسول الله، وزينب، وأم كلثوم: وهذا

---

(١) الكافي: ٣ / ٢١٨. وتثير الرواية سؤالا بناء على أن الحادثة كانت قبل بعثة النبي (من ولادة القاسم ووفاته وكلام النبي لخديجة.. هل كان النبي يتصدى لبيان ما يحصل في عالم القيامة قبل بعثته؟ أو أن ولادته كانت قبل البعثة ووفاته بعد البعثة بناء على أنه توفي وعمره سنتان كما هو أحد الأقوال؟ أو هناك توجيه آخر؟

(٢) المصدر السابق

(٣) الكليني: الكافي: ٨ / ٣٣٨.

الترتيب هو الذي اختاره ابن هشام في السيرة.

٦/ فاطمة الزهراء عليها السلام: وهي الوحيدة من بناته التي ولدت بعد بعثة النبي بخمس سنوات، وهي التي أكرمها الله بمقاماتها الشامخة، فهي سيدة نساء العالمين، وزوجة سيد الوصيين، وأم الأئمة المعصومين عليهم السلام. وقد تعرضنا لشيء من سيرتها وشؤونها في كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد، وهو أحد كتب هذه السلسلة في سيرة المعصومين. واستشهدت بعد وفاة أبيها رسول الله بخمسة وسبعين يومًا كما ورد في روايات صحيحة عن أبنائها عليهم السلام.

◄ بنات النبي الثلاث لسن ربائب

رقية وزينب وأم كلثوم؛ فأول ما يأتي من البحث في أوضاعهن هو تحديد أنهن بنات النبي أو لسن كذلك. وقد ذكرنا في كتابنا أعلام الأسرة النبوية بمناسبة الحديث عن أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد، أن بناتها من النبي هن الثلاث والرابعة فاطمة عليها السلام. وقد عرضنا للنظرية الأخرى التي تقول بأنهن ربائب، وتابعنا بدايتها التاريخية وتطورها، وأظهرنا بأنه لا دليل واضحًا على ما يقوله أصحاب النظرية هذه، في مقابل الأدلة الكثيرة الموجودة على كونهن بنات للنبي، ولأننا لا نريد إعادة البحث بتفاصيله هنا، ونحيل من يريد تفصيل الأمر إلى الكتاب المذكور، فسنقتصر على ذكر خلاصة عن أدلة القائلين بأنهن بنات النبي ـ وهو الصحيح فيما نراه ـ:

الأول: أن علماء النسب وهم المرجع في هذه الأمور ـ وهم

أشبه بدوائر تسجيل المواليد والهويات الشخصية اليوم ـ قد نصوا على ولادتهن للنبي ﷺ من خديجة عليها السلام، وقلّ أن ترى عالم نسب قد ذكر خلاف ذلك.

ومثلهم من كتب في سيرة النبي ﷺ من المتقدمين فقد أطبقوا على هذا الأمر

الثاني: إن الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل البيت تصرح بهذا المعنى، مثل ما روى الإمام الصادق عن النبي ﷺ «وأنّ خديجة رحمها الله ولدت منّي طاهرًا – وهو عبد الله وهو المطهّر – وولدت مني القاسم، وفاطمة ورقيّة وأمّ كلثوم وزينب»[1] وهذه صريحة في أنهن بناته. ومثلها روايته الأخرى «وُلد لرسول الله ﷺ من خديجة: القاسم، والطاهر، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة، وزينب»[2] وأخذ في شرح أحوالهن وزواجهن.. وهذا بشكل مباشر يدل على ولادتهن لرسول الله من خديجة عليهما وآلهما السلام.

ومنها ما يشير بشكل غير مباشر مثل الرواية التي يمدح فيها رسول الله ابنيه الحسن والحسين، فيقول: ألا أدلكم على خير الناس أبًا وأمًّا؟.. إلى أن يقول: خير الناس خالًا وخالة.. الحسن والحسين خالهما القاسم وخالتهما زينب بنت رسول الله[3]. فإنه لا معنى لأن تكون خالتهما لولا أنها بنت رسول الله وأخت أمهما فاطمة.

---

(١) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الخصال ٤٠٥.
(٢) المصدر نفسه ٤٠٤.
(٣) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الأمالي، ص ٥٢٣.

وكذلك ما ذكر من أن من جملة وصايا فاطمة لأمير المؤمنين عليها السلام حين حضرتها الوفاة أنها أوصته بأن يتزوج من بعد وفاتها ابنة أختها زينب[1] «أُمامة» بنت أبي العاص بن الربيع. وهو يشير إلى المعنى المتقدم أيضًا.

ومن تلك الروايات التي تشير ضمنًا إلى بنوة بنات النبي الثلاث، رواية الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للإمام المهدي عليه السلام في جوابه على سؤال من سأل: لماذا فضلت فاطمة على سائر بنات النبي وهي أصغرهن سناً؟ فأجابه إن ذلك لفضل إخلاص عرفه الله من نيتها[2]. وهو يشير إلى أن الأمر كان معروفًا بين الشيعة، وإنما السؤال عن جهة التفضيل بين بنات النبي.

كما يشار إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في معاتبته للخليفة

---

(١) ذكره الكثير ممن تعرض لوصية الزهراء عليها السلام، كابن شهراشوب في المناقب ٣/ ٣٦٢ والزنجاني في مواضع متعددة من الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء١/ ١٧١، واليوسفي في موسوعة التاريخ الإسلامي٤/ ١٧٢ غيرهم.

(٢) الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغَيبة ١/ ٣٨٨ في ذكر بعض أحوال الحسين بن روح النوبختي:. وسأله بعض المتكلمين وهو المعروف بترك الهروي فقال له: كم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟. فقال: أربع، قال: فأيهن أفضل؟ فقال: فاطمة فقال: ولم صارت أفضل، وكانت أصغرهن سنا وأقلهن صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله؟!. قال: لخصلتين خصها الله بهما تطولا عليها وتشريفا وإكراما لها. إحداهما أنها ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يرث غيرها من ولده. والاخرى أن الله تعالى أبقى نسل رسول الله صلى الله عليه وآله منها ولم يبقه من غيرها، ولم يخصصها بذلك إلا لفضل إخلاص عرفه من نيتها.

عثمان، ودعوته إياه إلى انتهاج سبيل صحيح في الاصلاح وأنه أولى من الخليفتين الأول والثاني بهذا كما ورد في نهج البلاغة: «وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا»[1]. فما معنى أن يكون صهر النبي لو لم يكنّ بناته؟

والثالث: نص أعاظم الطائفة على ذلك؛ حيث لم يترددوا في الأمر فهذا الشيخ المفيد يجيب في المسائل السروية،[2] على سؤال عن تزويج النبي ﷺ بناته رقية وأم كلثوم، فالقضية مسلمة عنده وإنما تحتاج إلى تعليل وتوجيه. وكذلك السيد المرتضى في كلامه عن وجه أفضلية السيدة الزهراء عليها السلام على باقي أخواتها، وذكر الفقيه صاحب الجواهر الأمر كمسلمة من المسلمات فقال: «فقد زوج رسول الله ﷺ فاطمة عليًّا عليه السلام وأختيها رقية وأم كلثوم عثمان.»[3] وذكر قريبًا منه الشيخ الطوسي رحمه الله. وكذلك الشيخ الطبرسي فقد قال «وإنما ولد له منها ابنان وأربع بنات: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة»[4].

ولو كانت هذه الثلاث ربائب فما ميزتهن على حبيبة بنت زوجته أم حبيبة؟ حيث لا نرى في سيرة النبي ذكرًا لها، بل ولا أبناء

(١) الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين الموسوي: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ص ٢٣٤.
(٢) المفيد؛ محمد بن النعمان: المسائل السروية١/ ٩٢.
(٣) النجفي الجواهري؛ الشيخ محمد حسن: جواهر الكلام٢٩/ ١٣٠.
(٤) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى ١/ ٢٧٥.

وبنات أم سلمة (برة وزينب وعمر)؟

- أما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى في الجاهلية، وبعد إسلامه أرجعها النبي إليه، وتوفيت سنة ٧ هـ، فولدت لأبي العاص بنتًا اسمها أمامة تزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام [١].
- وأما رقية بنت رسول الله ﷺ فتزوجها عتبة بن أبي لهب، فطلقها قبل أن يدخل بها، ولحقها منه أذى، وتزوجها بعده بالمدينة عثمان بن عفان، وتوفيت بالمدينة سنة ٢ هـ.
- وأما أم كلثوم فتزوجها أيضًا عثمان بعد أختها رقية وتوفيت سنة ٩ هـ[٢].

٧/ إبراهيم وهو ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية، ولد بالمدينة سنة ٨ هـ ومات بها وله سنة وستة أشهر وبعض أيام، وقبره بالبقيع.

---

(١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٦.

عبده ورسوله

نتناول في هذا الفصل شيئًا من عبودية رسول الله ﷺ لربه وعبادته، ضمن النقاط التالية:

١/ في البداية لا بد من التفريق بين العبودية والعبادة، فإن العبودية تعني إيمان الشخص بأنه عبدٌ «لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا»، وأنه «لا حول له ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، بل يصل إلى درجة أنه لا يشعر بوجوده وإنما يرى وجود ربه في كل شيء وكل فعل.

وتأتي العبادة بأشكالها المختلفة؛ من أذكار وأفعال لتحقق تلك العبودية وتكرسها في النفس الإنسانية، فهو يستحضر أن حتى عبادته؛ خشوعه وخضوعه ليس باختياره لا في أصلها ولا في كيفياتها، فهو يعبد ربه بالمقدار والكيفية التي يريدها الله منه. ولذلك نعتقد أن أصول العبادات هي موجودة في الديانة السماوية في مراحلها المختلفة وأنبيائها المرسلين، وغايتها وهي تحقيق العبودية

حاصلة في أشكالها الأصلية التي لم يطرأ عليها تغيير وتحريف.

وبمقدار ما يتفكر العابد في معاني هذه العبادات يحقق عبوديته[1]، ولذلك فَضُل التفكر (في الله وخلقه والمصير) الكثيرَ من العبادات فصار «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»، بل كان هو العبادة الحقيقية كما ورد عنهم «ليست العبادة بكثرة الصّلاة والصّوم، إنّما العبادة كثرة التّفكّر في أمر الله عزّ وجلّ» وكانت ميزة ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أنهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾.

ومن هنا كانت مرتبة «العبد» تفوق مرتبة «العابد» فإن العابد إنما يأتي بأشكال العبادة ومظاهرها، وما يرتبط بعمل الجوارح من ذكر لساني وحركة فعلية كالصلاة والحج وما شابه، بينما العبد يكون شعوره وإحساسه بالعبودية مرتبطا بالقلب والاعتقاد الراسخ.

ولعله لهذا إذا أراد الله إعلاء منزلة أحد من رسله ذكره بأنه ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾[2] ووصف نبينا محمدًا ﷺ بأنه «عبده» فذكره في مواضع متعددة بهذا كما في ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾[3]، وفي ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾[4] و﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ

(١) بل العبادة الحقيقية هي التفكر فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام يقول: «لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ بِكَثْرَةِ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(٢) فالنبي أيوب ﴿وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ وسليمان وهبه الله لأبيه هو نعم العبد ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الفرقان آية: ١

أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾﴾، وهكذا. وفي تشهد الصلاة يشهد المؤمنون للنبي بأنه «عبده ورسوله».

٢/ كان النبي المصطفى محمد ﷺ قد حقق في ذاته كلا الجانبين، فهو عبد الله، وهو الذي كان جالساً على الحضيض أي على التراب مباشرة - وأمامه طبق يأكل منه ومعه جماعة، فمرت عليه امرأة، وقالت: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ لَتَأْكُلُ أَكْلَةَ الْعَبْدِ وَتَجْلُسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ على التراب. فقال لها: وَيْحُكَ وَأَيُّ عَبْدٍ أَعْبَدُ مِنِّي[1].

وجاء في الرواية أن جبرئيل عرض عليه عن الله عزو جل، خزائن الأرض وما فيها ولا ينقص من أجره شيء فاختار الطرف الآخر وهو أن يكون عبدًا، إذا شبع حمد الله وإذا جاع سأل الله تعالى. فكان بذلك وغيره سيد الأولين والآخرين وأقرب الخلق إلى ربه.

٣/ وتلك «العبادة» لم تكن منفصلة عن باقي مناحي حياته ﷺ، بل كانت تكملها وتتكامل معها، فقد يكون من السهل على بعض العباد أن ينذروا حياتهم للقيام بأشكال العبادات ومظاهرها، وقد حصل ذلك كثيرا، لكن المهم والمطلوب هو أن تتكامل هذه مع سائر أنحاء الحياة، فلو فرضنا أن العبادات قلب الجسم فلا بد أن يكون لهذا الجسم يدان ورجلان ورأس.. الخ حتى يؤدي مهمته كاملة. وإلا يبقى القلب مهما كان قويًّا لا يستطيع القيام بسائر مهام الجسم.

(١) الكليني: الكافي ٦/ ٢٧١.

ولذلك فقد أنكر رسول الله ﷺ على بعض المسلمين عندما تركوا حياتهم الزوجية، ومعاشهم الاقتصادي وجهادهم الديني وتفرغوا للقيام بالعبادة ـ بهذا المعنى الضيق ـ «فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها،[1] فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

ونفس هذا المعنى ينقل عن وصيه أمير المؤمنين عليه السلام في قصته مع عاصم بن زياد الحارثي والغرض من ذلك هو مقاومة التوجه الرهباني المنفصل عن الحياة العامة، وما يتركه ذلك التوجه من فخر وكبر كما لاحظنا في استقلال أولئك النفر لعبادة رسول الله وهو أعبد خلق الله، وهذا الفخر والكبر الذي يتمكن من بعض الناس على أثر كثرة عبادتهم، هو الطرف المناقض لحالة العبودية التي لا يرى العبد فيها نفسه شيئا! ولا ينظر إلى ذاته فضلا عن أعماله. بالإضافة إلى ما ينتج عن حالة الرهبانية الصوفية تلك من إهمال لمسؤوليات الإنسان المتنوعة.

---

(١) اعتبروها قليلة

(٢) صحيح البخاري ٧/ ٢

لقد ذكرنا في فصل الحياة الأسرية لرسول الله ﷺ، أن من جملة الأمور المعجزة في حياة رسول الله هو تلك الإدارة المتقنة لجميع الأمور، فبينما هو فارس مبادر إلى دفع الخطر واستعلامه، هو قائد عسكري يجيش الجيوش لتنتصر ويخطط لها ولو على بعد مئات الكيلومترات، وهو إلى ذلك موجه اجتماعي، ومدينة علم كاملة، ومدير لتسع نساء وزوجات على ما بينها من الاختلافات والمشاكل، وهو «عبد الله ورسوله»!

٤/ / وكما حقق النبي «العبودية» في أعلى درجاتها كما سبق، فقد حقق «العبادة» في أكمل صورها.

لم يكن ﷺ يصلي فقط! بل كان يرتاح إلى الصلاة ويرتاح بها! فإذا حزبه أمر صلى! ولا غرابة في ذلك فقد كانت الصلاة قرة عينه! و«كان رسول الله ﷺ إذا كان ليلة ريح شديدة، كان مفزعه إلى المسجد، حتّى تسكن الريح، وإذا حدث في السماء حدث من خسوف شمس أو قمر، كان مفزعه إلى الصلاة حتّى ينجلي»[١].

«كان يحنّ إلى الصلاة، ويتحيّنها، فلا يهدأ له بال، ولا يقرّ له قرار، حتى يقبل عليها، وكان يقول أحيانا لمؤذّنه بلال: «يا بلال! أقم الصلاة، أرحنا بها»[٢].

وقد عُرف الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بين

(١) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١٩/ ١٥٢.
(٢) السِّجِسْتاني؛ أبو داود: سنن أبي داود ٤/ ٢٩٦.

المسلمين بعبادته، ومع ذلك فهو لا يرى عبادته شيئًا بالقياس إلى عبادة جده أمير المؤمنين عليه السلام، ولما سئل عن عبادة أمير المؤمنين قال هي كذلك لا شيء بالقياس إلى عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن خلال ذلك تعرف عزيزي القارئ كيف كانت عبادة رسول الله.

وسنعرض هنا لبعض كيفيات عبادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما وضوؤه وهو الذي يثير سؤالا عند الكثير عن الاختلاف الحاصل في كيفيته بين ما يأتي به أتباع مدرسة الخلفاء وبين أتباع مدرسة أهل البيت النبوي، من تثليثهم الغسلات واستثناء الرأس والرجلين من المسح، كما هو نص الآية المباركة، وإبدالهم ذلك بغسل الرأس والرجلين، وهو من جملة (الاجتهادات) في مقابل نص القرآن العظيم وسنة الرسول الكريم، وقد كان الدور الأكبر فيه للخليفة الثالث في السنوات الست التالية من حكمه عندما أقدم على جملة من التغييرات،[1] في الوضوء والصلاة وغيرهما.

ولا ريب مع الاختلاف فإننا مأمورون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأخذ بما عن أهل بيته، بمقتضى حديث الثقلين وغيره من الأحاديث.

◄ وضوء النبي:

عن زرارة وبكير (ابني أعين) أنّهما سألا أبا جعفر (الباقر) عليه السلام

(١) في خصوص ما يرتبط بالوضوء ننصح القارئ الكريم بالرجوع إلى الدراسة القيمة والمفصلة للمحقق السيد علي الشهرستاني: وضوء النبي (٣ أجزاء). وفيما يرتبط بعموم الاجتهادات المقابلة للنص في مدرسة الخلفاء ننصح بالرجوع لكتاب النص والاجتهاد للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين.

عن وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بطست أو تور فيه ماء، فغمس يده اليمنى فغرف بها غرفة فصبّها على وجهه فغسل بها وجهه،[1] ثم غمس كفّه اليسرى فغرف بها غرفة فأفرغ على ذراعه اليمنى فغسل بها ذراعه من المرفق إلى الكفّ لا يردها إلى المرفق،[2] ثمّ غمس كفّه اليمنى فأفرغ بها على ذراعه اليسرى من المرفق وصنع بها مثل ما صنع باليمنى، ثمّ مسح رأسه وقدميه ببلل كفّه، لم يحدث لهما ماءً جديداً،[3] ثمّ قال: ولا يدخل أصابعه تحت الشراك، قال: ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾.

فليس له أن يدع شيئًا من يديه إلى المرفقين إلّا غسله، لأنّ الله يقول: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ ثمّ قال: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فإذا مسح بشيء من رأسه أو بشيء من قدميه ما بين الكعبين إلى أطراف الأصابع فقد أجزأه.

قال: فقلنا: أين الكعبان؟ قال: ههنا، يعني: المفصل دون عظم الساق، فقلنا: هذا ما هو؟

فقال: هذا من عظم الساق، والكعب أسفل من ذلك.

---

(١) هذا في حدود واجبات الوضوء، وقد ورد في روايات أخر استحباب المضمضة والاستنشاق.

(٢) يلاحظ أن هذا ناظر إلى ما هو المتعارف عند مدرسة الخلفاء وهو أنهم ينكسون عادة فيغسلون من الأصابع باتجاه المرفق.

(٣) وهذا نظير سابقه أيضا.

فقلنا: أصلحك الله فالغرفة الواحدة تجزي للوجه وغرفة للذراع؟ قال: نعم إذا بالغت فيها والثنتان تأتيان على ذلك كلّه.

◄ **وأما صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

فقد وردت الرواية المعتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام. كما رواها الشيخ الكليني في الكافي عن عَلِي بنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى قَالَ: قَالَ: لِي أَبُو عَبْدِ الله عَلَيْهِ الْسَّلام يَوْماً يَا حَمَّادُ تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أَنَا أَحْفَظُ كِتَابَ حَرِيزٍ فِي الصَّلاَةِ[1]. فَقَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا حَمَّادُ قُمْ فَصَلِّ.! قَالَ: فَقُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْقِبْلَةِ فَاسْتَفْتَحْتُ الصَّلاَةَ فَرَكَعْتُ وَسَجَدْتُ. فَقَالَ: يَا حَمَّادُ لاَ تُحْسِنُ أَنْ تُصَلِّيَ مَا أَقْبَحَ بِالرَّجُلِ مِنْكُمْ يَأْتِي عَلَيْهِ سِتُّونَ سَنَةً أَوْ سَبْعُونَ سَنَةً فَلاَ يُقِيمُ صَلاَةً وَاحِدَةً بِحُدُودِهَا تَامَّةً[2]. قَالَ: حَمَّادٌ فَأَصَابَنِي فِي نَفْسِي الذُّلُّ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَعَلِّمْنِي الصَّلاَةَ. فَقَامَ أَبُو عَبْدِ الله عَلَيْهِ الْسَّلام مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُنْتَصِباً فَأَرْسَلَ يَدَيْهِ جَمِيعاً عَلَى فَخِذَيْهِ قَدْ ضَمَّ أَصَابِعَهُ وَقَرَّبَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ حَتَّى كَانَ بَيْنَهُمَا قَدْرُ ثَلاَثِ أَصَابِعَ مُنْفَرِجَاتٍ[3] وَاسْتَقْبَلَ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ جَمِيعاً الْقِبْلَةَ لَمْ يُحَرِّفْهُمَا عَنِ الْقِبْلَةِ وَقَالَ بِخُشُوعٍ الله أَكْبَرُ. ثُمَّ قَرَأَ الْحَمْدَ بِتَرْتِيلٍ وَقُلْ

(١) كتاب حريز السجستاني من الكتب المشهورة في أحكام وكيفية الصلاة.

(٢) لا يعني ذلك أن صلاة حماد كانت باطلة، وإنما أراد الإمام عليه السلام أن يبين له الصلاة الكاملة بتمام حدودها وهي التي نعتقد أنها كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) لاحظ الفرق بين هذا الموقف وبين ما يسجله فقه مدرسة الخلفاء من تباعد ما بين القدمين إلى حد يتجاوز نصف متر!

هُوَ الله أَحَدٌ. ثُمَّ صَبرَ هُنَيَّةً بِقَدْرِ مَا يَتَنَفَّسُ وَهُوَ قَائِمٌ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ وَقَالَ الله أَكْبَرُ وَهُوَ قَائِمٌ. ثُمَّ رَكَعَ وَمَلأَ كَفَّيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ مُنْفَرِجاتٍ وَرَدَّ رُكْبَتَيْهِ إِلَى خَلْفِهِ حَتَّى اسْتَوَى ظَهْرُهُ حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ مَاءٍ أَوْ دُهْنٍ لَمْ تَزُلْ لاسْتِوَاءِ ظَهْرِهِ وَمَدَّ عُنُقَهُ وَغَمَّضَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ سَبَّحَ ثَلاَثاً بِتَرْتِيلٍ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ. ثُمَّ اسْتَوَى قَائِماً فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنَ الْقِيَامِ قَالَ سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ كَبَّرَ وَهُوَ قَائِمٌ وَرَفَعَ يَدَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ ثُمَّ سَجَدَ وَبَسَطَ كَفَّيْهِ مَضْمُومَتَي الأَصَابِعِ بَيْنَ يَدَيْ رُكْبَتَيْهِ حِيَالَ وَجْهِهِ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ وَلَمْ يَضَعْ شيئًا مِنْ جَسَدِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ وَسَجَدَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَعْظُمِ الْكَفَّيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَنَامِلِ إِبْهَامَيِ الرِّجْلَيْنِ وَالْجَبْهَةِ وَالأَنْف. وَقَالَ: سَبْعَةٌ مِنْهَا فَرْضٌ يُسْجَدُ عَلَيْهَا وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الله فِي كِتَابِهِ فَقَالَ وَأَنَّ الْمَساجِدَ لله فَلا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً وَهِيَ الْجَبْهَةُ وَالْكَفَّانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالإِبْهَامَانِ وَوَضْعُ الأَنْفِ عَلَى الأَرْضِ سُنَّةٌ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ فَلَمَّا اسْتَوَى جَالِساً قَالَ الله أَكْبَرُ ثُمَّ قَعَدَ عَلَى فَخِذِهِ الأَيْسَرِ وَقَدْ وَضَعَ ظَاهِرَ قَدَمِهِ الأَيْمَنِ عَلَى بَطْنِ قَدَمِهِ الأَيْسَرِ وَقَالَ أَسْتَغْفِرُ الله رَبِّي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثُمَّ كَبَّرَ وَهُوَ جَالِسٌ وَسَجَدَ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ وَقَالَ كَمَا قَالَ فِي الأُولَى وَلَمْ يَضَعْ شيئًا مِنْ بَدَنِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ فِي رُكُوعٍ وَلاَ سُجُودٍ وَكَانَ مجنِّحًا وَلَمْ يَضَعْ ذِرَاعَيْهِ عَلَى الأَرْضِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ عَلَى هَذَا وَيَدَاهُ مَضْمُومَتَا الأَصَابِعِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي التَّشَهُّدِ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ التَّشَهُّدِ سَلَّمَ فَقَالَ يَا حَمَّادُ هَكَذَا صَلّ[1].

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٣١٢.

◄ نوافل النبي:

خاطب الله سبحانه نبيه المصطفى بقيام الليل، فقال: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾[1]، وقال له ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[2]، والمعروف بين الإمامية أن نافلة الليل كانت واجبة على رسول الله وكان هذا من خصائصه ﷺ.

وقد «قام النّبيّ ﷺ حتّى تورّمت قدماه، فقيل له: يا رسول الله! تفعل هذا وقد غفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»[3].

وقال أبو ذرّ[4]: «قام رسول الله ﷺ حتّى أصبح بآية، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾»[5].

وعن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلّي من اللّيل ثلاث عشرة ركعة: منها الوتر وركعتا الفجر في السّفر والحضر»[6].

---

(١) المزمل: ٢ـ٦.
(٢) الإسراء: ٧٩.
(٣) ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة ١٩/ ٢٦٦.
(٤) النسائي: السنن الكبرى ٢/ ٢٤.
(٥) المائدة: ١١٨
(٦) أقول هو ما عليه الإمامية اليوم من صلاة الليل.

وروي عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي من التطوع مثلي الفريضة ويصوم من التطوع مثلي الفريضة»[1]

وفي تفصيل ذلك فقد سأل عمرو بن حريث أبا عبد الله عليه السلام فقال له: «جعلت فداك أخبرني عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ثمان ركعات الزوال وأربعًا الأولى وثماني بعدها وأربعًا العصر وثلاثًا المغرب وأربعًا بعد المغرب والعشاء الآخرة أربعًا وثماني صلاة الليل وثلاثًا الوتر وركعتي الفجر وصلاة الغداة ركعتين»[2].

ويوافق السابقَ ما جاء في بعض مصادر مدرسة الخلفاء من «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، يوتر منها بواحدة. فإذا فرغ، اضطجع على شقه الأيمن»[3].

◄ دعاء النبي:

أما كيفية دعائه صلى الله عليه وآله وسلم فقد ذكروا عنها هذه الصورة، «أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع يديه إذا ابتهل ودعا، كما يستطعم المسكين» وكان يتضرع عند الدعاء حتى يكاد يسقط رداؤه»[4].

---

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٤٤٣.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة (آل البيت) ٤/ ٤٧. والترتيب الملتزم في النوافل اليومية المرتبة عند الإمامية.

(٣) مالك بن أنس: موطأ مالك - رواية يحيى ١/ ١٢٠.

(٤) الراوندي؛ قطب الدين: الدعوات (سلوة الحزين) ص ٢٢.

وأما نصوص دعائه فإننا نعتقد أن الأدعية المروية عن المعصومين عليهم السلام، أصولها من جدهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك قد نقلت المصادر المختلفة عن النبي بعض الأدعية بخصوصها،[1] فمنها ما نقله الطبراني في المعجم الأوسط وقال: إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم كانَ يُكثِرُ أن يَدعُوَ بِهذَا الدُّعاءِ: «اللَّهُمَّ اجعَلني أخشاكَ حَتّى كَأَنّي أراكَ أبَداً حَتّى ألقاكَ، وأَسعِدني بِتَقواكَ، ولا تُشقِني بِمَعصِيَتِكَ، وخِر لي في قَضائِكَ، وبارِك لي في قَدَرِكَ، حَتّى لا احِبَّ تَعجيلَ ما أخَّرتَ، ولا تَأخيرَ ما عَجَّلتَ، وَاجعَل غِنايَ في نَفسي، وأَمتِعني بِسَمعي وبَصَري وَاجعَلهُمَا الوارِثَ مِنّي، وَانصُرني عَلى مَن ظَلَمَني، وأَرِني فيهِ ثَأري، وأَقِرَّ بِذلِكَ عَيني..»[2]

ومنها ما نقل أن رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كان يَدعو فَيقولُ:

«اللَّهُمَّ اقسِم لَنا مِن خَشيَتِكَ ما يَحولُ بَينَنا وبَينَ مَعصِيَتِكَ، ومِن طاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقينِ ما يُهَوِّنُ عَلَينا مِن مَصائِبِ الدُّنيا، ومَتِّعنا بِأَسماعِنا وأَبصارِنا (وانصرنا) عَلى مَن عادانا، ولا تَجعَلِ الدُّنيا أكبَرَ هَمِّنا، ولا تُسَلِّط عَلَينا مَن لا يَرحَمُنا»[3].

---

(١) في كتابه (سنن النبي ـ مع الملحقات ـ) أورد المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي نحو مائة حديث؛ بين ما يشتمل على آداب دعاء النبي وبين نصوص أدعيته فليراجع من أحب التفصيل.

(٢) الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء ج ١ ونلاحظ أن هذه الفقرة قد وردت في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.

(٣) وقد ورد هذا القسم من الدعاء في مستحبات ليلة النصف من شعبان في كتب الإمامية.

اللَّهُمَّ إلَيكَ الحَمدُ، وإلَيكَ المُشتكى، وأَنتَ المُستَعانُ، وفيما عِندَكَ الرَّغبَةُ، ولَدَيكَ غايَةُ الطَّلِبَةِ. اللَّهُمَّ آمِن رَوعَتي، وَاستُر عَورَتي. اللَّهُمَّ أصلِح دينَنَا الَّذي هُوَ عِصمَةُ أمرِنا، وأَصلِح لَنا دُنيانَا الَّتي فيها مَعاشُنا، وأَصلِح آخِرَتَنَا الَّتي إلَيها مُنقَلَبُنا، وَاجعَلِ الحَياةَ زِيادَةً لَنا في كُلِّ خَيرٍ، وَالوَفاةَ راحَةً لَنا مِن كُلِّ سوءٍ. اللَّهُمَّ إنّا نَسأَلُكَ موجِباتِ رَحمَتِكَ وعَزائِمَ مَغفِرَتِكَ، وَالغَنيمَةَ مِن كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلامَةَ مِن كُلِّ إثمٍ، يا مَوضِعَ كُلِّ شَكوى، وشاهِدَ كُلِّ نَجوى، وكاشِفَ كُلِّ بَلوى، فَإِنَّكَ تَرى ولا تُرى، وأَنتَ بِالمَنظَرِ الأَعلى، أسأَلُكَ الجَنَّةَ وما يُقَرِّبُ إلَيها مِن قَولٍ وفِعلٍ، وأَعوذُ بِكَ مِنَ النّارِ وما يُقَرِّبُ إلَيها مِن قَولٍ أو فِعلٍ.

اللَّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ خَيرَ الخَيرِ؛ رِضوانَكَ وَالجَنَّةَ، وأَعوذُ بِكَ مِن شَرِّ الشَّرِّ؛ سَخَطِكَ وَالنّارِ.

اللَّهُمَّ إنّي أسأَلُكَ خَيرَ ما تَعلَمُ، وأَعوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما تَعلَمُ، فَإِنَّكَ أنتَ عَلّامُ الغُيوبِ.

يا مَن أظهَرَ الجَميلَ، وسَتَرَ عَلَيَّ القَبيحَ، يا مَن لَم يَهتِكِ السِّترَ، ولَم يُؤاخِذ بِالجَريرَةِ، يا عَظيمَ العَفوِ، ويا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا واسِعَ المَغفِرَةِ، يا باسِطَ اليَدَينِ بِالرَّحمَةِ. يا صاحِبَ كُلِّ نَجوى، ومُنتَهى كُلِّ شَكوى، يا مُقيلَ العَثَراتِ، يا كَريمَ الصَّفحِ، يا عَظيمَ المَنِّ، يا مُبتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبلَ استِحقاقِها، يا رَبّاه يا سَيِّداه يا أَمَلاه، يا غايَةَ رَغبَتاه»[1].

(١) الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء ١/ ٧٣ وهذه الفقرة الأخيرة التي تبدأ بقوله:

◄ ليلة النصف من شعبان ودعاء النبي

سوف ننقل للقارئ العزيز صورة مما كان يفعله النبي من إحياء ليلة النصف من شعبان، وننقل أولا ما جاء في مصادر الإمامية، ثم ننقل نفس الحادثة مما جاء في مصادر مدرسة الخلفاء، فقد أورد شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في كتابه مصباح المتهجد، أنه «روى حماد بن عيسى عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله (جعفر الصادق) عليه السلام: لما كان ليلة النصف من شعبان، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند عايشة فلما انتصف الليل قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن فراشها، فلما انتبهت وجدت رسول الله قد قام عن فراشها فدخلها ما يتداخل النساء وظنت أنه قد قام إلى بعض نسائه فقامت وتلففت بشملتها وأيم الله ما كان قزًّا ولا كتانًا ولا قطنًا ولكن كان سداه شعرًا ولحمته أوبار الإبل، فقامت تطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجر نسائه حجرة حجرة فبينا هي كذلك إذ نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجدًا كثوب متلبط على وجه الأرض فدنت منه قريبا فسمعته في سجوده، وهو يقول: سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي، هذه يداي وما جنيته على نفسي يا عظيم ترجى لكل عظيم اغفر لي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم.

ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدًا. فسمعته يقول:

أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السماوات والأرضون، وانكشفت له الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين من

يا من أظهر الجميل.. من الأدعية المشهورة عند الإمامية ولها تتمة في آخرها..

فجاءة نقمتك ومن تحويل عافيتك ومن زوال نعمتك، اللهم ارزقني قلبًا تقيًّا نقيًّا ومن الشرك بريئًا لا كافرًا ولا شقيًّا.

ثم عفر خديه في التراب فقال: عفرت وجهي في التراب وحق لي أن أسجد لك.

فلما هم رسول الله ﷺ بالانصراف، هرولت إلى فراشها فأتى رسول الله ﷺ فراشها فإذا لها نفَسٌ عال، فقال لها رسول الله ﷺ: ما هذا النفس العالي؟ أما تعلمين أي ليلة هذه؟ هذه ليلة النصف من شعبان، فيها تقسم الأرزاق وفيها تكتب الآجال وفيها يكتب وفد الحاج وإن الله تعالى ليغفر في هذه الليلة من خلقه أكثر من عدد شعر معزى كلب وينزل الله تعالى ملائكته من السماء إلى الأرض بمكة»[1].

هذا النص الذي نقلناه هو من مصادر الإمامية، فهلم لنقرأ الحادثة في بعض مصادر مدرسة الخلفاء، وننقل النص الذي أورده الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في كتابه الدعاء، فقد قال ناقلا عن عائشة «ونقل شبيها بنص الرواية السابقة إلى قولها.. يقول في سجوده: سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي، هذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه فعاد ساجدا فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ

(١) الطوسي؛ شيخ الطائفة: مصباح المتهجد ص ٨٤٢.

بك منك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخي داود عليه السلام: أعفر وجهي في التراب لسيدي فحق له إن سجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا من الشرك نقيا لا كافرا ولا شقيا. قالت: ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال: ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته فطفق يمسح بيده عن ركبتي ويقول: وبئس هاتين الركبتين ماذا لقيتا في هذه الليلة النصف من شعبان ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيغفر لعباده إلا لمشرك أو مشاحن»[1].

◄ صلاة النبي أو صلاة الخلفاء؟

يظهر من عدد من الروايات أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يلاحظون أن الصلاة (الرسمية القائمة) التي تدعمها الخلافة، تختلف عما هو موجود لدى أهل البيت وعما نقلوا عن رسول الله، ولذلك كانوا يسألون أحيانا عن صلاة النبي، أو أنهم إذا صلوا مع بعض أهل البيت تذكرهم تلك الصلاة بصلاة رسول الله، وهذا يفسر لنا أحد أوجه الاختلاف في كيفية الوضوء والصلاة عند المسلمين.

---

(١) الطبراني: الدعاء ص ١٩٥ ونلاحظ هنا في نص الطبراني: قوله في الأخير أنه طفق يمسح بيده عن ركبتي ويقول وبئس هاتين الركبتين.. ماذا لقيتا؟ لم نفهم المقصود منه؟ هل هو بيان لشدة اهتمام الرسول بركبتي زوجته؟ أو ذم للفعل بمقتضى قوله: بئس! والأهم من ذلك هو التأكيد على أنه: «ينزل الله السماء الدنيا..» ومن المعلوم أن الله تعالى لا تجري عليه الحركات من نزول وصعود! بينما هو في نص الإمامية عن الصادق عليه السلام، يُنزل الله ملائكته من السماء إلى الأرض.. وهو الصحيح.

- ففي وضوء الصلاة قال النبي إنه لا تتم صلاة أحد حتى يأتي بأفعال الوضوء، ومنها أن يمسح رأسه ورجليه، تماما مثلما قال القرآن، لا أن يغسلهما؛ وقد جاء في مصادر مدرسة الخلفاء عن رفاعة بن رافع، أنه كان جالسا عند النبي ﷺ فقال: «إنها لا تتم صلاة لأحد، حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله تعالى، يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ورجليه إلى الكعبين»[1].
- وفي رواية يتبين فيها أن الالتزام بهذا النحو من الوضوء يسبب للشخص مشاكل، لذلك فإن أبا مالك الأشعري لما قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله ﷺ، فلما اجتمعوا قال: هل فيكم أحدٌ من غيركم؟ قالوا: لا إلا ابن أخت لنا، قال: فإن ابن أخت القوم منهم![2] وكأنّ القضية تحتاج إلى الإسرار بها وأن لا يكون هناك شخص غريب يمكن أن ينم عليهم ويخبر عنهم، وعندما أسبغ الوضوء مسح رأسه!
- في عدد الركعات في السفر: ذكر ابن حزم «من طريق سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل

(١) القزويني؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجه ١/ ١٥٦ وقد وصف الألباني الحديث بأنه صحيح! ومع ذلك لا يُلتَزَم بمضمونه من أن هذا هو إسباغ الوضوء وأنه الذي فرضه الله، وفيه يغسل وجهه ويديه ويمسح رأسه ورجليه!

(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨.

عثمان وهو بمنى فأتى عليٌّ فقيل له: صل بالناس؟ فقال: إن شئتم صليت لكم صلاة رسول الله ﷺ يعني ركعتين قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين يعنون عثمان -: أربعًا فأبى عثمان»! فلم يُسمح للإمام عليٍّ أن يصلي بصلاة رسول الله![1]

- وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: صليت أنا وعمران بن حصين بالكوفة خلف علي بن أبي طالب، يكبر هذا التكبير حين يركع، وحين يسجد فيكبره كله، فلما انصرفنا قال لي عمران: «ما صليت منذ حين، أو منذ كذا وكذا أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذه الصلاة» يعني صلاة علي[2].
- والصلاة على الجنازة خمس تكبيرات لا أربع: عن عبد العزيز بن حكيم، قال: صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة، «فكبر خمس تكبيرات، قال: وحدثني رجل أنه سمعه، يقول: هذه صلاة رسول الله ﷺ»[3]. وفي نقل آخر عن أيوب بن سعيد بن حمزة، قال: «صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمسا، ثم قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ على جنازة فكبر خمسًا فلن ندعها لأحد»[4] ويظهر

(١) الاندلسي؛ ابن حزم: المحلى بالآثار ٣/ ١٩١.
(٢) الصنعاني؛ عبد الرزاق: مصنف عبد الرزاق ٢/ ٣٤٨.
(٣) الخطيب البغدادي: تلخيص المتشابه في الرسم ٢/ ٧٢٥.
(٤) الدارقطني؛ علي بن عمر: سنن الدارقطني ٢/ ٤٣٤.

من قوله فلن ندعها لأحدٍ أنه كان هناك «أحدٌ» له سطوة يمنع عن تلك الصلاة ويصر على تربيع التكبيرات[1].

◄ والتكبير قبل وبعد الأفعال الصلاتية هو سنة رسول الله لكنه ترك في زمان الخليفة الثالث، واستمر أتباع تلك المدرسة عليه فـ «عن عمران بن حصين، قال: صليت خلف علي بن أبي طالب صلاة ذكرني صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ والخليفتين، قال: فانطلقت فصليت معه، فإذا هو يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه من الركوع، فقلت: يا أبا نجيد، من أول من تركه؟ قال: عثمان بن عفان حين كبر وضعف صوته تركه»[2]. وقد وصف الإمام عليٌّ عليه السلام صَلاة رَسولِ الله ﷺ فقال: «كانَ إذا قامَ إلَى الصَّلاةِ المَكتوبَةِ كَبَّرَ ورَفَعَ يَديهِ حَذوَ مَنكِبَيهِ، ويَصنَعُ مِثلَ ذلِكَ إذا قَضى قِراءَتَهُ وأرادَ أن يَركَعَ، ويَصنَعُهُ إذا رَفَعَ مِنَ الرُّكوعِ، ولا يَرفَعُ يَدَيهِ في شَيءٍ مِن صَلاتِهِ وهُوَ قاعِدٌ، وإذا قامَ مِنَ السَّجدَتَينِ رَفَعَ يَديهِ كَذلِكَ وكَبَّرَ»[3].

---

(١) لا تزال الصورة المتعارفة عند أتباع مدرسة الخلفاء أن صلاة الجنازة أربع تكبيرات لا غير، بينما هي عند الإمامية خمس تكبيرات، وقد فسرت في بعض الروايات بأن كل تكبيرة هي بدل عن صلاة فريضة وهي خمس فرائض في اليوم والليلة.

(٢) الشيباني؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد ٣٣/ ١١٢.

(٣) الريشهري؛ محمد: الصلاة في الكتاب والسنة ص ٨٩.

هذا هو النبي: كيف وصَفَه وصيُّه

لعل أفضل من يقدم لنا صورة عن النبي المصطفى في شمائله وخلائقه هو أمير المؤمنين عليه السلام، وقد نقل في مصادر مدرسة الخلفاء بعض كلمات الإمام عليه السلام في توصيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سننقلها ونكتفي فيها بإيضاح ما كان صعبًا على القارئ الكريم، ثم نأخذ صورة أخرى أكثر تفصيلا مما رواه الحسنان عليهما السلام عن هند بن أبي هالة أبي هالة، فتتكامل بهاتين الروايتين صورة واضحة عن رسول الله في خلقه وخُلقه.

أما ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام فهو متعدد، وكأنّه عليه السلام كان يُقصَد بالسؤال في هذا الجانب، فتارة يأتيه حبر من الأحبار ويطلب منه صفة النبي ولما وجد التطابق بين ما علمه من الكتب السابقة وبين ما وصفه به أسلم على يد الإمام عليه السلام، وكان ذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكما حصلت هذه الحادثة في المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله بأيام، فقد سبقتها حادثة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما نقله السيوطي

راويا عن أمير المؤمنين نفسه، فقال في كتابه جمع الجوامع «عن عليٍّ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فإني لأخطب يوما على الناس وحَبْرٌ من أحبار اليهود واقف في يده سفر ينظر فيه، فناداني فقال: صف لنا أبا القاسم، فقال عليٌّ... وأخذ في وصف رسول الله، فلما فرغ من ذلك قال الحبر: فإني أشهد أنه نبيٌّ وأنه رسول الله إلى الناس كافة، فعلى ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله»[1].

بل نقلت مصادر مدرسة الخلفاء[2] أن الخليفة الأول لما سأله أحدهم عن صفة النبي ﷺ أحال السائل على أمير المؤمنين عليه السلام ليصفه له.

وثالثة يأتيه رجل أنصاري في أيام خلافته أي بعد نحو خمس وعشرين سنة ويسأله عن صفة رسول الله ﷺ.

بل نجد في مصادر الإمامية أن الإمام الحسين عليه السلام وهو ممن عاصر جده رسول الله ﷺ يسأل أباه عن شؤون النبي لا في خلقته الظاهرية فقط بل «عن مدخل النبي ومخرجه، ومجلسه، وشكله، فلم يدع منه شيئا» كما سيأتي في رواية الشيخ الصدوق.

وهذا يبين كثيرًا من المعاني؛ منها إقرار الجميع بقرب أمير المؤمنين من النبي أكثر من أي أحد غيره، ومعرفته به ظاهرًا وباطنًا، خَلقًا وخُلقًا.

---

(١) السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع ١٧/ ٧١٧.
(٢) الدمشقي؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٤/ ١٩٧.

فهلمَّ عزيزي القارئ لكي نتفيأ من الجنة ظلالها في وصف النبي وأوصافه.. لنرى جمال النبي وكماله. لعل المعرفة بجماله تزيدنا حبًّا به، ولعل المعرفة بكماله تحدونا للاقتداء به في مكارم الأخلاق العالية التي وصفها ربه أحسن الوصف حين قال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

١/ **النص الأول**: ما ذكره ابن هشام في السيرة[١] عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، إذَا نَعَتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ،[٢] وَلاَ الْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ. وَكَانَ رَبْعَةً مِنْ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ[٣] وَلاَ السَّبِطِ، كَانَ جَعْدًا رَجِلًا،[٤] وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ[٥] وَلَا الْمُكَلْثَمِ،[٦] وَكَانَ أَبْيَضَ مُشْرَبًا، أَدْعَجَ[٧] الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ[٨] الأَشْفَارِ، جَلِيلَ الْمُشَاشِ[٩] وَالْكَتَدِ،[١٠] دَقِيقَ الْمُسْرُبَةِ،[١١] أَجْرَدَ[١٢] شَثْنَ[١٣] الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ،

(١) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام ١/ ٤٠١.
(٢) الممتد.
(٣) القطط: الشَّديد جعودة الشّعْر.
(٤) رجلا: مسرح الشّعْر
(٥) المطهم: الْعَظِيم الجِسْم.
(٦) مستدير الْوَجْه فِي صغر.
(٧) أسود الْعَينَيْنِ.
(٨) أهدب الأشفار: طويلها
(٩) المشاش: عِظَام رُؤُوس المفاصل.
(١٠) مَا بَين الْكَتِفَيْنِ.
(١١) الشّعْر الّذي يَمْتَد من الصَّدْر إِلَى السَّرُّة.
(١٢) الْقَلِيل شعر الْجِسْم.
(١٣) غليظ.

إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ،[1] كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ،[2] وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جميعًا، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا، وَأَجْرَأُ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَوْفَى النَّاسِ ذِمَّةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ، ﷺ».

٢/ النص الثاني: ما نقله ابن عساكر في تاريخ دمشق مفصلا، وفيه مقدمة عن مجيء حَبْرٍ من أحبار اليهود من بيت المقدس للمدينة بعد ثلاثة أيام من وفاة الرسول وبحثه عن رسول الله، وسؤاله عما إذا كان أحد من قرابته موجودًا، وإجابة أمير المؤمنين إياه وطلب الحَبر من عليٍّ عليه السلام صفة النبي ﷺ، فقال: «بأبي وأمي لم يكن بالطويل الذاهب ولا بالقصير كان ربعة من الرجال أبيض مشرّبًا بحمرة جعد المفرق شعره إلى شحمة أذنيه صلت الجبين واضح الخدين مقرون الحاجبين أدعج العينين سبط الأشفار أقنى الأنف دقيق المسربة مبلج الثنايا كث اللحية كأن عنقه إبريق فضة كأنّ الذهب يجري في تراقيه كان عرقه في وجهه كاللؤلؤ شثن الكفين والقدمين له شعرات ما بين لبته وصدره تجري كالقضيب لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها يفوح منه ريح المسك إذا قام غَمَر الناس وإذا مشى فكأنّما يتقلع من صخرة إذا التفت جميعًا وإذا يتحدر كأنما يتحدر في صبب أطهر الناس خُلقًا وأشجع الناس قلبًا وأسخى الناس كفًّا لم يكن قبله مثله ولا يكون بعده مثله

(١) لم يثبت قَدَمَيْهِ.
(٢) مَا انحدر من الأَرْض

أبدًا قال الحبر: يا عليُّ إني أصبت في التوراة هذه الصفة أيقنت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»[1].

٣/ النص الثالث: ما ذكره ابن سعد «الطبقات الكبير» من أن رجلا من الأنصار سأل عليًّا عليه السلام وهو مُحْتَبٍ بحمائل سيفه في مسجد الكوفة عن نعت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وصفته، فقال: «كان رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، أبيض اللون، مُشْرَبًا حمرة، أدعج العين، سبط الشعر، كثّ اللحية، سهل الخد، ذا وفرة، دقيق المَسرُبَة، كأنّ عُنُقَهُ إبْريق فضة، له شعر من لَبَّته إلى سُرّته يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعرٌ غيره، شَثْنَ الكف والقدم، إذا مشى كأنّما ينحدر من صَبَبٍ، وإذا قام كأنّما يَنْقَلِعُ من صخر، إذا التفت التفت جميعًا، كأنَّ عَرَقَهُ في وجهه اللؤلؤ، ولَريحُ عَرَقِهِ أطيب من المسك الأذفر، ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا بالعاجز ولا اللئيم، لم أرَ قبله ولا بعده مثله، صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

٤/ النص الرابع: ما ذكره غير واحد من المصنفين من الإمامية وغيرهم عن الإمام الحسين عليه السلام حيث قَالَ الْحُسَيْنُ: سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: كان دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ. فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ. جُزْءًا لله. وَجُزْءًا لأَهْلِهِ. وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ. ثُمَّ جَزَّأَ جُزْءَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ. فَيُسْرِدُ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ. وَلا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شيئًا. وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ

(١) الدمشقي؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣/ ٣٩٣.
(٢) البغدادي؛ ابن سعد: الطبقات الكبير ١/ ٣٥٣.

الأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ نَادِيَهُ وَقَسْمَهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ. فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ. وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ. وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ. فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ وَالأُمَّةَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ عَنْهُمْ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ وَيَقُولُ: لِيُبْلِغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغِي حَاجَتَهُ. فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. لا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلا ذَلِكَ وَلا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ. يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلا يَفْتَرِقُونَ إِلا عَنْ ذَوَاقٍ (شيء عظيم الذائقة). وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ. فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلا مِمَّا يُعِينُهُمْ وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلا يُفَرِّقُهُمْ. أَوْ قَالَ يُنَفِّرُهُمْ. وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُولِيهِ عَلَيْهِمْ. وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِيَ عَنْ أَحَدٍ بَشَرَهُ وَلا خُلُقَهُ. وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ. وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ. وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوهِنُهُ. مُعْتَدِلُ الأَمْرِ غَيْرَ مُخْتَلِفٍ. لا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا. لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ (عدة واستعداد). لا يقصر عن الحق ولا يجوزه الدين. يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ. أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً. وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُؤَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ. فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَجْلِسُ وَلا يَقُومُ إِلا عَلَى ذِكْرٍ. لا يُوطِنُ الأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا (لا يحجز مكانا خاصًّا). وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ. يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ. لا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ

أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ. مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ. وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ. قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ.

فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا فِي الْحَقِّ عِنْدَهُ سَوَاءً. مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ لا تُرْفَعُ فِيهِ الأَصْوَاتُ وَلا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحُرَمُ (لا توصف فيه النساء) وَلا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ مُتَعَادِلِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى.

مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ. وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ. وَيَحْفَظُونَ أَوْ يَحُوطُونَ الْغَرِيبَ.

قَالَ قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي جُلَسَائِهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ. سَهْلَ الْخُلُقِ. لَيِّنَ الْجَانِبِ. لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا صَخَّابٍ وَلا فَحَّاشٍ وَلا عَيَّابٍ. يَتَغَافَلُ عَمَّا لا يَشْتَهِي. وَلا يَدْنَسُ مِنْهُ وَلا يُجْنِبُ فِيهِ. قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلاثٍ:

الْمِرَاءِ. وَالإِكْثَارِ. وَمِمَّا لا يَعْنِيهِ. وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلاثٍ. كَانَ لا يَذِمُّ أَحَدًا وَلا يُعَيِّرُهُ. وَلا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ. وَلا يَتَكَلَّمُ إِلا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطَّيْرُ. فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا وَلا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ. مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ. حَدِيثُ أَوَّلِيَّتِهِمْ يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ. وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ. وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ. وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْدِفُوهُ. وَلا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلا مِنْ مُكَافِئٍ. وَلا

يَقْطَعُ عَنْ أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ.

قَالَ: فَسَأَلْتُهُ كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ. قَالَ: كَانَ سُكُوتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ. وَالْحَذَرِ. وَالتَّقْرِيرِ. وَالتَّفَكُّرِ. فَأَمَّا تَقْرِيرُهُ فَفِي تَسْوِيَةِ النَّظَرِ وَالاسْتِمَاعِ مِنَ النَّاسِ. وَأَمَّا تَذَكُّرُهُ أَوْ تَفَكُّرُهُ فَفِيمَا يَبْقَى وَيَفْنَى. وَجَمَعَ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَ وَكَانَ لا يُغْضِبُهُ شَيْءٌ وَلا يَسْتَنْفِرُهُ. وَجُمِعَ لَهُ الْحَذَرُ فِي أَرْبَعٍ: أَخَذِهِ بِالْحُسْنَى لِيُقْتَدَى بِهِ. وَتَرْكِهِ الْقَبِيحَ لِيُتَنَاهَى عَنْهُ. وَاجْتِهَادِهِ الرَّأْيَ فِيمَا أَصْلَحَ أُمَّتَهُ. وَالْقِيَامِ فِيمَا جَمَعَ لِهَمِّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ[1].

٥/ النص الخامس: ما رواه الشيخ الصدوق نفسه عن الإمام الحسن عليه السلام ناقلا عن هند بن أبي هالة وكان وصافا للنبي، بعدما سأله الإمام عن ذلك وهذا يشير إلى تطلب الإمام الحسن (وقد تقدم سؤال الإمام الحسين أباه عن أخلاق النبي وسلوكه) عما يرتبط بشؤون النبي ﷺ، فقال له هند: «كان رسول الله ﷺ فخمًا مُفخَّمًا، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، ان انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم. كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه

(١) قد نقل هذا النص الشيخ الصدوق في كتبه؛ عيون أخبار الرضا، ومعاني الأخبار، كما ذكره ابن سعد في الطبقات والنص المذكور هو منه والطبراني في معاجمه وغيرهم في غيرها من الكتب.

جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادنًا متماسكًا، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، عريض الصدر، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك. أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين. سائل الأطراف، سبط القصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفؤا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط في صبب، وإذا التفت التفت جميعًا. خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يبدر من لقيه بالسلام.

قال عليه السلام: فقلت له: صف لي منطقه فقال: كان صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر، ليس له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، يتكلم بجوامع الكلام فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثا، ليس بالجافي ولا بالمهين، تعظم عنده النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئا، غير أنه كان لا يذم ذواقا ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، إذا أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه. جل ضحكه التبسم، يفتر عن مثل حب الغمام»[1].

---

(١) ابن بابويه؛ الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٨٢، ومعاني الأخبار ص ٨٠ والطبراني: الأحاديث الطوال ص ٧٥.

أسئلة حول الرسالة والرسول

1/ ارضاع السيدة حليمة للنبي

في رسالة لمتابعي قنواتنا طلبت منهم إن كان لديهم أسئلة ترتبط بالسيرة النبوية، فكان موضوع إرضاع السيدة حليمة السعدية للنبي في طفولته من أكثر الأسئلة ورودًا، ما بين استيضاح عن حصوله وعدمه وبين فرض أنه لم يحصل وطلب رد وهكذا.

ج / كأنّ هذه الأسئلة في الغالب متأثرة بما طرح في السنوات الخمس الأخيرة من التشكيك في ذلك على بعض المنابر وفي مقابلات أو مقاطع صوتية. ولم أعثر في بحث ـ غير مستوعب ـ على دراسة مكتوبة في حجج القائلين بعدم رضاعه ﷺ، أو كتاب يتعرض لهذا الجانب.

لذلك سوف نتابع ما ذكر في تلك المقابلات والمنابر وما شابه لصياغة حجج القائلين بعدم حصول ذلك:

١/ وأهم حجة يعتمدها القائلون بعدم حصول هذا الارتضاع

تعتمد على موضوع عقيدي هو: أن المعصوم لا يمكن أن يرتضع من مشركة، لما تعيّن من أنه «لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»[1] وموقع النبي كسيد للمعصومين يفترض هذا الأمر. حيث أن حليمة السعدية لم يثبت كونها مؤمنة في وقت طفولته.

٢/ والحجة الثانية قولهم: إن القرآن الكريم قد قال في حق نبي الله موسى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾[2] حتى يرجع إلى الإرتضاع من أمه، فلا يعقل أن يحبو الله موسى بهذه الكرامة ويحرم منها رسول الله وهو أفضل منه وأشرف.

٣/ والحجة الثالثة قولهم أن روايات ارضاعه متخالفة من حيث التفاصيل، فبينما تقول بعضها إن ذلك تم بعد أيام وبعضها قال إن ذلك تم بعد أسبوع وبعضها سنة وهكذا، فيظهر من هذا التخالف عدم صحتها.

٤/ كما أنهم استشهدوا بقول الشهيد الثاني في شرح اللمعة عندما نقل ـ مرسَلا ـ عن النبي «ونشأت في بني سعد وارتضعت من بني زهرة»[3] فالارتضاع حصل في بني زهرة يعني بواسطة أمه

(١) الحسني؛ السيد ابن طاووس: إقبال الأعمال٣/ ١٠٢، في زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) القصص: ١٢.

(٣) العاملي؛ زين الدين: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ٥/ ١٦٥ قال: (ويستحب في) الاسترضاع (اختيار) المرضعة (العاقلة المسلمة العفيفة الوضيئة) الحسنة (للرضاع)، لأن الرضاع مؤثر في الطباع، والأخلاق،

آمنة بنت وهب وهي زهرية، ونشأته كانت في بني سعد.

وفي المقابل فإن القائلين بارتضاعه ـ في الجملة ـ سواء كان من أوائل ولادته أو بعد مدة، يمكن لهم أن يناقشوا الحجج السابقة بما يلي:

أولاً: بأن إدخال الموضوع العقائدي في البحث التاريخي في التأييد أو النفي ليس صحيحًا بحسب المنهج العلمي، ذلك أن الموضوع العقائدي هو نفسه متحرك، وقد يختلف فيه أصحاب المدرسة الواحدة، فلو قال أحد أنه هل يوجد دليل قطعي على امتناع ارتضاع المعصوم من غير المسلمة! فماذا سيكون الجواب؟ أقصى ما سيكون الجواب هو محاولة استدلال أخرى قد تُقبل وقد لا تُقبل! فليس هذا من الضروريات عند الإمامية وإن كان مشهورًا.

وكذلك حال النقاش في «كفر» حليمة السعدية! فما هو الدليل عليه؟ نعم هي لم تكن مسلمة حين إرضاعها للرسول لأن الإسلام لم يكن بعد! فقد تكون على الحنيفية كما هو حال الكثير من بني هاشم وغيرهم، ولا سيما مع انتخاب عبد المطلب إيّاها، بناء على رواية أنه هو الذي ارسل إليها لتأتي، لا الرواية المشهورة في مصادر مدرسة الخلفاء والتي تقول بأنها لم تحصل على رضيع غير (اليتيم) وهي رواية غير صحيحة. فمع القول بأنه هو الذي أرسل خلفها لا ريب أن سينتخب كما هو حال كل جَدّ حَدِب على حفيده، أفضل

والصورة، قال النبي ﷺ: «أنا أفصح العرب بَيْد أني من قريش، ونشأت في بني سعد وارتضعت من بني زهرة».

من يمكن الحصول عليه من المرضعات! ومن المعلوم أن عبد المطلب كان على الحنيفية الابراهيمية[1] رافضًا لعبادة الأصنام. وقد لمست بركات النبي ـ بمجرد أن أخذته ـ في بدنها ودابتها وزرعها ومنطقتها، وكان ذلك يزيدها إيمانًا.

وثانيًا: بأن قضية موسى لا ترتبط بما نحن فيه، وربما لم يفرق القائل بين خصائص الأنبياء وفضيلتهم فليس كل ما ثبت لنبي يجب أن يثبت للنبي الأفضل منه! فإن عصا موسى التي تلقف ما يأفكون من مختصاته بحسب زمانه ومعجزته في وجه فرعون، لكنها ليست دليلا على أفضليته من النبي محمد، فحتى لو لم يستخدم النبي تلك العصا فلا يعني هذا شيئًا. وقد أشرنا في موضع آخر من هذه السلسلة إلى لزوم التفريق بين الخصائص والفضائل في حياة المعصومين.

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ لظرف معين وغاية محددة! فهل يعني ذلك أن كل معصوم لا يجوز أن ترضعه غير أمه؟[2]

وثالثًا: في اختلاف تفاصيل الرواية، فللخصم أن يقول: إن ذلك قد يعني أن أصل القضية ثابت لكن الاختلاف في تفاصيلها، نعم لو كان الاختلاف بنحو ينسب أحد الاطراف الارتضاع لقبيلة والآخر لقبيلة أخرى فلا ينفع في إثبات الارتضاع لأي من الطرفين.. وما نحن فيه هو من هذا القبيل فإن الاختلاف في الزمان

---

(١) راجع الفصل الخاص به في كتابنا أعلام الأسرة النبوية ص ٤٣.

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٤؛ كان الإمام علي بن موسى الرضا يرتضع كثيرا وكان تام الخلق، فقالت أمه تكتم: أعينوني بمرضع.

(أيام أو أسابيع أو أكثر) أو الاختلاف في الكيفية (في أن حليمة هي التي أتت مكة فأخذته أو أنها ارسل لها عبد المطلب فأتت وأخذته) يثبت أصل أخذه منها وإرضاعها إياه.

ورابعًا: يمكن للقائلين بحصول الارتضاع أن يناقشوا في الحديث المذكور الذي أرسله الشهيد الثاني بأنه لا أصل له مع أنه مشهور، فقد وصف في كتب مدرسة الخلفاء بذلك، ومن نقله من الإمامية إنما نقلوه عنهم، حيث لا سند له في كتبهم. مع أنه نقل بأشكال مختلفة بعضها ينفع القائلين بالارتضاع، ويمكن المناقشة في مضمونه.

هذا في رد الحجج، وأما ما يمكن الاستدلال لهم به، فبالتالي:

الدليل الأول: ما ورد من الروايات المثبتة لهذا الحادث فإن كتب السيرة والتاريخ في مدرسة الخلفاء بما يشبه الإجماع قد ذكرت هذه الحادثة عند الحديث عن سيرة النبي وطفولته، فلا تجد كتابًا يغفلها، بدءً من أقدم الكتب فقد ذكرها ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ) في كتابه وذكر الحديث عمن حدثه عنها (وهو الحديث المفصل التي تُبين فيه بعض بركات أخذها لرسول الله من يوم أن استلمته في مكة..)[1] وذكر نسبها فقال هي حليمة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب هو عبد الله بن الحارث من بني سعد بن هوازن. وعنه أخذ من تأخر كابن هشام (ت ٢١٣ هـ) في السيرة[2] والكلبي (ت ٢٠٤هـ) في جمهرة

(١) ابن إسحاق: السير والمغازي ص٤٩.

(٢) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام ١/ ١٦٠.

النسب[1] والبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) في أنساب الاشراف والطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه، وهكذا.

وأما في مصادر الإمامية فقد ذكر ارتضاعَه منها المسعوديُّ (ت٣٤٦ هـ) في كتابيه التنبيه والإشراف ومروج الذهب[2] ويستفاد من رواية الكليني في الكافي نفس المعنى بشكل غير مباشر: من أن رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سر بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها[3]. وستأتي الإشارة إلى هذه الحادثة.

وذكر علماء الإمامية المتقدمون ذلك فقد قال الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ) رضاعه بقوله: «وشرف الله تعالى حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية برضاعه وأخصها بتربيته وكانت ذات عقل وفضل فروت من آيات فضله ما يبهر عقول السامعين وأغناها الله ببركته»[4]. الى آخر كلامه، كما ذكر ذلك الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في مجمع البيان[5] في تفسير آية ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[6] وقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) في الخرائج والجرائح؛

(١) ابن السائب الكلبي؛ هشام بن محمد: جمهرة النسب ص٣٩٤.
(٢) المسعودي؛ علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢/ ٢٧٤.
(٣) الكليني: الكافي ٢/ ١٦١والرواية معتبرة بناء على ان الوارد فيها؛ (عمار بن خباب) هو عمار الدهني.
(٤) الكراجكي؛ محمد بن علي: كنز الفوائد ١/ ٧٢.
(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٨٣.
(٦) الضحى: ٧.

وفصل فيه حديث مجيئها لمكة وأخذها النبي وعرض لشيء من بركاته وكراماته في فترة الرضاعة[١] ومثله صنع ابن شهراشوب (ت ٥٨٨ هـ) في مناقب آل أبي طالب [٢] في نقل القصة.

هذا فضلا عن المعاصرين كالمحدث القمي في كحل البصر حيث قال: «حليمة السعديّة رضي الله عنها بنت أبي ذؤيب، واسمه عبد الله بن حارث ينتهي نسبه إلى قيس عيلان وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه بلبن زوجها الحارث بن عبد العزّى»[٣] وكالسيد الأمين في أعيان الشيعة حيث قال: «أرضعته حتى شب حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله السعدية من بني سعد بن بكر وكان أهل مكة يسترضعون لأولادهم نساء أهل البادية»[٤] والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في الأقسام القرآنية،[٥] والشيخ جعفر السبحاني في السيرة المحمدية،[٦] والسيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبي الأعظم في مواضع متفرقة[٧]. والشيخ اليوسفي الغروي في موسوعة التاريخ حيث قال: «انّ خبر رضاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حليمة السعدية من المسلّم به من أخبار التأريخ اجمالا»[٨]. وغيرهم.

---

(١) الخرائج والجرائح ١/ ٨١.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١/ ٣٢.
(٣) القمي؛ الشيخ عباس: كحل البصر في سيرة سيد البشر ص ٤٧.
(٤) الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة ١/ ٢١٩.
(٥) الأقسام القرآنية ١/ ٢٣٢.
(٦) السيرة المحمدية ١/ ٣٥.
(٧) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢/ ٦٨ فصاعدًا.
(٨) موسوعة التاريخ الإسلامي ١/ ٢٦٥.

مع ملاحظة أن المرجع الأساس في القضايا التاريخية هم أهل التخصص والخبرة في هذا الجانب، وقولهم حجة ما لم يعلم بمخالفته للواقع.

الدليل الثاني: ما ترتب على هذا الإرضاع من آثار فقهية، فإن من المعلوم أن الإرضاع إذا تحقق بشروطه فإنه يترتب عليه آثار فقهية في ثبوت المحرمية والنسب ـ بهذا المعنى ـ بين المرتضع والمرضعة وأبنائها وبناتها وصاحب اللبن (زوج المرضعة).

وقد نقل التاريخ في مواضع متعددة ثبوت هذا المعنى بين النبي ﷺ وبين حليمة وبناتها وأبنائها. فقد نص كل من ترجم للشيماء بنت الحارث (وهي بنت حليمة السعدية) بأنها أخت النبي من الرضاعة،[1] وهكذا الحال في أبي سفيان بن الحارث فقد ذكر السيد علي خان (ت ١١٢٠ هـ) في الدرجات الرفيعة اشتراكه في الرضاع مع النبي من حليمة السعدية فقال في ترجمته: «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم رسول الله وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة السعدية أيامًا..»[2] وصرح به السيد عبد الحسين

(١) فانظر إلى ابن عبد البر في الاستيعاب ٤ / ٣٤٤ - ٣٤٥، وابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٣٤٤
وابن الأثير في أسد الغابة ٥ / ٤٨٩ وغيرهم.

(٢) المدني الشيرازي؛ السيد علي خان: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة،، ص ١٦٥ ونقل نفس النص السيد العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٢١ / ٢٥٥.

شرف الدين في الفصول المهمة، بنفس النص أيضا[1]. وذكره المحقق التستري في قاموس الرجال[2].

الدليل الثالث: ما ترتب عليه من آثار اجتماعية، وأبرزها ما حصل في معركة حنين، حيث استشفعت الشيماء بنت حليمة السعدية، بأخوّتها الرضاعية للنبي، وأمضى لها رسول الله ﷺ ذلك، وقد تناول المؤلفون هذه الحادثة بين مسهب فيها ومختصر، والنتيجة هي أنه لولا حصول هذا الارتضاع لما كان معنى لكل تلك الحادثة التي ذكرها كل من أرخ لمعركة حنين وما جرى بعدها، وننقل هنا مختصرا عنها:

فقد ذكر الواقدي أن النبي ﷺ أمر بالقبض على رجل من هوازن كان قد أخذ رجلًا مسلمًا فقطع أعضاءه ثم أحرقه بالنار، فأصابه المسلمون وأسروا من كان هناك «فضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق، فجعلت الشيماء بنت الحارث تقول: إني والله أخت صاحبكم! ولا يصدقونها، وأخذها طائفة من الأنصار، وكانوا أشد الناس على هوازن، حتى أتوا بها رسول الله ﷺ فقالت: يا محمد، إني أختك! قال النبي ﷺ: وما علامة ذلك؟ فأرته عضة وقالت: عضضتنيها وأنا متوركتك بوادي السرر، ونحن يومئذ برعائهم، أبوك أبي وأمك أمي، قد نازعتك الثدي،

(١) شرف الدين: الفصول المهمة في تأليف الأمة ص ١٩١.
(٢) التستري؛ الشيخ محمد تقي قاموس الرجال ١١/ ٣٥١.

وتذكر يا رسول الله ... فعرف رسول الله ﷺ العلامة، فوثب قائما فبسط رداءه، ثم قال: اجلسي عليه!

ورحب بها، ودمعت عيناه، وسألها عن أمه وأبيه من الرضاعة، فأخبرته بموتهما في الزمان.

ثم قال: إن أحببت فأقيمي عندنا محبة مكرمة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك ورجعت إلى قومك. قالت: أرجع إلى قومي»[1].. إلى آخر روايته التي نقلها سائر المؤرخين[2]. وفيها أن النبي أكرمها وقومها وأطلق الأسرى بشفاعتها في ذلك.

وإلى هذه الحادثة أشارت رواية الكافي عن عمار بن حيان (خباب) قال: خبرت أبا عبد الله عليه السلام ببر إسماعيل ابني بي، فقال: لقد كنت أحبه وقد ازددت له حبًّا، إن رسول الله ﷺ أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سر بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليه ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها، فلم يصنع به ما صنع بها، فقيل له: يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟ فقال: لأنها كانت أبر بوالديها منه»[3].

فهذه الحادثة والتي أجمع على حصولها الفريقان ـ على اختلاف

(١) الواقدي؛ محمد بن عمر: المغازي ٣/ ٩١٤.

(٢) الحميري؛ ابن هشام: سيرة ابن هشام ٢/ ٤٥٨ وكذلك الطبري في تاريخ الرسل والملوك،٣/ ٨١.

(٣) الكليني: الكافي ٢/ ١٦١ وقد علق المحقق للكتاب بقوله: أخته وأخوه ﷺ من الرضاعة هما ولدا حليمة السعدية.

في ذكر التفاصيل واختصارها- لا معنى لها من دون تحقق الرضاع.

2/ رواية غريبة في رضاع النبي!

من الشبهات التي أثارها الجدليون الطائفيون للمشاغبة على أتباع أهل البيت عليهم السلام، ما ذكروه من وجود رواية في الكافي تشير إلى أن أبا طالب أرضع النبي (!) أيّامًا إلى أن حصل على حليمة السعدية.. فماذا يقال في هذا الشأن؟

الجواب: في البداية ننقل الرواية محل الكلام ثم نبين الجواب:

نعم نقل الشيخ الكليني في الكافي بسنده المنتهي إلى الإمام الصادق قوله:«لما ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث أياما ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنًا فرضع منه أيامًا حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها»[1].

والبحث فيه تارة يكون من جهة سنده وقد ذكر العلماء بأن هذا الحديث ضعيفٌ كما عن العلامة المجلسي في مرآة العقول[2] واعتبر الشيخ اليوسفي الحديث موضوعًا، وأن واضع الرواية من الغلاة،[3] وأما من حيث مضمونه، فإن واضع الخبر لم يلتفت إلى

(١) الكليني: الكافي ١/ ٤٤٨.

(٢) المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ٥/ ٢٥٢.

(٣) اليوسفي الغروي؛ الشيخ محمد هادي موسوعة التاريخ الإسلامي ١/ ٢٦٢، وأضاف الغروي بعد أن اعتبره من وضع الغلاة، إلى ذلك ما جاء في ذم علي بن أبي حمزة البطائني وهو أحد رجال سند الحديث، قال: «روى الكشي في رجاله في ذم علي بن أبي حمزة البطائني أخبارا كثيرة تتهمه بالكذب وتلعنه، فلعنة

أن أبا طالب لم تكن له علاقة خاصة بالنبي الا بعد ثمان سنوات من ولادته حيث كان طيلة هذه السنوات تحت كفالة جده عبد المطلب ولم يكن لأبي طالب دورٌ استثنائي في كفالة النبي إلا بعد وفاة أبيه عبد المطلب. وأيضًا: ما هو الوجه في هذه (المعجزة أو الكرامة)؟ فإنما تكون المعجزة للأنبياء لإثبات صدقهم مع دعواهم النبوة، أو تكون الكرامة للأوصياء وأمثالهم لبيان فضلهم واتصالهم بخالقهم.. فما شأنها هنا؟

3/ مصادر رزق النبي والمعصومين صلى الله عليه وعليهم؟

هل كانت أسبابه اعجازية، أم كانت بأسباب طبيعية ولكن بارادة غيبية بحيث يحصل لهم من دون أن يقوموا بعمل نتيجته حصول الرزق؟

ج/ مصادر المال لدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم متعددة، نشير إليها باختصار ـ بغض النظر عن الأمور الغيبية التي كانت بلا ريب تحت اختياره:

الله عليه. غفر الله للكليني وابن شهرآشوب والمجلسي إذ رووا هذا الكذب، ورحم الله الشيخ الرباني الشيرازي محقق البحار إذ علّق على هذا الكذب بقوله: الحديث لا يخلو عن غرابة، وفي اسناده جماعة لا يحتج بحديثهم».
ولم يتيسر لي الوصول إلى حقيقة ومعنى ما قاله المرجع الديني المرحوم السيد محمد صادق الروحاني في أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق ١/ ٢٨٠، فإنه بعد أن قال «الرواية ضعيفة السند لجملة من الرواة «عطف عليه بالقول» ولا غرابة في نزول اللبن على ثدي أبي طالب، فإنّه من قبيل الإعجاز، ولعلّه منشأ اشتداد أخوّة أمير المؤمنين عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، كما صرّح بذلك بعض المحقّقين».

المصدر الأول: ما قرره الله سبحانه وتعالى من سهم الخمس في الغنائم، فسواء قلنا إن الخمس يختص بغنائم الحرب كما ذهبت إليه مدرسة الخلفاء، وقصرته عليه، أو قلنا ـ كما هو الصحيح ـ بأن الخمس يشمل مكاسب الناس كما يشمل غنائم الحرب، فإنه مصدرٌ ماليٌّ كبيرٌ جدًا. وهو في أيام رسول الله تحت اختياره يتصرف فيه ويقسمه في محتاجي قرابته وفقراء بني هاشم.

المصدر الثاني: الأنفال: وهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وتوضيحه أن المسلمين في حربهم مع أعدائهم من الكفار وأهل الكتاب ـ ولا سيما اليهود الذين كانوا في المدينة وأخلوا بمواثيقهم وعهودهم ـ كانوا يغنمون منهم أراضي ومزارع وقد أشير لها في القرآن الكريم في بداية سورة الأنفال ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ**﴾[1] وتوضحها الروايات الواردة في هذا ومنها ما «عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سمعه يقول الأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة دم أو قوم صولحوا وأعطوا بأيديهم.. فهذا كله من الفيء والأنفال لله وللرسول، فما كان لله فهو للرسول يضعه حيث يحب»[2]. ومن هذا كانت أموال بني النضير ـ وقد سبق أن تحدثنا عن الأسباب التي جعلت النبي يجليهم عن المدينة في فقرة الحديث عن مواجهاته مع أعدائه، فكانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ولم يقاتل المسلمون لأجل السيطرة عليه، وهذا بحسب نص القرآن من الأنفال الخاصة برسول الله يتصرف فيها

(١) الأنفال: ١.

(٢) الطوسي؛ محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام ٤/ ١٣٣.

كما يحب. وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان ينفق منها على أهله سنة ويجعل ما بقي في السلاح والكراع (الخيل والدواب) للمسلمين..

ومن الأنفال أرض فدك[1] التي كانت ملكًا خالصًا لرسول الله ﷺ لا يشترك معه أحد من المسلمين، ولذلك فقد نحلها وأعطاها ابنته فاطمة عليها السلام.

وكل واحدة من هذه تعادل شيئًا عظيمًا من المال، فإن أموال بني النضير هي أشبه بالحي المالي في المدينة، حيث هي مجتمع التجار اليهود، ولديهم من البيوت الفخمة، والمزارع الكبيرة، والآبار الغنية ما كان يمكنهم من السيطرة على الوضع المالي في المدينة، وهذه كلها آلت لرسول الله ﷺ.

المصدر الثالث: الهدايا والهبات التي تصل إلى النبي ﷺ، وأعظمها ما وهبته السيدة خديجة زوجة النبي عليها السلام في أول زواجه منها حيث وهبته كل ما تملك من مال وشاء وأعبد وغير ذلك، وأشهدت على ذلك من كان حول الكعبة المشرفة.

وفيما بعد البعثة والهجرة كذلك فقد زادت وتنوعت هذه الهدايا ما بين جوارٍ كمارية القبطية واختها سيرين، ودواب، وأموال، ولعل الشاخص الأكبر للهدية الكبيرة هي ما عرف ببساتين مخيريق السبعة[2].

---

(١) تحدثنا عن الوضع التاريخي والجغرافي والشرعي لقرية فدك في كتابنا: إني فاطمة وأبي محمد، فليراجع من يريد التفصيل.

(٢) مخيريق كان أحد أحبار اليهود وقد توصل بما قرأ من الكتب إلى الإيمان

هذا مع ملاحظة أن النبي ﷺ، وأهل بيته لم تكن مصاريفهم كثيرة حيث لم تكن تهمهم الدنيا، وقد اختار النبي ﷺ الآخرة، وكان في هذه الدنيا على طريقة من استظل بظل شجرة ثم مضى عنها! وبفكرة أن «الأمر أسرع من ذلك» عندما عرض عليه بعضهم تزيين منزله.

هذا بشكل مختصر ولمن أراد التفصيل فقد كتب الباحث علي دوست الخراساني كتابًا خاصًّا في هذا الموضوع بعنوان «المصادر المالية لأهل البيت عليهم السلام» تناول فيه نفس هذا الموضوع من زاوية الأئمة عليهم السلام.

4/ هل نجح رسول الله ﷺ في هداية قومه؟

أسأل هذا السؤال لأنه في الجزء الأخير من حياته الشريفة اشتد عصيان بعض الصحابة، وبعد وفاته انقلبوا على وصيه أمير المؤمنين، وبعد ٥٠ سنة من وفاته قتلت أمتُه سبطَه وسبت نساءه، وصار الحكم من بعده وراثيًّا في العهد الأموي ثم العباسي.

برسول الله ﷺ فجاء ورسول الله في معركة أحد، فأخبر قومه والمسلمين بأنه ذاهب إلى نصرة رسول الله الذي آمن به، وقد وهب حوائطه (بساتينه) السبعة لرسول الله، وبالفعل فقد استشهد في أحد، وآلت تلك البساتين لرسول الله، وقد ذكر الواقدي في المغازي (١/ ٣٧٨)أسماءها فقال: ومن أموال مخيريق. «وهي سبعة حوائط- الميثب، والصافية، والدلال، وحسنى، وبرقة، والأعواف، ومشربة أم إبراهيم، وكانت أم إبراهيم تكون هناك، وكان رسول الله ﷺ يأتيها هناك» وهي وغيرها آلت لفاطمة فجعلتها صدقة يصرف منها على موارد معينة كما في وصية الزهراء عليها السلام.

ج/ لا ريب أن رسول الله ﷺ قد أدى الأمانة كاملة وبلغ الرسالة بإتقان ونصح الأمة بما قدر عليه وهو الأمر الذي تؤكده الزيارات المروية عن المعصومين، وفيها الجواب عن السؤال السابق، فنحن نقرأ في زيارته ونخاطبه ﷺ «اشهد انك قد بلغت الرسالة، وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وعبدت الله مخلصا حتى أتاك اليقين، فصلوات الله عليك ورحمته وعلى أهل بيتك الطاهرين».

«اللهم صلِّ على محمد كما حمل وحيك وبلغ رسالاتك، وصلِّ على محمد كما أحل حلالك، وحرم حرامك، وعلّم كتابك، وصلِّ على محمد كما أقام الصلاة، وآتى الزكاة، ودعا إلى دينك، وصلِّ على محمد كما صدق بوعدك، واشفق من وعيدك، وصلِّ على محمد كما غفرت به الذنوب، وسترت به العيوب، وفرجت به الكروب، وصلِّ على محمد كما دفعت به الشقاء، وكشفت به الغَمّاء، وأجبت به الدعاء، ونجيت به من البلاء، وصل على محمد كما رحمت به العباد، وأحييت به البلاد، وقصمت به الجبابرة، وأهلكت به الفراعنة، وصلِّ على محمد كما أضعفت به الأموال، وأحرزت به من الأهوال، وكسرت به الأصنام، ورحمت به الأنام، وصلِّ على محمد كما بعثته بخير الأديان، وأعززت به الإيمان، وتبرت به الأوثان، وعظمت به البيت الحرام..».

وفي بيان صفات النبي وأدائه الرسالة كان الإمام علي عليه السلام يعلّم أصحابه كيفية الصلوات عليه فيقول:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ لِطَاعَتِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَكِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالْآثَامِ وَأَنَارَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ اللَّهُمَّ فَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَمَنْزِلَتَهُ وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخَطَلٍ فَصْلٍ وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»[1] هذا بشكل عام.

ولم تكن رسالة رسول الله ﷺ تتضمن أن يلتزم الناس من بعده بمنهجه إلى قرون أو عقود! فإن هذا لم يجعله الله تعالى ـ وهو القادر عليه ـ لنفسه، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾،[2] ولذلك كان دور النبي هو ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾[3].

---

(١) الكوفي؛ إبراهيم بن محمد: الغارات ١/ ١٥٩. ونهج البلاغة / ١٠١.

(٢) هود: ١١٨

(٣) الغاشية: ٢١ـ٢٢

فالشيء الذي لم يجعله الله لنفسه مع قدرته عليه.. أتراه كان سيجعله لرسوله؟ كلا! إنما كان عليه التذكير والبلاغ المبين والجهاد العظيم، وقد فعله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما قضية الانحراف من بعده، فليست خاصة بهذه الأمة، بل ابتليت بها الأمم السابقة! وقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام أحد زعماء اليهود بشكل نقضي عندما قال له «لم تلبثوا بعد نبيكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف، فقال عليه السلام: وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة»[1]. وأين هذا من ذاك؟

وهي مقتضى أن يستمر الصراع بين الحق والباطل وأن هذه الدنيا هي دار الامتحان والابتلاء ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[2].

فما الذي يستطيعه النبي غير الإرشاد والتوصية باتباع المنهاج المنجي وما إن تمسكت به الأمة فلن تضل من بعد ذلك أبدا، وهو الكتاب والعترة؟

5/ ما هي المصلحة من زواج النبي من بعض النساء

يتردد في خاطري سؤال وهو أنه ما هي المصلحة من زواج النبي من بعض النساء اللاتي كن يخالفنه في حياته ولم يكن دورهن

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب١/ ٣٢٤.
(٢) الانفال: ٣٧.

بعد وفاته دورًا حسنًا؟

والجواب على هذا السؤال ـ بعد التذكير بأن هذا السؤال موجود في حياة عدد من الأنبياء وأيضًا حياة الأوصياء والمعصومين ـ من خلال نقاط:

١/ الإحاطة بكل الأسباب التي تدعو شخصًا ما إلى الاقتران بزوجة معينة هي غير متيسرة لنا مع من نعايشهم ونعاصرهم، فلا نعلم عادة ما الذي يدعو ابننا لاختيار هذه الفتاة دون تلك! بل لو أخبرنا لكنا نتعجب من السبب! وقد نراه أو لا نراه وجيهًا. فكيف إذا كان الحال بمن يبتعد عنّا مئات السنين ولا يتيسر لنا الإحاطة بأغراضه وأهدافه. مهما اجتهدنا في ذلك.

٢/ إن المهم هنا هو أننا نعتقد أن النبي المصطفى ﷺ، كان أكثر الخلق حكمة وأعقل البشر وبالتالي فإن قراراته واختياراته هي الموافقة للحكمة، بل لأعلى درجاتها. وسواء تزوج هذه المرأة أو تلك، صغيرة السن أو كبيرته فإننا نعتقد أن هذا القرار هو الموافق للشرع أولًا، وللحكمة وما يقتضيه العقل ثانيًا. هذا فضلا عن هداية الله سبحانه وتعالى له.

٣/ يختلف المسلمون في تقييم الشخصيات فما تراه أفضل الشخصيات (من النساء أو الرجال) قد لا يراه غيرك بنفس الصورة. وبالنسبة لزوجات النبي ﷺ نفس الأمر حاكم، فالمسلمون يختلفون في تقييم زوجاته كشخصيات وأدوار. وشاهد

ذلك اختلافهم في: من هي أفضل نساء النبي؟ وقد أشرنا إليه في فصل الحياة الأسرية.

٤/ قد نجد في بعض المرويات أن ذلك هو أحد الابتلاءات، ليعلم الله هل تطاع زوجة النبي فيما لا يرضاه النبي؟ كما كان الحال في حرب الجمل، التي كانت من الطرف المضاد للإمام علي عليه السلام خاطئة بكل المقاييس، إذ هي خروج على الإمام الشرعي وهي نكث للبيعة، ومع ذلك فقد قتل مئات وآلاف بمشاركتهم في تلك الحرب الخاطئة. وأقترح على السائل الكريم والقارئ العزيز الرجوع إلى ما ذكرناه في كتاب: أعلام من الأسرة النبوية في فصل: موقف الشيعة الإمامية من زوجات النبي صلى الله عليه وآله بشكل مفصل.

6/ ما هو الرد على الرسوم الكاريكاتورية التي صورت إحدى المجلات الفرنسية بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: بشكل سريع نشير إلى أن موضوع الرسوم الكاريكاتورية[1] المسيئة لصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدأت بها صحيفة دانماركية في سنة (٢٠٠٥ م) لتتلوها صحيفة نرويجية بإعادة نشرها وغيرها، وبعدها قامت صحيفة ألمانية ثم فرنسية بنفس العمل من النشر والتشجيع على الرسم، والمستهدف كان شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والغاية تحطيم القداسة الثابتة لرسول الله في نفوس

(١) الرسم الكاريكاتوري هو رسم ساخر يظهر مبالغة ـ أو حتى مغالطة ـ في تصوير الملامح الطبيعية أو خصائص الأشخاص، وتهدف إلى إثارة الفكاهة أو السخرية من الشخصية المستهدفة.

المليارات من أتباعه المسلمين من جهة، وتشكيل حائط صد وممانعة عن انتشار دين النبي في البلدان الغربية، حيث عد الإسلام أنشط الأديان انتشارًا وأسرعها إلى التأثير.

وهنا نسجل الأمور التالية:

١/ إن تظاهر الغربيين بحرية الرأي والتي على أساسها يعتبرون نشر هذه الرسوم مبررًا ومظهرًا من مظاهر التمسك بالحرية هو كاذبٌ تمامًا. ويشهد لذلك أنهم يسمحون بانتشار أشياء ويمنعون من أشياء أخر ضمن حالة انتقائية لا تنسجم مع الإيمان بحرية الرأي. فإن الكثير من العقوبات بما فيها المنع من دخول تلك البلاد أو تسفير أصحابها، وحتى سحب جنسياتهم تفرض على من لا يؤمن بخرافة المحرقة اليهودية او يشكك فيها! ومن يعارض الشذوذ وحركاته.. فأين حرية الرأي؟

وإذا كان البعض في السابق ربما ينخدع بعلمانية هذه الدول وتقديسها الحرية الفردية، فقد أصبح الجميع اليوم يرى أن هذه الحرية لها كامل المساحة إلى أن تصل إلى الشعائر الدينية والإسلامية والاعتقاد بها فهنا تتوقف. ولعل الحرب المعلنة ـ بشكل مستمر على الحجاب الإسلامي، وإجبار المسلمين ـ بمن فيهم الأطفال ـ على حضور واستماع دروس الشذوذ تحت طائلة الفصل من المدارس، أو التفريق بين الآباء وبين أولادهم أوضح دليل على كذب حملة شعارات الحرية.

٢/ إننا نعتقد أن هذه الحملة البغيضة هي من مصاديق «رب ضارة نافعة» فبالرغم من أنه يُحزننا جدًّا كمسلمين بل يزعج المؤمنين بالله أن يقوم أشخاص لا يساوون رجيعهم، بالتعدي على أفضل خلق الله وسيد رسله ولو بشطر كلمة. وذلك ما لا نتمنى حدوثه، ولو استطعنا منعه بكل وسيلة لما كان ينبغي أن نقصر في ذلك.

إلا أن ذلك ـ بالرغم مما سبق ـ ستكون نتائجه على عكس ما أراد المعتدون، فإن هذا سيثير السؤال عن رسول الله، وسيجعل شخصيته واسمه محل حوار ونقاش في دوائر ما كان للمسلمين أن يصلوا لها، وبطبيعة الحال فإن السؤال ينتظر جوابا، وقد يكون هذا مقدمة للتعرف على رسول الله وشخصيته وتعاليم دينه.

٣/ بالرغم من أننا نرى أن ردود الفعل العاطفية وبعضها عنيف ببعض الدرجات، هي تعبير عن الغضب الطبيعي للإنسان المسلم الذي قد يكون لا مانع لديه بأن يضرب بل يقتل ولا يصل إلى رسول الله ﷺ مكروه! وهذا من درجات الإيمان.

نعم نحن لا نؤيد ردود الفعل العنيفة التي قد تنتهي إلى شيء من التخريب أو ما شابه. ونرى أنها ـ من حيث لا يريد أصحابها ـ قد تؤثر بشكل سلبي على قضية النبي المصطفى وشخصيته.

٤/ الذي نرى أنه نافع وبإمكان كل مسلم أن يقوم به، **أولا**: الوعي بما يريده أصحاب هذه الحملات، والوعي بشخصية رسول

الله وأهل بيته والتعرف على الدين القويم الذي جاء به. ذلك أننا نعتقد أن إقدام تلك الجهات المعادية على الفعل الشائن بحق رسول الله إنما كان بسبب جهلهم بشخصيته وبعدهم عن معرفته. وإلا لو كانوا يعرفون النبي وأخلاقه وتعاليمه لما قاموا بذلك.

والمسلم حين يبقى ضمن حدود معرفته الساذجة ويقتصر على القليل منها بحق رسول الله كأنه يشاركهم في بعض الدرجات. فينبغي أن يتعرف المسلم على نبيه وشخصيته وعلى أحكام الرسالة التي جاء بها. وفي نفس الوقت أن يعي بمخطط عدوه.

وثانيا: أن يتخذ له منهج حياة قائمًا على البراءة من أعداء رسول الله الذين يطعنون في شخصيته، فينقطع عن ثقافة أولئك وعن تجارتهم قدر الإمكان، ولأن هذه الدول الداعمة لتلك الرسوم، دينها هو المال وربها هو الدولار، فإن مقاطعتهم وما يخلفه من ضرر واضح على تجارتهم واقتصادهم مؤثرة للغاية. ولا ينبغي أن يكون ذلك رد فعل مؤقت ينتهي بانتهاء فورة الحماس وإنما بأن يكون منهج حياة. وهذا لا يستطيع أحد إجبار الإنسان على تغييره. لا معنى لأن يخالفهم الإنسان بقلبه ويقويهم بماله!

وثالثا: أن يتحمل كل شخص مسؤوليته ـ بمقدار ما يستطيع والكل يستطيع شيئًا غير قليل ـ تجاه دعوة الناس إلى النبي، وتعريفهم به، وبيان صورته الحقيقية، فإن «الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا».

الكاتب ينبغي أن يكتب عن رسول الله، والطالب الذي يدرس في الخارج ينبغي أن يترجم ما هو صالح للترجمة عن رسول الله، ومن ليس هذا ولا ذلك، ينبغي أن ينشر ما هو مكتوب أو مسجل في وسائل التواصل، وعلى المواقع المختلفة، وصاحب المال ينبغي أن يدفع مما يملك لتغطية تكاليف هذه الأمور وسواها.

لقد سمعت أنه على أثر قيام أحد المهووسين بالشهرة والشهوة، بحرق نسخة من القرآن الكريم، وسط استنكارات وإدانات الكثير قررت إحدى الجهات أن تطبع من القرآن المترجم إلى اللغة السويدية مائة ألف نسخة وتتيحه مجانا لمن يريد من الناطقين بهذه اللغة، فقلت لمن أخبر: هذا أفضل ردود الفعل التي يمكن القيام بها.

7/ القصة المشهورة في وفاة النبي ﷺ، عندما قام له رجل وقال بأن النبي ضربه بالسوط خطأً، ألا تتنافى مع عصمة النبي؟

جواب: لعل السائل يقصد ما ورد في كتاب الأمالي للشيخ الصدوق وهي رواية طويلة عن ابن عباس، قال: لما مرض رسول الله ﷺ وعنده أصحابه..إلى أن قال..

ثم قال: يا بلال، هلمَّ علي بالناس، فاجتمع الناس فخرج رسول الله ﷺ متعصبا بعمامته، متوكئا على قوسه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر أصحابي، أيَّ نبي كنت لكم! ألم أجاهد بين أظهركم، ألم تكسر رباعيتي، ألم يعفر جبيني، ألم تسل الدماء على حر وجهي حتى كنفت لحيتي، ألم أكابد الشدة والجهد مع جهال قومي، ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟

قالوا: بلى يا رسول الله، لقد كنت لله صابرًا، وعن منكر بلاء الله ناهيًا، فجزاك الله عنا أفضل الجزاء. قال: وأنتم فجزاكم الله.

ثم قال: إن ربي عز وجل حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فناشدتكم بالله أي رجل منكم كانت له قبل محمد مظلمة إلا قام فليقتص منه، فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء. فقام إليه رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنك لما أقبلت من الطائف استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب وأنت تريد الراحلة فأصاب بطني، فلا أدري عمدا أو خطأ. فقال معاذ الله أن أكون تعمدت. ثم قال: يا بلال، قم إلى منزل فاطمة فأتني بالقضيب الممشوق. فخرج بلال وهو ينادي في سكك المدينة: معاشر الناس، من ذا الذي يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة؟ فهذا محمد ﷺ يعطي القصاص من نفسه قبل يوم القيامة!

وطرق بلال الباب على فاطمة عليها السلام وهو يقول: يا فاطمة، قومي فوالدك يريد القضيب الممشوق. فأقبلت فاطمة عليها السلام وهي تقول: يا بلال، وما يصنع والدي بالقضيب، وليس هذا يوم القضيب؟ فقال بلال: يا فاطمة، أما علمت أن والدك قد صعد المنبر وهو يودع أهل الدين والدنيا! فصاحت فاطمة عليها السلام وهي تقول: وا غماه لغمك يا أبتاه، من للفقراء والمساكين وابن السبيل يا حبيب الله وحبيب القلوب؟

ثم ناولت بلالا القضيب، فخرج حتى ناوله رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ: ها أنا ذا يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: تعال فاقتص مني حتى ترضى. فقال الشيخ: فاكشف لي عن بطنك يا رسول الله، فكشف ﷺ عن بطنه، فقال الشيخ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك؟ فأذن له، فقال: أعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله من النار يوم النار. فقال رسول الله ﷺ: يا سوادة بن قيس، أتعفو أم تقتص؟ فقال: بل أعفو يا رسول الله. فقال ﷺ: اللهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفا عن نبيك محمد[1].

ولا أعلم هل أن السائل يريد القول أن الرواية لما كانت تثبت ضرب النبي للرجل سهوا فهذا مخالف للعصمة وبذلك يعرف أن الرواية غير صحيحة؟ أو أنه يريد أن يقول بأن وجود هذه الرواية يدل على عدم عصمة النبي في حال السهو؟

وأيًّا ما كان المقصود فقد لاحظ العلماء على هذه الرواية ملاحظات كثيرة تنتهي إلى سقوطها:

أولها: ضعف السند ومخالفة المتن للأصول الدينية، وهو ما ذكره الشيخ محمد هادي معرفة قائلا: «رجال إسناد الصدوق في هذا الحديث أكثرهم مجاهيل أو ضعاف، فضلًا عن عدم استقامة المتن على أصول المذهب؛ إذ لا يشرع القصاص في غير العمد، كما

(١) ابن بابويه القمي؛ الشيخ الصدوق: الأمالي ٧٣٢.

لا قصاص في الضرب بالعصا. ولعلّ واضع هذا الحديث غفل عن مباني شريعة القصاص في الإسلام، أو لعلّه أراد الحطّ من سيّد الأنبياء، في حادثة وضعها على خلاف الشريعة»[1].

وثانيها: التعثر الموجود في اسم الصحابي الذي جرت له الحادثة وزمان ذلك، فإن المذكور فيها هو «سوادة بن قيس» ولم يذكر شخص بهذا الاسم في أصحاب رسول الله، كما لم يأت له ذكر في التراجم. بينما ذكرت بعض مصادر مدرسة الخلفاء أن القصة حدثت لسواد بن غزية الأنصاري وفي بعضها سواد بن عمرو، واقتصرت على ذكر مختصر لها وهو أن الرجل قال لرسول الله وقد كان يعدل الصفوف يوم بدر، وكان سواد خارجًا على الصف فضربه على بطنه، وطلب من النبي أن يقيده ويقتص منه، فكشف النبي عن بطنه فاعتنقه وقبله واستعاذ به من النار!

في مقابل ذلك فإن رواية الأمالي فيها اسم سوادة بن قيس كما قلنا، وأن أصل الحادثة كان عند رجوعه من الطائف (يعني بعد غزوة حنين) وتلك الروايات تقول في معركة بدر، وموضع وزمان الاقتصاص المفترض في رواية الأمالي هو بيت الرسول أو المسجد، وزمانه قرب وفاة رسول الله وفي الأيام الأخيرة من حياته.

وثالثها: فإن مضمونها لا يجري على موازين القضاء، فلا يقبل دعوى المدعي بمجرد دعواه، وقد فرض أن «سوادة» هذا ابن قيس

(١) معرفة؛ الشيخ محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن ١٠/ ٧٧.

أو ابن غزية أو ابن عمرو قد ادعى على النبي أنه ضربه فهل يثبت ذلك على النبي بمجرد دعواه؟ وبلا بينة؟ لنفترض أن هذا حدث، والنبي يعدل الصفوف وسوادة هذا كما ورد في روايات مستنتل من الصفوف، يعني خارج عنها، أليس من حق قائد الجيش أن يرد المتقدم وأن يقدم المتراجع لكي يستوي نظام الجيش؟ وبغض عن النظر عن موضوع العصمة، فهل أن قائد الجيش الذي يعدل جنوده ويسوي صفوفه، إذا لم يتعمد ذلك.. فهل يجر الأمر إلى القصاص؟

إننا نعتقد أن قائد الجيش لو قام بذلك متعمدا لمصلحة تنظيم الجيش لما كان عليه بأس فكيف إذا كان غير عامد؟

8/ لا شك أن النبي ﷺ هو نبي الرحمة، فلماذا أثر عنه التعامل بالعنف والقسوة مع بعض مخالفيه كبعض اليهود؟

جواب: إذا كان المقصود أن الرحمة لا تجتمع مع العقوبة الشديدة، فهذا مما لا يمكن قبوله! ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم، ومع ذلك هو شديد العقاب! وفي نفس الوقت الذي تكون فيه رحمته وسعت كل شيء فإن ناره وقودها الناس والحجارة وويل لمن يحيط بهم سرادقها! هذا نقض للسؤال.

والجواب الحلي: هو أن الرحمة لها محل كما أن العقوبة لها محل آخر، نعم اجتماعهما في مكان واحد من كل الجهات مستحيل! ولكن أن تكونا في مكانين وبالنسبة إلى شخصين أو فئتين فهذا أمر

طبيعي!

ومن ذلك ما هو من الله سبحانه كما تقدم! ومنه ما حصل لرسول الله ﷺ! فهو رحمة للعالمين، لكنه في نفس الوقت على الجاحدين يكون عذابًا صبًّا.

وأما بالنسبة لليهود، فما يقال عادة هو أمران: إخراجهم من المدينة المنورة على مراحل! والآخر: تنفيذ حكم سعد بن معاذ فيهم.

وسنعرض إلى إجابة السؤال في نقاط:

أ/ اليهود فئة سكانية طارئة على المدينة المنورة وهذا باتفاق المؤرخين وإن اختلفوا في زمان ذلك وسببه. ومن بداية مجيئهم حاولوا السيطرة على المال، وبه استطاعوا بناء الآطام والحصون لهم والتي بقاياها كخيبر وغيره شاهدة على ذلك! ماذا يعني بناء الحصون والآطام في مجتمع مدني؟ فقط في خيبر كان هناك سبعة حصون حجرية عالية البناء!

ب/ بما بقي في كتبهم كانوا يعلمون أن نبيًّا سيبعث وستكون هجرته إلى المدينة، وكانوا يستفتحون على غيرهم بهذا ويفتخرون ويرون أن المستقبل هو لهم، باعتبار أنهم الشعب الذي يُبعَث منه وفيه الأنبياء، حتى إذا بُعث رسول الله ﷺ، وهو من غيرهم (كنسب وقبيلة) جحدوا ذلك، وكذبوا النبي، بل حاول بعضهم قتله في مكة منذ الصغر كما أشارت له كتب السيرة.

ج/ لما بعث النبي ﷺ، كان دأبهم التشويش على رسالته ودعوته ووضع العراقيل أمامها في مكة، واشتد ذلك الأمر بعد هجرته إلى المدينة[1] ويكفي للقارئ الكريم أن يتتبع مفردة (اليهود) في القرآن و(بني إسرائيل) لكي ينظر ماذا كانوا يصنعون حتى لقد أعطاهم الباري سبحانه وتعالى الرتبة الأولى ـ متقدمين على المشركين ـ في عداوة المؤمنين! فقال ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[2].

د/ بالرغم من كل ذلك فقد عاملهم رسول الله ﷺ بالحسنى، واحترم وجودهم، وعقد معهم اتفاقية مصالحة وتعاون عرفت باسم وثيقة المدينة. ولكنهم لم يكونوا أهل وفاء بالميثاق. فاستمرت مؤامراتهم واتخذت أبعادا أكثر خطورة فلم تبق في دائرة إثارة الشبهات أو الاعتداء على امرأة مسلمة لكشف بدنها وإن كانت هذه خطرة أيضا. بل صمموا على اغتيال الرسول وقتله، كما حصل عند ذهابه لبني النضير، وكانت تلك هي البداية ليرتقوا ـ ولا رقي في ذلك ـ إلى التآمر الصريح على المسلمين بتحريض

(١) كان حيي بن أخطب اليهودي وأصحابه، يقولون للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المَقْدِس، أكانت هدى أم ضلالة؟ فواللهَّ لئن كَانَتْ هدى، لَقَدْ تحولتم عَنْهُ. ولئن كَانَتْ ضلالة لقد دنتم الله بها فتقربتَم إليه بها، وإن من مات منكم عَلَيْهَا مات على الضلالة.

(٢) بل حتى في السباب والفحش كانوا سابقين لكفار قريش كما تشير الآية ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ وكان زعيمهم ابن الأشرف عندما يُسأل ماذا تجدون في محمد عندكم؟ يقول: عداوته ما حيينا! مغازي الواقدي١/ ١٨٤.

المشركين لكي يهاجموا المسلمين بعد معركة بدر، وأكثر منه عندما تحالفوا معهم في معركة الأحزاب (الخندق) وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل الأول من حروب النبي!

إنها خيانات متتابعة ومتصاعدة، بالرغم من إحسان النبي والمسلمين جوارهم، ووفاء النبي والمسلمين بميثاقهم وعهدهم! فكان أمر الله عزوجل بإخراجهم من المدينة، بشكل تام ليذهبوا إلى جهة الشام وأطرافها ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾[1].

وأما موضوع يهود بني قريظة فحاصله: أن النبي ﷺ واجه جموع قريش التي جاءت لغزوة الأحزاب، وفي نفس هذا الوقت نقض بنو قريظة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله وأصبحت كلمتهم ومن بقي من بني النضير مع قريش ضد رسول الله والمسلمين، وجاء حيي بن أخطب (زعيم بني النضير) وأقنع كعب بن أسد (زعيم قريظة) بنقض العهد مع الرسول فهذه فرصتهم ما دام يواجه قريشا بكاملها وغطفان والأعراب من الخارج فليكونوا هم من الداخل ويقضوا على الرسول والمسلمين. وحاول الرسول إرجاعهم إلى العهد والميثاق وأرسل إليهم من زعماء الأنصار ممن كان من حلفائهم السابقين، ولكن من دون جدوى.

---

(١) الأحزاب:٢٦ـ ٢٧.

نصر الله نبيه ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ﴾[1] ورجع منتصرا من معركة الخندق، كان من الطبيعي أن يعود الجميع لحياته الطبيعية حيث الحرب هي استثناء وبما تقتضيها الضرورة، فبينما هو يغسل رأسه في بيت إحدى زوجاته، وإذا بجبرئيل يأمره عن الله عزوجل بأن يبقى على لباس الحرب، وأن جبرئيل هو نفسه لا يزال بلباس الحرب، والغرض هو الهجوم على يهود بني قريظة.

ومع أن الوقت كان مضيقا بالنسبة للصلاة إلا أنه نقل عنه ﷺ، أن «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» وبالفعل حشد رسول الله من المسلمين حوالي ثلاثة آلاف وتوجهوا إلى حي بني قريظة الذين اعتصموا بحصونهم وأغلقوها عليهم وكان أول من وصل علي بن أبي طالب في جماعة معه، فتناول اليهود هؤلاء بالسب وفحش القول!

وحاصر رسول الله بجيشه بني قريظة المتعاونين مع المشركين حوالي شهر من الزمان، وهكذا ﴿أَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ على أثر ذلك قبلوا ما يحكم به فيهم سعد بن معاذ (وكانوا حلفاءه قبل الإسلام)، فحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تُسبى الذرية، وهكذا كان فقُتل من اليهود عددٌ اختلفت التقديرات بشأنه وهو يبدأ من ثلاثمائة وينتهي بالألف! وحفر لجثثهم اخدودٌ قرب السوق.

---

(١) الأحزاب: ٢٥.

ولعل سؤال السائل يرتكز حول هذه النقطة بشكل أكبر لا سيما وأن بعض المبشرين ضد الإسلام يثيرونها بين فترة وأخرى، خصوصا وأن العالم اليوم مرتهَن بفكرة «معاداة السامية» ويقصرها على اليهود وكأنه لا يوجد سامي إلا اليهود، وقد أخذوا العالم كله بمظلومية اليهود والمحرقة! وعلى كل حال فقد قدمت ثلاث إجابات على هذه المسألة:

الإجابة الأولى: الدينية وحاصلها أن رسول الله ﷺ الذي (لا ينطق عن الهوى) في كلمة أو إخبار، لا يمكن أن يقوم بعمل مثل القتل وبهذا العدد سواء كان كبيرًا أو صغيرًا من غير توجيه إلهي، وعصمة ربانية. ومع إيمان الجميع بأن محمدًا بن عبد الله خاتم الرسل فعمله هذا يحمل شرعيته فيه.

بل يمكن القول إن الله الذي أمر بني إسرائيل بسبب ما ارتكبوه من مخالفات شرعية أن يقتلوا أنفسهم، يعني أن يقتل بعضهم بعضا توبة من الله[1] هو الذي أمر رسوله بقتل هؤلاء الذين خانوا رسالة نبي الله موسى أولًا فحالفوا الوثنيين عباد الأصنام ضد رسولٍ هو عندهم كموسى (أو أفضل) ووضعوا قوتهم في جنب الكفر ضد الإيمان بالله.

وكأن أكثر من نقل مجريات الحادثة ينطلقون من هذا المعنى

---

(١) البقرة: ٥٤ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾.

وإن كانوا لا يصرحون به، بل قد لا يثيرون سؤال: لماذا؟ ولا يحتاجون إلى تبرير إجابته.

الثانية: الإجابة العسكرية والاجتماعية: وحاصلها إن العمل الذي قام به بنو قريظة والخيانة الكبرى التي ارتكبوها في حق رسول الله والمسلمين تبرر هذه العقوبة ذلك «إن جريمة بني قريظة تختلف في حجمها وفي خطورتها على الإسلام والمسلمين ولا تقاس بجريمة بني النضير وقينقاع[1]. فقد تحرك بنو قريظة في خط الخيانة، وتوغلوا فيها إلى درجة أصبح معها أساس الإسلام في خطر أكيد، وشديد، لا سيما وأن ما بنوا عليه كل مواقفهم هو استئصال شأفة الإسلام وإبادة الوجود الإسلامي بصورة تامة وحاسمة. ولم يكن بنو النضير ولا بنو قينقاع قد توغلوا في أمر الخيانة إلى هذه الحد. مع الإشارة إلى أن هدف بني قريظة كان في مستوى الحسابات العملية التي اعتمدوا عليها قريب المنال، وقد خطوا خطوات عملية لإنجاز هذا المهم، وللوصول إلى ذلك الهدف، حتى على مستوى التحرك العسكري، الذي يستهدف تمكين الأحزاب وهم معهم من اجتياح الوجود الإسلامي وسحقه، وإبادة المسلمين. خصوصا النبي وبني هاشم»[2].

(١) عفا النبي عن بني قينقاع وسمح لبني النضير بأن يخرجوا من المدينة بدوابهم وما حملت عليها من أموال وعاقب بني قريظة بما تقدم ذكره، وهذا يشير إلى أن النبي لا ينطلق من عداوة لليهود كيهود، بل ولا كمخالفين للإسلام وإنما كخونة تآمروا على المسلمين ودولتهم وسعوا مع أعدائهم لقتل المسلمين وإزالة دولتهم.

(٢) العاملي؛ جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١١/ ١٦٥.

وقد ذكر اللواء خطاب في كتابه الرسول القائد جانبًا آخر بالقول: «لو نجح الأحزاب في غزوة الخندق، فماذا كانوا يفعلون بالمسلمين؟ ألم تكن عاقبة المسلمين الإبادة والتمثيل؟ فلماذا لا يبيدون الذين حاولوا معاونة أعدائهم على إبادتهم؟ لقد أفسح المسلمون المجال أمام بني قينقاع وبني النضير من يهود للجلاء إلى (خيبر) وإلى ضواحي الشام، فماذا كانت النتيجة؟ أثار اليهود الذي عفا عنهم النبي ﷺ الأحزاب وحشدوهم أمام خندق المدينة للقضاء على المسلمين. ومع ذلك فالموقف جدّ مختلف بين موقف يهود الذين خانوا عهودهم في غزوة الخندق وبين يهود بني قريظة؛ إذ أن خيانة هؤلاء ونكثهم عهودهم كان في أحرج الأوقات وأشدها خطورة على مستقبل الإسلام والمسلمين... فهل يبقي المسلمون سلمًا على بني قريظة أيضًا ليقوموا بدور أسلافهم بني قينقاع وبني النضير»[1].

كما إني رأيت كلاما يعزز هذه الجهة كتبه الباحث وليد فكري[2] فيه جهات جديرة بالاهتمام خلاصتها:

- إن تحليل كل حادثة ينبغي أن يؤخذ فيها الظروف الزمانية والمكانية والاجتماعية ليتم تقييمها بشكل سليم، وفي ما نحن فيه كانت القبائل تتضامن في أفعالها، فتؤاخذ كلها بفعل بعضها وهذا ما يشير له مبدأ الثأر الذي كان سائدا، فبنو

(١) خطاب، محمود شيت: الرسول القائد ص ٢٦٠.

(٢) في موقع إضاءات

https://www.ida2at.com/the-jews-of-bani-qureizah-beyond-the-/religious-reading-of-the-incident

قريظة كاملة هنا هي معرضة للعقوبة! لا سيما وأن قراراتها كانت تؤخذ بالتشاور كما يظهر من تفاصيل القضية.

◄ كما أنه لم يكن هناك بحسب التخطيط والحكمة بديل عن قتل هؤلاء!

فالعفو عنهم وإطلاق سراحهم كان غير منطقي، فهل عفا شعب عن خونته في وقت الحرب حيث (بلغت القلوب الحناجر)، إن ذلك كان يعني أن ينطلق هؤلاء إلى خيبر التي تحولت بالتدريج إلى قلعة لليهود المطرودين من المدينة يجمعون فيها المال والسلاح ويعقدون مع القبائل الاتفاقيات للهجوم على رسول الله والمسلمين، فهل يعقل من الرسول أن يطلق هؤلاء المقاتلة ليجتمعوا من جديد في خيبر؟

كما أن استرقاقهم وابقاءهم في المدينة يعني إبقاء (٧٠٠)[1] شخص في المدينة لهم تراثهم ولغتهم الخاصة ويحدوهم حس الانتقام وأدوات القتال ليست بعيدة عنهم.. فخطرهم سيكون أكبر على المسلمين وقيادتهم.

فالضرورة الأمنية والعسكرية تقضي بقتلهم لما ارتكبوه من جريمة الخيانة، ولتأمين الوضع الإسلامي، ولم يكن القتل انتقاما كما لم يكن أمرا دينيا محضا مجردا من التخطيط. هذا ما أفاده الباحث المذكور.

---

(١) بناء على أن عدد المقتولين هو هذا. وإذا كان العدد (١٠٠٠) فالأمر أشد إشكالا.

الثالثة: التساؤل حول الحادثة وحجمها:

أظن أن من المسائل التي لم تبحث بالمقدار الذي تستحقه هو حجم الحادثة، وتفاصيلها.. وأخذ ما جاء في روايات السيرة أو كتب الحديث على أنها حقائق نهائية، فوجب بعد ذلك أن يتم تفسيرها وتبريرها والإجابة عما تثيره من أسئلة، وكان الحق أن يتم البحث الأول وهو عن حجم الحادثة. وبالذات موضوع قتل ذلك العدد من اليهود.

وقد تتبع المرحوم العاملي ما جاء من الأقوال في عددهم، فكانت هكذا: ٣٠٠، و٤٠٠، و٤٥٠، و٦٠٠، و٧٠٠ و٨٠٠ و٩٠٠ و١٠٠٠، وأرجعها إلى مصادرها[1].

ويمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

١/ إننا لا نعثر في أي من هذه المصادر على رواية من معصوم، وأكثر هذه الأعداد هي تقديرات وتخمينات لا يمكن الاطمئنان بشكل كامل إلى أي منها. وإن كان ما سيأتي من الملاحظات يرجح جانب الأعداد القليلة على الكثيرة.

٢/ إن هناك خلطًا كما أشار إليه بعض الباحثين في فهم كلام سعد بن معاذ الذي حكم بأن «تُقتَل المُقاتِلة» وهو يعني قتل المحاربين المقاتلين، لا كل الذكور. وإن كانت العادة أن البالغين في القبائل

(١) العاملي: الصحيح مصدر سابق ١١/ ٢٠٣.

يتولون أمر الحرب والقتال.. لكن هناك فرق بين الأمرين. فالأول يعني أن تقتل من هو مقاتل بالفعل، بينما الثاني بحيثية أنه ذكَر!

٣/ إن مما يثير العجب هو إطباق المؤرخين على أن النبي ﷺ قد حبس بني قريظة بعد أن أخرجهم من حصونهم في دار بنت الحارث الأنصارية، ثم اختلفوا في اسمها على ستة أقوال؛ بين نسيبة، وزينب، وقلابة وكبشة، وكيسة، ورملة. وهذا أمره قد يكون سهلًا إلا أن الذي يصعب فهمه هو أنه كيف تتسع دار امرأة لألف شخص ـ بناء على قولهم إنهم كانوا ألفًا ـ؟ وأكثر من ذلك إذا قيل بأنه كان معهم النساء اللاتي سبين! والأطفال الذين قيل إنهم دون الحلم والبلوغ؟

ولا ينفع في الإجابة على هذا أن النبي ـ كما قيل ـ وزع بعضهم ليقتلوا في بيوت بعض الأنصار! وهنا إما أن نفترض أن تكون تلك الدار دارًا عظيمة جدا بحيث تستوعب ألف شخص، أو أن يكون هذا العدد مبالغا فيه.

٤/ إن ما يلحظه الباحثون هو أن النتائج غير المعتمدة على الحساب بالعدد، والمعتمدة في المقابل على التخمين والتقدير تختلف اختلافًا كبيرًا قد يصل أحيانا إلى ثلاثة أضعاف العدد الأقل.

والملحوظ في أخبار الحادثة هو ذلك، فالموجود فيها أنهم؛ أُخرجوا للقتل أرسالًا أرسالًا.. وهذه الجملة لا تفيد كم دفعة كانت وكم كان في كل دفعة من الأفراد؟

٥/ ما أفاده بعض المفكرين من أنه كيف يمكن أن يُخَد أخدود في وسط السوق لكل هذه الجنائز والجثث، وما الذي يخلفه ذلك من آثار صحية غير مطلوبة وأوبئة.. فهل كان سيقدم عليه رسول الله ﷺ؟[١]

٦/ إننا نلاحظ في النص الموجود في كتب السيرة والحديث عن الواقعة، جوّا عامًّا يُظهر النبي والمسلمين بمظهر المتعطش للدماء والقتل، وفي نفس الوقت يُظهر يهود بني قريظة وهم الذين بدأوا الخيانة الفاقعة بمظهر المؤمنين النبلاء والفرسان الذين يبيعون الحياة بل وشفاعة غيرهم فيهم بأدنى ثمن لكي يلحقوا بمن سبقهم من الأبطال في الفعل والأخلاق من رؤسائهم (!) وهذا لا يتوافق مع ما يعرفه القرآن لنا من أنهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ وأنهم ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾![٢] مما يجعل الباحث يتوقف كثيرا في قبول هذه التفاصيل.

وقد أشار إليه العاملي في الصحيح بقوله: «يلفت نظرنا هنا ما نجده من محاولات جادة لإظهار شجاعة بني قريظة، وثباتهم وقوتهم، وصبرهم في مواجهة الموت التزامًا ووفاءً لقناعاتهم، وانسجامًا مع أنفسهم في مواصلة الأخطار والكوارث، دونما رهبة أو وجل.

---

(١) د. عدنان إبراهيم في محاضرة له على الانترنت، وقد نقل أن ابن رنجويه حدد عدد القتلى بأربعين شخصًا، وقد راجعت كتاب الأموال الذي يفترض فيه التعرض لهذا فلم أجد العدد المذكور ولعله يقصد كتابا آخر أو اشتبه عليه الأمر.

(٢) البقرة:٩٥ـ٩٦.

وقد تجلى ذلك حتى في نسائهم، اللواتي يفترض فيهن أن يظهرن المزيد من الجزع والضعف والهلع في مواجهة الموت.

ويكتسب اليهود عن طريق هذا التزوير للتاريخ: صفات الشهامة، والعزة والكرامة، والإباء والشمم، وهي الصفات التي لم نزل نعرف عنهم اتصافهم بما يناقضها وينافيها.

أما النبي والمسلمون فيصبحون في موقع الناس القساة، الذين لا تظهر منهم بادرة رأفة ولا رحمة. بل هم أناس مجرمون، يحبون سفك الدماء، دونما شفقة أو وازع من ضمير»[1].

وقد انتهى السيد العاملي إلى قبول ما اختاره ابن شهر اشوب وقال: قد ذكر ابن شهرآشوب: أن عدة بني قريظة كانت سبع مئة، لكن المقتولين منهم كانوا أربع مئة وخمسين، وعند غيره: أربع مئة، أو ثلاث مئة. وقد يكون هذا هو الأقرب إلى الواقع والحقيقة انسجاما مع ظاهر قوله تعالى: ﴿**فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾[2].

وليس عندي رقم أعتمد عليه يخلو من الإشكال ولكن لو

---

(١) العاملي: الصحيح ١١/ ١٩١. أقول: ونحن نعيش هذه الأيام الهجوم الإسرائيلي الشامل على المدنيين في غزة بالطائرات الحربية وقصف المدفعية بحيث وصل عدد الشهداء فيها إلى هذا اليوم (حين اخراج الكتاب وتصحيحه النهائي) نحو ١٢٠٠٠ أكثر من نصفهم من النساء والأطفال، وفي نفس الوقت خرج وزير إسرائيلي ليقول: إن جيش الدفاع ـ كما سماه ـ هو الجيش الأكثر أخلاقية في العالم!!

(٢) العاملي: الصحيح ١١/ ٢٠٣.

كنت بين ما ذكر من الأرقام المذكورة أولًا، وبين هذا الأخير لكان الأخذ بهذا أحرى وأجدر.

9/ لماذا لم يكتب النبي لنا كتابًا «لا نضل بعده أبداً» قبل أن يمرض أو يتعب؟

جواب: لا أعلم كم قرأ السائل الكريم في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، لكن المعروف أن رسول الله ومنذ أن كان ابن عمه علي عليه السلام في العاشرة من العمر وهو يتحدث عن السبيل الذي لا يضل من اتبعه وهو المنحصر بولايته وولاية أهل بيته من بعده، وما ترك وسيلة ولا طريقة يسلكها العقلاء إلا وأتى بها ليؤكد مضمون ما كان يريد أن يكتبه لهم في الوصية الأخيرة له.

فمنذ يوم الإنذار في يوم الدار قال: أيكم يؤازرني على أن يكون أخي وخليفتي ووصيي من بعدي. وهذا كان وعلي في العاشرة إلى خطبته في منى وبعدها في يوم الغدير وعمر الإمام عليه السلام نحو ثلاث وثلاثين سنة، وطول هذه المدة كان رسول الله لا يترك مناسبة إلا وبيّن فيها ما هو الطريق التي لا تضل الأمة بسلوكها إياه، ويبين لها خريطة الطريق وقد ذكرنا شطرا وافرا من تلك الأحاديث في كتابنا ـ من هذه السلسلة ـ أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ونشير هنا لبعضها؛ فحديث المنزلة: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» قد ذكره المسلمون إلا غير المنصفين وقد بيّن القرآن منزلة هارون من موسى وهي: الخلافة فقال

﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ والمشاركة في الرسالة ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ والوزارة ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾.. وغيرها.

وحديث الغدير: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله.

وحديث كون الحق معه: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار.

وغيرها من الأحاديث، فليرجع السائل إلى الكتاب المذكور أو غيره من الكتب المتكلفة بذكر أحاديث النبي في فضيلة وإمامة علي عليهما وآلهما السلام.

فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك الموضوع وأهمله إلى أن صار مريضًا وعندها فكر في كتابة الكتاب، ليقال: لماذا لم يكتبه أيام صحته؟

كلمة شكر

أقدم الشكر الجزيل لكل من ساهم في هذا الكتاب بنحو من الأنحاء وأخص الأخوات والإخوة الذين نقلوا المحاضرات الخاصة (نحو ٤٥ محاضرة) برسول الله ﷺ خلال سنوات متعددة من الصوت إلى الكتابة مما جعل المادة الأصلية لها محفوظة وسهل عليّ تحريرها من جديد حين أردت كتابة سيرة النبي، فلهم ولهن جميعا الشكر والتحية، وسأبدأ بالأخوات لكثرتهن كثّر الله في الخير أمثالهن، وليسمح الإخوة الفضلاء بتأخير أسمائهم:

شكرًا للفاضلات: رياحين، صلوات، فاطمة الخويلدي، معصومة الخضراوي، عديلة المرحوم، أم فاطمة الياسري، ليلى الشافعي، سلمى بوخمسين، خديجة العيد، رباب محيسن، رازقة الشكر، امجاد عبد العال، زينب آل ليث، زينب المعراج فاطمة امبيريك، علياء الفلفل، زينب الرمضان، زهراء الضامن، شريفة الفلفل، مريم مالك، ورود الحداد، والعلوية ونور المجتبى.

وشكرا للإخوة الفضلاء؛ عبد العزيز العباد، ود. الخميس، وفتحي عبد الله، وعيسى الربيح.

تقبل الله منكم جميعًا وشكر الله سعيكم ورزقكم وإيانا شفاعة المصطفى محمد وآله.

المصادر

بعد القرآن الكريم

تم الاعتماد على المصادر التالية وهي الموجودة في تطبيق المكتبة الشاملة بالنسبة لمصادر مدرسة الخلفاء، وعلى مكتبة أهل البيت على الانترنت لمصادر أتباع أهل البيت.

١. ابن الأثير الجزري؛ علي بن محمد، أسد الغابة، دار الفكر – بيروت ١٤٠٩هـ

٢. ابن الأثير؛ مبارك بن محمد: جامع الأصول في أحاديث الرسول، ت عبد القادر الأرنؤوط

٣. ابن إسحاق بن يسار؛ محمد سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، ت سهيل زكار، دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ

٤. الأصبهاني؛ أبو نعيم أحمد بن عبد الله: دلائل النبوة، ت محمد رواس، دار النفائس، بيروت ١٤٠٦ هـ

٥. الأمين؛ السيد محسن: أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات – بيروت

٦. البخاري؛ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ،

٧. البدري؛ السيد سامي: السيرة النبوية، دار طور سينين، بغداد ١٤٢٣ هـ

٨. البروجردي؛ السيد حسين الطباطبائي؛ جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية – قم ١٣٩٩ هـ

٩. البُستي؛ محمد بن حبان: صحيح ابن حبان، ت محمد علي سونمز، دار ابن حزم – بيروت ١٤٣٣

١٠. البغدادي ابن سعد؛ محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبير، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٠ هـ

١١. البلاذري؛ أحمد بن يحيى: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر – بيروت ١٤١٧ هـ

١٢. البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي: السنن الكبرى، ت محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤ هـ

١٣. التستري؛ الشيخ محمد تقي: قاموس الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الاسلامي ١٤١٠

١٤. الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ت أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ١٣٩٥ هـ

١٥. الثقفي؛ إبراهيم بن محمد: الغارات، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة بهمن

١٦. الجبعي؛ الشهيد الثاني زين الدين علي بن محمد: الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: ت السيد محمد كلانتر

١٧. جامعة النجف الدينية١٣٨٦

١٨. ابن أبي الحديد؛ شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٣٧٨

١٩. الحر العاملي؛ محمد بن الحسن: وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم ١٤١٤

٢٠. الحرّ العاملي؛ محمد بن الحسن: إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، خرّج أحاديثه: علاء الدّين الأعلمي

٢١. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان

٢٢. بن حزم الأندلسي؛ علي بن أحمد: المحلى بالآثار، ت عبدالغفار البنداري، دار الفكر – بيروت

٢٣. الحميري؛ عبد الملك بن هشام، ت مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة

٢٤. ابن حنبل؛ أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة

٢٥. خطّاب؛ محمود شيت: الرسول القائد؛ دار الفكر – بيروت ١٤٢٢

٢٦. الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت: تلخيص المتشابه في الرسم، ت سكينة الشهابي، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٨٥

٢٧. الدارقطني؛ علي بن عمر: سنن الدارقطني، ت شعيب الارنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٤ هـ

٢٨. الرازي؛ فخر الدين: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤٢٠ هـ

٢٩. الراوندي؛ قطب الدين: الدعوات (سلوة الحزين)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي قم ١٤٠٧

٣٠. الروحاني؛ السيد محمد صادق: أجوبة المسائل في الفكر والعقيدة والتاريخ والأخلاق، دار زين العابدين – قم ١٤٣٢

٣١. الريشهري؛ محمد: حكم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مركز بحوث دار الحديث – قم ١٤٢٩

٣٢. الريشهري؛ محمد: كنز الدعاء، دار الحديث قم ١٤٣٤

٣٣.الريشهري؛ محمد: الصلاة في الكتاب والسنة، دار الحديث قم

٣٤.الزرقاني المالكي؛ محمد بن عبد الباقي: شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية،

١٤١٧.٣٥هـ

٣٦.الزركشي الشافعي؛ محمد بن عبد الله: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، ت رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة

٣٧.الزنجاني الخوئيني؛ إسماعيل: الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء (س)، دليل ما – قم ١٤٣٠

٣٨.السائب الكلبي؛ هشام بن محمد: جمهرة النسب، ت حسن ناجي، عالم الكتب – بيروت١٤٠٧ هـ

٣٩.السِّجِسْتاني؛ سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا لبنان

٤٠.آل سيف؛ فوزي: أعلام من الأسرة النبوية، دار المحجة البيضاء بيروت ٢٠٢٠

٤١.آل سيف؛ فوزي: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار المحجة البيضاء بيروت ١٤٤٥

٤٢.السيوطي؛ جلال الدين: جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع

الكبير»، ت مختار الهائج وآخرين، الأزهر الشريف، القاهرة ١٤٢٦

٤٣. شرف الدين؛ السيد عبد الحسين: النص والاجتهاد، ت أبو مجتبى، سيد الشهداء عليه السلام – قم، ١٤٠٤ هـ

٤٤. شرف الدين؛ السيد عبد الحسين: الفصول المهمة في تأليف الأمة، مؤسسة البعثة طهران

٤٥. الشريف الرضي؛ محمد بن الحسين: نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ت صبحي الصالح، بيروت ١٣٨٧ هـ

٤٦. بن أبي شيبة العبسي؛ عبد الله بن محمد: المصنف، ت سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٣٦

٤٧. الشيرازي؛ إبراهيم بن علي بن يوسف: اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ

٤٨. ابن عبد البر، يوسف النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي محمد، دار الجيل، بيروت١٤١٢

٤٩. ابن عساكر الشافعي؛ علي بن الحسن: تاريخ مدينة دمشق، ت عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥

٥٠. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية – مؤسسة البعثة – قم

٥١. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم ايران

٥٢. الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: عيون أخبار الرضا عليه السلام، تعليق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان

٥٣. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: معاني الأخبار، ت علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي قم ١٣٧٩

٥٤. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع منشورات المكتبة الحيدرية، النجف

٥٥. الصدوق؛ محمد علي بن بن بابويه: التوحيد، ت هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم

٥٦. الصنعاني؛ عبد الرزاق بن همام: المصنف، ت مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل،٢٠١٣ م

٥٧. الطائي؛ نجاح: السيرة النبوية، مؤسسة البلاغ – بيروت١٤٢٢

٥٨. ابن طاووس الحسني: إقبال الأعمال، ت جواد القيومي، مكتب الإعلام الإسلامي١٤١٤

٥٩. طالب؛ حسين: النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين، مؤسسة الاعلمي – بيروت١٤١٩

٦٠. الطباطبائي؛ محمد حسين سنن النبي (مع ملحقات)، ت: محمد هادي الفقهي، مؤسسة النشر الإسلامي قم١٤١٩

٦١. الطبراني؛ سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير، ت حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة

٦٢. الطبراني؛ سليمان بن أحمد: الأحاديث الطوال، ت حمدي السلفي، مكتبة الزهراء – الموصل ١٤٠٤

٦٣. الطبرسي: أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت

٦٤. الطبري؛ أبو جعفر، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر١٩٦٧

٦٥. الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر

٦٦. الطبسي؛ محمد جعفر: تمسك العترة الطاهرة بالقرآن الكريم، المركز الفقهي للأئمة الأطهار، قم

٦٧. الطوسي، محمد بن الحسن: تهذيب الأحكام، ت السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران ـ ١٣٩٠ هـ

٦٨. الطوسي؛ محمد بن الحسن شيخ الطائفة: الأمالي، ت: مؤسسة البعثة، دار الثقافة – قم ١٤١٤

٦٩. الطوسي؛ محمد بن الحسن: الغيبة، ت عباد الله الطهراني،

مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ١٤١١

٧٠.الطوسي؛ الشيخ محمد بن الحسن: مصباح المتهجد مؤسسة فقه الشيعة – بيروت ١٤١١

٧١.العاملي؛ السيد جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، دار الحديث للطباعة والنشر، قم ١٤٢٦ هـ

٧٢.ابن أبي عاصم الشيباني: السنة، ت محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٠

٧٣.ابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ت علي البجاوي، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ.

٧٤.العسقلاني؛ بن حجر: مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، ت صبري بن عبد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤١٢ هـ

٧٥.العسقلاني؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ت عادل أحمد دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥ هـ

٧٦.عطاردي؛ الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الباقر، عطارد – تهران

٧٧.فتح الله؛ أحمد: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، الدمام ١٤١٥ هـ

٧٨.القرطبي؛ محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٨٤ هـ

٧٩.القرشي؛ الشيخ باقر شريف: أخلاق النبي وأهل بيته، مهر امير المومنين عليه السلام – قم ١٤٢٥

٨٠.القزويني؛ عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية

٨١.القمي؛ الشيخ عباس: كحل البصر في سيرة سيد البشر، ت عبد الرزاق حريزي، مؤسسة البلاغ – بيروت ١٤٢٩

٨٢.الكراجكي؛ أبي الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد، مكتبة المصطفوي – قم

٨٣.الكليني؛ محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية طهران ايران ١٣٨٨ هـ

٨٤.الكنجي الشافعي؛ محمد بن يوسف: كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: دار احياء تراث أهل البيت عليهم السلام طهران ١٤٠٤

٨٥.المازندراني؛ محمد بن علي بن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف ١٣٧٦

٨٦.المجلسي الأول؛ محمد تقي: روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ت علي بناه اشتهاردي، قم ١٤٠٦

٨٧.المجلسي؛ المولى محمد باقر: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء بيروت ١٤٠٣

٨٨. المجلسي؛ المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ت هاشم محلاتي، دار الكتب الإسلامية – طهران١٤٠٤

٨٩. المدرسي؛ السيد محمد تقي، الفقه الاسلامي (أحكام العبادات)، مركز العصر – بيروت ١٤٣١

٩٠. المسعودي، علي بن الحسين بن علي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، منشورات دار الهجرة، قم

٩١. المصطفوي؛ السيد محمد كاظم، القواعد الفقهية، المركز العالمي للدارسات الاسلامية – قم١٤٢٦

٩٢. معرفة؛ الشيخ محمد هادي: التمهيد في علوم القرآن؛ مؤسسة النشر الإسلامي قم

٩٣. الميانجي؛ علي الأحمدي، مكاتيب الرسول، دار الحديث ١٩٩٨ م

٩٤. النجفي؛ محمد حسن: جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، ت عباس القوچاني، دار الكتب الإسلامية – طهران

٩٥. النجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم

٩٦. النسائي؛ أحمد بن شعيب: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ت أحمد البلوشي، مكتبة المعلا – الكويت ١٤٠٦

٩٧. النسائي؛ أحمد بن شعيب السنن الكبرى، ت حسن شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٢١ هـ

٩٨. النيسابوري؛ أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١

٩٩. النيسابوري؛ مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، ت محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة١٩٥٥

١٠٠. الهيتمي:أحمد بن محمد بن علي بن حجر؛ الصواعق المحرقة؛ مؤسسة الرسالة – لبنان.

١٠١. اليوسفي الغروي؛ محمد هادي: موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي – قم١٤١٧

١٠٢. مواقع الكترونية

◄ شبكة الكافي

http://alkafi.net/index.php?threads/1510

https://www.albadri.info/books/seerah/index.htm

◄ إضاءات

https://www.ida2at.com/the-jews-of-bani-qureizah-beyond-the-religious-reading-of-the-incident

فهرس

مقدمة سلسلة النبي والعترة ٥

مقدمة الكتاب..... ١٣

ما قبل الميلاد إلى لقاء الله تعالى..... ١٧

١/ أول الخلق ١٧

٢/ الوالدان والولادة المباركة: ١٩

٣/ محمد وأحمد: ٢٢

٤/ رضاعه في بني سعد: ٢٥

٥/ النبي محمد إلى سن العشرين: ٢٦

٦/ النبي ما بعد العشرين إلى الأربعين (قبل البعثة) ٢٨

٧/ من البعثة إلى الهجرة: ٣١

◁ الاسراء والمعراج..... ٣٣

◁ كيف بدأت واستمرت الدعوة للإسلام؟ ٣٦

٨/ الهجرة إلى المدينة ٣٩

◁ بناء المسجد: ٤١
◁ المؤاخاة: ٤١
◁ العلاقة مع اليهود: ٤١
٩/ رسول الله: معجزاته، سنته ٤٢
◁ وأما سنته: وهي أقواله وأفعاله وتقريره ٤٧
١٠/ رسول الله؛ صحابته وعترته ٥٠
◁ عترة النبي: ٥٣
١١/ الرسول يواجه أعداءه: قريشا واليهود والمسيحيين: ... ٥٥
◁ أ/ معركة بدر الكبرى: ٥٦
◁ ب/ معركة أُحُد: ٥٦
◁ ج/ غزوة بني النضير: ٥٧
◁ د/ معركة الخندق (الأحزاب): ٥٨
◁ هـ/ غزوة بني قريظة: ٦٠
◁ و/ صلح الحديبية: ٦١
◁ ز/ إنهاء الوجود اليهودي بمعركة خيبر: ٦٢
◁ ز/ انتهاء المواجهة العسكرية مع قريش: ٦٦
◁ ح/ معركة حنين: ٦٨
◁ ط/ معركة مؤتة: ٦٩
◁ ي/ معركة تبوك: ٧١
١٢/ الفترة الحاسمة في حياة النبي ٧٣
١٣/ ارتحال النبي لخالقه: (مَاتَ أَوْ قُتِلَ)؟ ٨١

مصادر المسلمين عندما تشوّهُ صورة النبي ٨٧

مقامات رسول الله في القرآن الكريم ٩٧

١/ التوقير في مقام الاسم والنداء:..... ٩٨

٢/ الصلاة عليه من ربه والملائكة: ١٠١

◁ اعتناء الإمامية بذكر الصلاة على محمد وآله: ١٠٤

٣/ تكفل الله تعالى برفع ذكره ﷺ ١٠٧

٤/ وأقسم بحقه وحياته ١٠٨

٥/ وأخبره بأنه يعطيه مقدار رضاه: ١٠٩

٦/ وعلم المسلمين الأدب مع رسول الله: ١١٠

٧/ من هو النبي محمد في القرآن؟..... ١١١

٨/ ما كان أبا أحد من رجالكم..... ١١٣

٩/ وإنك لعلى خلق عظيم ١١٤

١٠/ رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم..... ١١٦

١١/ مهماته الرسالية: ١١٧

١٢/ رحمة للعالمين: ١١٨

١٣/ علاقة النبي بربه وبمن أرسل لهم ١٢١

من علم النبي..... ١٢٣

١/ رسول الله مدينة العلم:..... ١٢٣

٢/ ألم يعلّم رسولُ الله سائرَ الصحابة؟ ١٢٧

٣/ ماذا ترك النبي لأهل بيته؟ ١٢٨
٤/ هل كان النبي يجتهد في الأحكام؟..... ١٢٩
٥/ النبي أميٌّ أو أعلم خلق الله؟ ١٣٣
◄ أدلة القائلين بالأمية: ١٣٣
◄ أدلة القائلين بكونه غير أميٍّ:..... ١٣٦
٦/ خيط نور من شمس علمه ١٤٣
◄ وصايا النبي وخطبه ١٤٤
◄ توجيهات في الخريطة العامة للحياة السليمة:..... ١٤٨
◄ قواعد وأصول نبوية لاستنباط الأحكام ١٥٠
◄ وفي تفاصيل الأحكام الشرعية:..... ١٥٥
الحياة الأسرية للنبي محمد ﷺ ١٦٥
◄ زوجات النبي أسماء وتاريخ ١٦٥
◄ عشر نقاط في فهم موقع زوجات النبي..... ١٧٤
◄ أولاده صلوات الله عليه وآله ١٨٦
◄ بنات النبي الثلاث لسن ربائب ١٨٨
عبده ورسوله ١٩٣
◄ وضوء النبي:..... ١٩٨
◄ وأما صلاة النبي ﷺ: ٢٠٠
◄ نوافل النبي: ٢٠٢

◄ دعاء النبي: ٢٠٣
◄ ليلة النصف من شعبان ودعاء النبي ٢٠٦
◄ صلاة النبي أو صلاة الخلفاء؟ ٢٠٨
هذا هو النبي: كيف وصَفَه وصيُّه ٢١٣
أسئلة حول الرسالة والرسول ٢٢٣
١/ ارضاع السيدة حليمة للنبي..... ٢٢٣
٢/ رواية غريبة في رضاع النبي!..... ٢٣٣
٣/ مصادر رزق النبي والمعصومين صلى الله عليه وعليهم؟.. ٢٣٤
٤/ هل نجح رسول الله ﷺ في هداية قومه؟ ٢٣٧
٥/ ما هي المصلحة من زواج النبي من بعض النساء ٢٤٠
٦/ ما هو الرد على الرسوم الكاريكاتورية ٢٤٢
٧/ القصة المشهورة في وفاة النبي ﷺ..... ٢٤٦
٨/ لماذا تعامل بالعنف والقسوة مع بعض مخالفيه كبعض اليهود؟..... ٢٥٠
٩/ لماذا لم يكتب النبي لنا كتابًا قبل أن يمرض أو يتعب؟ .. ٢٦٣
كلمة شكر ٢٦٥
المصادر ٢٦٧

قنوات التواصل مع الشيخ

الايميل

fawzialsaif@gmail.com

الموقع الالكتروني

www.al-saif.net

قناة اليوتيوب

https://m.youtube.com/user/ Fawzialsaif

تطبيق آيفون

http://bit.ly/alsaifapp

تطبيق أندرويد

http://bit.ly/1z P Hw Fh

قناة التلغرام

http://bit.ly/1 M8 Lzhk

المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس

https://goo.gl/ V Mm T7 X

روابط المقاطع القصيرة

goo.gl/ Xk Tvmj

قناة الساوند كلاود

https://m.soundcloud.com/fawzialsaif

تطبيق الكتب اندرويد:

https://play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books

ايفون وايباد:

https://appsto.re/us/_pt Clb.i

الموقع الرديف

https://al-saif.app

الانستغرام

https://instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195m0v23vh9mx

قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون:

https://apple.co/31oq Gi O

تكفل بتكلفة هذا الكتاب
(رحمة للعالمين) المؤمنة الفاضلة
الحاجة أم شاكر حفظها الله
وأولادها الكرام وجعله من
صدقاتها الجارية الباقية.

الهي: «اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمّد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحقّ بالحقّ والدّافع خبيثات الأباطيل والدّامغ صولات الأضاليل كما حمّل فاضطلع قائما بأمرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتّى اورى قبس القابس وأضاء الطّريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام وأقام بموضحات الأعلام ونيّرات الأحكام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدّين وبعيثك بالحقّ ورسولك إلى الخلق». الإمام علي عليه السلام.

ISBN 978-614-4268353

9 786144 268353

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمّال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ ـ هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ ـ ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ ـ E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان